المكتبة الصوفية

الرحلة المراكشية

أو

مرآة المساوئ الوقتية

ويسمى أيضًا

السيف المسلول على المعرض عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم

تأليف

السيد محمد بن محمد بن عبد الله المؤقت

الجزء الأول

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

obeikandl.com

الطبعة الأولى
1434هـ - 2013
حقوق الطبع محفوظة للناشر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد - القاهرة
25938411-25922620 / فاكس: 25936277
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الموقت ، السيد محمد بن محمد بن عبد الله
الرحلة المراكشية او مراة المساوى الوقتية / تاليف : السيد محمد بن محمد بن عبد الله الموقت
ط1- القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ،2012
ص ، 24 سم
تدمك : 978-977-341-583-1
1- التصوف الاسلامى
ا- العنوان

ديوى: 260

رقم الايداع: 2012/16298

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

[الذاريات]

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على مولانا محمد وآله وصحبه وأمته وعلينا معهم

حمدًا لمن جعل فـى سياحة الأرض غنيمة واختـبارًا. وفى سكان أهلها تبصرة واعتبارًا. وصلاة وسلامًا على مـولانا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه وكل من جال من أمتـه فى الأرض. واخترق طولها والعرض. طلبًـا لسلامة دينه يوم العرض.

(أما بعد) فيقول الفقير إلى الله "محمد بن محمد بن عبد الله" المؤقت بالحضرة المـراكشية وقتـه، كان الله له: قد شغـفت منذ زمان باختـبار البلاد والخلق، رغبـة فى اللحاق بالطائفـة التى لا تزال على الحق، فلم أزل أبحث عن ذلك، وارتكب كل صـعب فى التوصل لـتلك المسالك، وانتـقل من بلد إلى بلد، وأتقلب فى أطوار السـفـر من سرور إلى نكد، أجـوب أرضًا بعـد أرض، بين رفع وخـفض، وترحال وحط، وضـيق وبسط، وطال بى السـير وحصل الضجر، وفتر العزم وسئمت الحركة، فجلست أنتظر الفرج من موارد التعسير، وأنفس كرب المسير، وصرت أفكر فى هذا الدهر وعجائبه، وما ناب أهله من نوائبـه، وقلت يا ترى هل أجـد صـاحبًـا يكون عـونًا لى على هذا المرغب، الذى عز فيه الطالب والمطلب، صديقًا ودودًا مسـفارًا كثير الأخبار، بثغر بسـام، وقلب أصبح خازنًا فى طيه ذكرى الواقعـة، والوقائع الحادثة فى المغرب.

ظفر المؤلف برفيق

فبينما أن فى منازعة هذه الأفكار، مع ما حل بى من ترادف الأكدار، إذ ظهر فى الفلا، غبار قد علا، فأعجزنى كونه، وأزعجنى لونه، فرقبته على تل رقيته، وحسبته امرأ خشيته، فانتعشت سحب حجبه، عن رجل أخبرتنى مهجته، عن صدق بهجته، وأن له باعًا فى العلم طويل، وعلى مقالاته التعويل، فحين دنا منى، سألنى عنى، فقال من أين وردت، وأى مكان أردت؟ فأنبأته بصدقى عن قصدى، وأطلعته على ما عندى، فقال لى أفصح عن المقال، وأعرب عن الأسباب التى أوصلتك إلى هذا الحال، فقلت: كثرة المناكر، ومشاركة الناس بعضهم بعضًا فى ارتكاب الكبائر، والتزيى بزى أهل الكتاب فى الظواهر والسرائر، وإضاعته المال فى اللهو والباطل، واختلاط النساء بالرجال فى الأسواق والمحافل، واللهو عن العبادة والجماعات، والاشتغال بما فيه غضب رب البريات، وإحياء سنن الجاهلية فى تدينها وأسواقها، وإحداث أحداث وبدع فى الشريعة ليست من قياسها ولا سياقها.

فقال لى: أستغفر لذنبك، وتب إلى ربك، وانسلخ عن هذه البدع المحدثة فى وقتك، التى من استحلها من الأنام، خيف عليه الردة عن الإسلام، وأحمد الله على تمييز الحال، بين بيوت الهدى والضلال، ولا تقلد اليوم فى دينك إلا من معصوم، وليس إلا صاحب الشريعة مولانا، محمد ﷺ، أو من شهد له العصمة ﷺ الخبر، وهو القرن الأول والثانى والثالث، وأترك ما حدث بعدها خصوصًا ما عليه العلماء المترخصون والمتأولون الآخذون بظواهر أكثرها لا يصح ولا يستقيم، وأترك حال غالب أهل هذا الوقت، فإنه السخط والمقت.

فقلت له: خفت من غلبة النفس اللوامة، ولهذا لبست للسفر لامة، لعلى أظفر ببغيتى، أو أموت دونها من حسرتى.

فقال: لقد غاظنى قولك حتى هاضنى، وأحنقنى حتى خنقنى، لاسيما ما أحدثه أهل الجهل والابتداع، وسكت عنه علماء الوقت حتى شاع فى الرعاع وذاع، ثم أطرق إطراق المتأمل، وسكن سكون الوقور. ثم رفع رأسه وقال: لقد شوقنى: وفيما أنت بصدده رغبتنى، وأنا عون لك على ذلك، لعل الله يحفظنا من تلك المهالك، وواعظك فى أشياء من الأخلاق اللطيفة والأمور الغامضة التى لو حنكتك سن كنت خليقا أن تعلمها وإن لم تخبر عنها. واصبر فان ترك مئونه شديدة، ورياضة صعبة.

فقلت له: ستجدنى إن شاء الله صابرًا ولا أعصى لك أمرًا- ثم قلت له: من تكون؟ فقال ظالم ومظلوم، وحاكم ومحكوم، ولائم ملوم، تزيا بغير زيه، وأقام فى غير حيه. فقلت له: لست عن هذا أسألك، وإنما أسألك عن اسمك، فقال: تدعى بالشيخ عبد الهادى. فقلت له: كم تحسن من العلوم وكم لك فى تفصيلها من منطوق ومفهوم؟ فقال شىء كثير، والإحاطة بهما أمر عسير، ولكن سأخبرك عن بعضها إظهارًا لشكر المنعم، واعترافًا بما تفضلت به يد الجود والكرم، وهو الفقه، والأصول، والفروع واللغة، والنحو، والطب، والبيان، والبديع، والحساب، والأدب، والتاريخ، وعلم الفلك، وصناعة الشعر، والفلسفة، والتوقيت.

فقلت: الحمد لله الذى من على بصحبتك، والكون من زمرتك. ثم انصرفت بصاحبى وقد أخذت منه العظة، وجددنا السير فى الأرض، علنًا مقصودنا فى الطول منها أو العرض، وما دخلنا أرضًا إلا رأينا من أخلاق أهلها، ما يكون سببًا فى خرابها.

فنزلنا ببعض الأيام قطرًا من الأقطار، يستغرب السامع ما نحكيه عنه من الأخبار، رأينا فيه روضة تجرى الأنهار من بينها، كأنها الجنة بعينها، وقصرًا يقصر عنها الطرف، كما يقصر عنه الوصف، فأخذنا نرتاد خلاله، ونتفيأ ظلاله، وأردنا المقام لولا فساد الأخلاق فى أهلها. لأن الأخلاق إذا فسدت فى أمة فقد فسد فيها كل شىء.

ارتحالنا لمدينة أخرى والاجتماع على صديق آخر

فارتحلنا لمدينة أخرى، وهكذا حتى طال بنا الحال، وتغيرت الأحوال، وكاد يكون طلبنا من قبيل المحال.

فينما نحن على ذلك، إذ بلغنا عمن لهم خبره بتلك المسالك، أن أرضًا بالمغرب يقال لها مراكش الحمراء، ذات محاسن غراء، ولعلنا نجد لبانتنا بها فجددنا إليها المسير، ولا زلنا نخوض فى أحشاء الليل، إلى أن أشرفنا على أسوارها، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا شابين بقرب السور يقول أحدهما للآخر: هل لك أن تذكر لى أقصى أمانيك فى هذه الدنيا؟ فقال: نعم أقصى أمانى أن أصبح رئيس أهل هذه البلدة، قال ولم؟ قال لأنى أجلس لهم فى كل شهر مرة واحدة أو مرة فى سنة وألقى عليهم من الضرائب ما يقوم لى بنفقة العام كله، مع ما أنا فيه من الاستفراغ لشهواتى ولا مسئولية ولا حرج، ألم أتعلم أن أسعد أهل الوقت حالا وأخفهم بالا من سهلت له الأقدار الجلوس على ذلك الكرسى الذى لا يسأل صاحبه عن الخطل، ولا يخشى عليه من الوقوع فى الزلل، فامتلأنا من هذا الحديث عجبًا، وكاد الظن أن يعود منقلبًا، فبينما نحن نتدبر كيف الدخول لهذه الخضرة، ونحاول من يأخذ بيدنا ممن له بها خبرة، إذ خرج شخص من الباب، تظهر عليه سمة أولى

الألباب. فقال ما شـأنكما؟ فصدقناه الخبر عله يكون معينًـا وسببًا فى الظفر. فقال إنكما ذكرتما بغية هيمت البال وهاجت البلباب، ولعمرى أنى أشتاق إلى هذا الشوق الظمآن للماء الزلال، وأتلمح شـهود تلمح المتطلع للهلال، حقق الله ذلك لمرجو والمأمول، وأنعم بذلك المتمنى والمسئول.

بيان ما عليه مدينة مراكش

على أن هذه الخصلة فى وقتنا تنكر، وحالة لا ينبغى فى هذا العصر أن تذكـر، وهذا مسلك صـعب لا يسلكه إلا كبـار الرجال، المتـخلفين بأكـمل الأحوال، وصارت الـيوم هذه الطريقة طريقة مـرفوضة، وخصلة منـقوضة، ولقد قر ناظرى، وانشرح خاطرى، بطلعتكما البـهية، ومحاسنكما المحمدية، وها أنا فى خدمتكما مدى الدهر، والظن بكما أن تجـعلانى كأحدكما، فقلنا: من أى أرض أنت يرحمك الله، فـقال أهل هذه الخضـرة المراكشية فـقلنا لقد هجينا كلامك لسكنى هذا الحمى، وذكرنا أحبـة فارقناهم وكدنا نبكى عليهما دمًـا، ما اسـمك؟ فقـال: عبـد الباسط. فـقلنا: نعم الاسم ونعم المسـمى، فأخبرنا عن حال أرضك، فقـال: هى مدينة لم تزل من حيث أسست دار فقه وعلم وصلاح، وهى قـاعدة بلاد المغرب وقطرها ومـركزها وقطبهـا فسيـحة الأرجاء، صحـية الهواء، بسيطة السـاحة، مستطيلة المسـاحة كثيـرة المساجد، عظيـمة المشاهد، جـمعت بين عـذوبة الماء، واعتـدال الهواء وطيب الـتربة، وحسن الثـمرة، وسعة المحـرث، وعظيم بركته. فـقلنا زدنا، فقال: حـضرة سنية، والشمس عـن مدح المادح غنيمة، نعم البسـيط المديد والرزق الجديد، والسقى العـديد، والصيـد والقديد، مـاؤها مسلسل، وهواؤها لا يلفى مـعه كسل.

فقلنا زدنا، قال: هى قاهرة المغرب الآن وأكبر عواصمه وحواضره من حيث اتساع مساحتها، وكثرة عدد سكانها، واستفحال العمران بها، وتيسر أسباب الحياة فيها، والعيش بين أكنافها، بطرق متنوعة، ووجوه مختلفة، بحسب الحياة فيها، والعيش بين أكنافها، بطرق متنوعة، ووجوه مختلفة، بحسب اختلاف طبقات الناس وتباين مطامحهم ومصالحهم.

وناهيكما أن القطر المغربى بجميع حواضره وباديه ينتسب إليها ويطلق عليه فى الخارج اسم مراكش من باب تسمية الشىء بأكبر وأشهر أجزائه.

وهى العاصمة، الوحيدة على الإطلاق لها الجمال الطبيعى، والمحاسن الغريزية التى ترغب الناس فيها وتجذبهم إليها على الرغم من كونها لم تتجمل بما تجملت به العواصم المغربية الأخرى من بهرجة التحسين والإصلاح وزخرفة التنميق والتنسيق الحديث كأنها تعلم أن فى حسنها الذاتى وجمالها الساحر ما يغنيها عن التجمل والتنكيل، وليس التكحل كالكحل.

إن أول مظهر من مظاهر جمال الطبيعة الذى يشاهده الوافد على هذه العاصمة المراكشية تلك الابتسامات الدائمة التى يراها مرسومة فى ثغر كل منظر من مناظرها الخلابة، وفى وجوه جميع سكانها وأهاليها بل فى طلعة كل ما نضمه جدرانها، وتحيط به أركانها، فأينما أدرتما نظركما تريًا ازدهاء ظاهرًا، وازدهار باهرًا، لا يلبث أن ترسم على مرآة محيا كما صورة منه وتستولى على مشاعركما عوامله القوية وإن كنتما مهمومين مغمورين، وأينما أدرتما بصركما أبصرتما انشراحًا محسوسًا، فسكانها دائمًا منشرحو الصدور متهللو الوجوه، لا يعرفون معنى الكدر والعبوس، ومعالمها أبدًا تبعث فى النفوس ارتياحًا وانشراحًا كأن طينتها عجنت بماء السرور ومزجت بمادة الانبساط والاغتباط.

الحكمة فى أن مدينة مراكش أهلها فى سرور

قلنا: والباعث على هذا ما هو؟ قال: أحفظ فى ذاكرتى من مطالعة جريدة أن بعض المؤرخين قال: أن مؤسسها رحمه الله تحرى بوساطة منجميه وضع أول حجر من تأسيس بنائها فى برج العقرب الذى هو برج الغبطة والسرور، لتبقى دائمًا دار سرور وحبور.

وذاك السر فى كون السلو والنشاط يغلب على سكانها ويفيض من بين أركانها، وقال آخرون: إن السر فى روح السرور والانبساط التى يشعر بها المقيمون فى مراكش هو حرارة جوها، لأن الحرارة من شأنها أن تنعش النفوس والأرواح، وتحرك فيها كوامن المسرات والأفراح. قلنا: وهل يبقى شىء فى وصفها بعد هذا؟ قال نعم، قلنا هات، قال: مدينة ذات حرارة وبرد، وعكس وطرد، دار أحساب، وارث واكتساب، وأدب وحساب، كم من مغرور بها على الجمر قاعد، ونفس صاعد، وفتنة يعد بها واعد، وشرور تسل بسببها الخناجر، وفاجر يسطو بفاجر.

بيان ما عليه أهلها من الصفات المذمومة

فقلنا زدنا، قال: بهما من المكوس التى تطرد البركة وتنفيها، ومن الخيانة والخدع والمكر والظلم والتعدى والفجور إلى غير ذلك مما لا يكاد عاد يحصيها.

فقلنا زدنا، قال مزارعها لا ترويها الجداول، ولا ينجدها إلا الجود المزاول، فإن أخصب العام، كثر الطعام، وإن أخلف الأنعام، هلكت الناس بها والأنعام.

قلنا زدنا، فلقد أعجبنا حديثك ووصفك لأرضك، فقال بها من الصنائع البديعة التى تروح فى المعمور وتدور، ومنتزهات تشفى بها الصدور، وصيد ورقود، وأعناب كأنما زالت اللبات عقود، وأرانب تحسبهم أيقاظًا وهم رقود، إلى معدن الملح ومصر الزيت، والخضر المتكلفة بخصب البيت، والفواكه الغير المقطوعة، والأنعام الممنوعة.

فقلنا حسبك فأخبرنا عن حال أهلها اليوم، فقال: صارت الرذائل مرعى خصيبًا للأبناء بها، وكادت تنزل بهم إلى حضيض الموت وأصبحت بعد العزة حديث الأمس، وملحود الرمس، قد ظهر أنينها وبكاؤها، وتبدل جوها وساء مناخها، وتفرقت عشائرها، وتزلزت عناصرها، واندرس من أهلها عدة محاسن كأنها لم تكن، وذلك بسبب المواصلة الأوروبية وانسلخوا مما كانوا عليه من اللطافة والعدل ولين العريكة وحسن الجوار للذى والاهم والعز والجبروت على الذى خالفهم وعاداهم، وفى ذلك عبرة لذوى الألباب وصارت قلوب الكثير من أهلها أقسى من الحجر، ونفوسهم بينة الحسد والضجر، إلى غير ذلك من مساوئ الأخلاق، التى تقع بين الرفاق والأسباب الموجبات للشقاق، ولكن لم تزل مع الظروف دار نساك، وخلوة اعتكاف وإمساك. فقلنا له: ادخل بنا إليها على بركة الله، فتقدم أمامنا ونحن خلفه إلى أن وصلنا إلى أحد أبوابها، فقال: أتعرفون ما يقال لهذا الباب؟ قلنا لا، قال يدعى بباب الرب، قلنا: وما وجه تسميته بهذا الاسم؟ قال كان أولا منذ تأسيس هذه المدينة يسمى بباب الشريعة لإقامة الحدود به، فلهذا يقال له الآن باب الرب، فقلنا له أخبرنا عن وقت بناء هذه المدينة ومن البانى لها، فقال: أما وقت بنائها فكان سنة أربع وخمسين وأربعمائة، والبانى لها يوسف بن

تاشفين اللمتونى رحمه الله، والذى بناه منها: هو الموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مراكش جوفا من جامع الكتبيين منها، ويعرف اليوم بالسجينة.

البانى لسورها

ولما ولى بعده ولده على بن يوسف بنى سورها فى ثمانية أشهر، وذلك فى سنة ست وعشرين وخمسمائة. وسبب تسوير مراكش وفتح أبوابها أنه قدم الإمام الشهير ابن رشد القرطبى لمراكش عند أمير المؤمنين على بن يوسف المذكور وذلك فى السنة المذكورة فوجد الفتنة قائمة بينه وبين المهدى ابن مرت، فأشار عليه بمحافظته على البلاد، وأن يجعل سوراً فشرع من حينه، وفى ثمانية أشهر كمل السور مع سعة البلاد وعظمتها، وصير عليه سبعين ألف دينار ذهبًا، وبوبها ففتح بابًا لبلاد دكالة، فسمى الباب باب دكالة، وفتح بابًا مسامتا لفاس، فسمى باب فاس.

وفى آخر مدة ملوك السعديين سمى باب الخمسين كما فتح باب تغزوت وكان الناس يخرجون منه إلى الغزو فتوسع فيه فسمى باب تغزوت، وأما باب الدباغين فمن ذلك العصر لا زال لم يتغير اسمه لانسحاب الوصف الذى سمى به من أجله، وأما باب هيلانة فلا زال الاسم هو الاسم منذ أسس الباب فى تاريخه.

وموجبه أن قبيلة هيلانة من المصامدة كانوا يخرجون منه ويدخلون فسمى بذلك، وصار اليوم لا يعرف إلا بباب إيلان، وأما باب أغمات فلا زال الاسم منذ أسس السور المذكور تاريخه، وسمى بذلك لمسامتته بأغمات وريكة، وأما باب الرب فقد قدمت لكما الكلام عليه.

ومن أبوابها باب أحمر أسسه السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى حين أسس قصره، وباب القصبة أسسه السلطان يعقوب المنصور الموحدى حين أسس القصبة، إذ هو البانى لها فى تاريخ إحدى وتسعين وخمسمائة، وباب أكنا، وأسسه يعقوب المنصور فى إحدى وتسعين وخمسمائة حيث أسس القصبة وجعل قصره فيها محل قبور السعديين إلى الآن.

وزيد فى زماننا هذا بابان: أحدهما بقرب المأمونية، والآخر بوسط حديقة المولى عبد السلام.

دهشتنا عند دخول مراكش

فلما أردنا الدخول من الباب المذكور سابقًا تعرضت لنا جماعة متجندون متميزون بزى أوروبى وقالوا لنا هاتوا التسريح والتعريف، فقلنا لصاحبنا عبد الباسط ما شأن هؤلاء؟ فقال: مستخدمون من قبل الحكومة وظيفتهم البحث عن الغريب، ومن أى أرض هو وما شأنه، هل هو تاجر أو عابر سبيل؟ فإذا دفع الشهادة بالتعريف سلموا له فى الدخول وأذنوا له فيه وإلا قبضوا عليه حتى أمره، فهل عندكم تعريف يشهد لكم؟ فمكنوهم منه، قلنا لا نعرف هذا ولا خبرة لنا بهذه القوانين الجديدة وكل منا غريب ولا يعرف صاحبه قبل اليوم ولكن الأقدار ساقتنا للبحث عن أرض تكون من البدع سليمة، وأحوالها مستقيمة، فقالوا لا نعرف ما تقولون ولكن هاتوا التسريح وأغلظوا علينا فى المقال، وتكلموا بأشياء من السب لا تقال، وأرغبونا حتى كادت آمالنا أن تكون مرفوضة، ووجوه رغبتنا منقوضة، وجموعنا مفضوضة.

انتشار الرشوة

فلما رأى ذلك عبد الباسط صار يذكر لنا بما يسهل علينا صعوبة هذا المطلوب، ويتنفس ما تصدعت بسببه القلوب، ثم قال عبد الباسط: هل عندكما من مال فأخرج الشيخ عبد الهادى قدرًا من المال ودفعه لهم وقال: لهم هذا لكم على شرط أن تغضوا الطرف عنا أو تذكروا خلاف ما سمعتم منا، فقالوا سمعًا وطاعة ولا يجزنكم بعد هذا شيء اذهبوا لما أنتم بصدده. فذهبنا سالمين من شرهم ولله الحمد، فقال عبد الباسط: أرأيتم شر الطمع إلى أين وصل بهم؟ وصل بهم إلى نقض تلك القوانين المنوطة بهم من قبل الحكومة وهكذا وصف معظم موظفيها. فأدنى شيء من الطمع يخرجه عنها ولا نجد أحدًا منهم يسلم منه.

كلام الشيخ عبد الهادى

قال الشيخ عبد الهادى: اسمعا ما أقول لكما واكتباه عنى فإنه عار علينا أن نقف مكتوفى الأيدى ساكنين ساكتين لا ننطق بكلمة، وهو أننا كنا نرى ونسمع فى التاريخ وهو الأستاذ الخبير عن الدولة الفرنسية أنها بلغت من التقدم والحضارة ما هو مشهور حتى فاقت جميع الدول الأوروبية. وكان سبب ذلك أنها لا تختار للمناصب السنية، والوظائف الجلية، إلا الرجال الأفكاء، ذوى الخبرة والاطلاع، والنزاهة عن الأطماع، وبذلك أمكنها أن تعيش عيشة راضية كما تشاء، وتحيا حياة سعيدة مثل ما تريد، لا سيما وأن أكثر قوانينها موافقة للشريعة الإسلامية، وكان من لوازم رجالها المذكورين الوقوف مع القوانين والسير بسيرها بحيث لا تتعداها ولو بقلامة ظفر، إذ وقوفها مع القوانين يقتضى الاستقامة فى الأمور كلها، والاستقامة هى صلاح الذوات والدنيا، بل هى روحها.

وإذا صارت الحكومة تتخذ من الجهال رؤساء وحكاما ونوابا ومستخدمين يفعلون ما شاءوا، ويتركون ما شاءوا، لا يبالون بهتك أعراضهم من شدة الطمع، بل قصدهم جمع المال، وترك الأحوال على أشر حال، فلترقب الضعف والوهن يسرى فى مملكتها شيئًا فشيئا إلى أن يخرج الأمر من يديها فتصير هى الظالمة لا المظلومة.

واجب الحكومة نحو الموظفين ليتم النظام

فالواجب المتحتم عليها أن تنصب ميزان العدل والإنصاف بأن لا تولى الخطط السامية إلا من كان ذا ديانة مسيحية أو إسلامية صاحب عزيمة وثبات ورزانه ودراية، والمرجو من فخامتها قبول هذا المطلب فإذا تفضلت الحكومة بهذا الطلب على هذا القطر المغربى هدأت أطماع النفوس واستقرت فيها ملكة العدل والإنصاف، فعرف كل ذى حق حقه، وقنع كل بما فى يده عما فى يد غيره، فلا يحسد فقير غنيًا، ولا عاجز قادرًا، ولا جاهل عالمًا وأشعرت القلوب بالرحمة والحنان على البائسين والمنكوبين، فلا يهلك جائع بين الطاعمين، ولا عار بين الكاسين، وامتلأت النفوس عزة وشرفًا فلا يبقى شىء من تلك الحبائل المنصوبة لاغتيال أموال الناس باسم الدين مرة والإنسانية أخرى، ولا نرى طبيبًا يدعى علم ما لم يعلم ليسلب المريض روحه وماله، ولا وكيلا يخدع عن قضيته ليسلب منه فوق ما سلب منه خصمه، ولا قاضيًا يجوز فى حكمه، ولا محتسبًا يكون سببًا فى فساد الأرض بسكوته عن المضار الوقتية لجهله وظلمه، ولا مفتيًا يضرب الناس بعضهم ببعض حتى تسيل دماؤهم فيمتصها كما يضرب القادح الزند ليظفر بالشرر المتطاير منهما، ولا تاجر يشترى بعشرة ويبيع بمائة ثم ينكر بعد ذلك أنه لص خبيث..

وما دامت هذه المطالب أحلامًا كاذبة وأمانى باطلة فلا مطمع فى سلام ولا أمان، ولا أمل فى سعادة ولا هناء، وإن شاء المولى سبحانه فسوف يقع الالتفات إلى ذلك من جانبها وكأنى بها وقد أجابت المطلب، ووفت بالمرغب وأصبحت تستحق منا جزيل الثناء، ووافر الشكران.

فعند ذلك قال له عبد الباسط فجزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا بذلت النصيحة، وكشفت الغطاء عن أسباب الفضيحة، وأنا لنصحك لمضطرون، وعلى إشاراتك لمعولون، وسيبقى ذكرك مخلدًا صفحات التاريخ كمثل الحوادث الممتازة التاريخية المهمة.

مقالة أخرى للشيخ عبد الهادى

ثم قال عبد الهادى وأزيدكما مقالة أخرى: وهى أن الواجب على الحكومة لرعاياها المخلصين إذا وظفت عليهم قائدًا مثلا فى عرش من الأعراش وقبل أن تمنحه ذلك الوظيف الذى يحق له أن يفعل به ما شاء أن يفعله بالمساكين الضعفاء الذين لا يستطيعون الوصول إلى أعتاب حكومتهم إلا من بابه وبوساطة وكان هذا القائد قبل توليته لم يملك ثمن برنوسه أو قشابته وقبل أن تمر عليه أربع سنين من توليته أصبح ذا ثروة عريضة نجد الآن تحت يديه من المتمولات القدر الذى يعدل بما تحت يد المولى عليهم. فواجب الحكومة إذ ذاك البحث عن تلك المادة الغزيرة المتكونة بسرعة الموجودة بتلك الصفة من أين كانت؟ يا ترى لاحتمال أن تكون من عصير دماء رعاياها الضعفاء الذين نراها تحرص كثيرًا على معاشهم، أما الذى رأيناه ظهر بهاته الصفة وتكونت ثروته فى أقرب مدة فعدد كثير، وهذا ما نراه واجبًا أن نوجه نظر الحكومة لمثله قيامًا بواجب النصيحة.

ولما أصبحنا الله بخير الصباح توسطنا المدينة تشرفنا بمقابلة كثير من أفاضل أهلها وعرف بنا وبهم الشيخ عبد الباسط المراكشى فرحبوا بنا وأكرموا مثوانا وشكرونا على هذا القصد الفخيم، وتوجهنا نريد النزول بالصومعة اليوسفية ترويحًا للبال من حركة الاشتغال، والتوجه لما يرضى الكريم المفضال، فدخلنا المسجد اليوسفى ومكثنا بداخله شيئًا قليلا ثم أطلعنا عبد الباسط للصومعة فوجدنا بها قبابًا عديدة معدة للعبادة والخلوة والتفرغ من الأشغال الدنيوية، ولما حللنا بها تفاءل كلنا خيرًا وقمنا بواجب دينى، وشعيرة مقدسة، فتهللت الطبيعة، وابتهجت النفوس، واستبشرنا بمستقبل زاهر، نتمتع به فى القطر المغربى، ثم أخذ كل منا مضجعه فاستراح ميلا، وبعد برهة من الزمان دخل علينا حضرة العلامة اللوذعى صاحب الشمائل المرضية والمحاسن المحمدية، الشيخ عبد القيوم فابتهج بمجيئنا لهذه الحضرة ابتهاج الكرام، وصحبته شيء من الطعام. فأكلنا وشربنا ودعونا له بخير وعافية، ونعم من الله متوالية.

وفى صحبته اليوم الثالث عن لنا الخروج لأجل التجوال فى البلد صحبة الرفيق عبد الباسط والتعرف بمن فيها من الأنجاب والاستطلاع على تراتيبها وهيئتها الوضعية، فألفيناها معمورة من أصناف كثيرة من الخلق، فبها من شئت من السياح والزهاد والعباد والمتصوفة والفقهاء على اختلاف مواهبهم وطرائقهم، والفلاسفة الطبيعيين، والمنطقيين، والمهندسين، والموسيقيين، والحسوبيين، والمنجمين، والفلكيين، والكتاب، والفسابين، والمتكلمين: على اختلاف فرقهم ومواهبهم، وصناع الآلات وأصحاب الحيل والحركات والمتطببين، والمسامرين، والمخرفين، والمغنين، والمضحكين، والشعراء

والمصورين، والمعرفين، والمشعبذين والسحرة، إلى غير ذلك من مثل هذا السبيل الوعر، والمبحث المترامى الأطراف، ووجدنا الأمور انعكست، وأصبح الحال على خطر.

الأمور المقلقة

ومن الأمور المقلقة التى تكدر صفو راحة القلوب ما عليه حالتها الحالية من نقص واختلال، خصوصًا فى وظيفة الحسبة.

على أن هذا القطر المراكشى على ما بلغنا عن لشقات كان شديد التدين كثير التمسك بالشرع المطاع، ومن جملة ما أقلقنا أن حقائق الدين الإسلامى لا يعلمها الكثير منهم، والنادر ربما يعلم منه النزر اليسير.

ورأينا أكثرهم عن سبيل الشرع ناكبين، ومن اسمه متطيرين، ولأهله كارهين. وكسدت سوق البر، وبارت بضائع أهله، وصار العلم عارًا على صاحبه، والفضل نقصًا، وأمول الملوك وقفًا على شهوات النفوس والجاه الذى هو زكاة الشرف يباع بيع الخلق، ورجعت المروآت فى زخارف البيوت وتشييد البنيان، ونبذت صنائع المعروف، وجهل قدره المألوف، وماتت الخوطر وسقطت همم النفوس، وزهد فى لسان الصدق ووجدنا أكثرهم لا يؤذون الفرض، ولا يعرفون السنة من الفرض، أن عاملتهم أكلوك، وإن نصحتهم أبغضوك، وإن أقمت لهم الشرع رفضوك، وإن ألنت لهم الجانب مقتوك، العالم عندهم حقير، والظالم عندهم كبير، عندهم قابض المال، أعز من الأب والعم والخال، إذا نظروا إلى منكر قرروه، وإذا رأوا معروفًا أنكروه، قد تفرقت منهم القلوب عند اجتماع عظام الخطوب، فكل أحد بنفسه مشتغل، ويحمل أعبائه مستقل، وانقسموا على قسمين، شامت وحاسد، ومنكر

للفضل وجاحد، وناصب حباله خداع ومكايد، ومجاهر بالعداوة ومجادل مجالد، ورأينا كثيراً من علماتهم قد استطابوا للراحة وخفض العيش، واستوطنوا مركب العجز وأعفوا نفسهم من كد النظر فى المصالح العمومية، وقلوبهم من تعب التفكير فى عواقب الأمور.

وبالجملة فقد تأسفنا على هذه التعسة حتى فاضت آماقنا بالعبرات تأسفًا وتحسرًا الله أعلم به، وهذا حادث جدير بأن تتجه الأنظار إليه، ولا سيما فى هذه الأزمنة الهائلة التى لا يمكن تلافى أخطارها العاجلة والآجلة إلا بالتعاون التام على التمسك بالكتاب والسنة ورفض العوائد المألوفة الوقتية.

وعندما لاح فجر هذا المرض الذى لا يعالج إلا بوجود نبى الله عيسى ابن مريم عليه السلام سلام الله رجعنا للمقام، ومكثنا فيه مدة من أيام، وفى هذا المجتمع تناول الكلام جناب الشيخ عبد الهادى حفظه الله. وفاه بخطاب بديع وملح غريبة، وهناك بعضها:

قال رضى الله عنه: فأنا أنصح لمن أنس من نفسه بسطة فى العلم أن يعرض عن الجاهلين، ولا يحضر مجلس المفسدين، فللمحاضرات نظام خاص يمنع من المسالة والأخذ والرد، ولا أحب للعالم أن يكون عدواً للنظام وإن كان فى الباطل ما لم يكن غير آمر بالمعروف. قال وإنى أرى المسلمين الآن فى المشارق والمغارب قد ملأ قلوبهم حب المال، واستقر ذلك الحب فى قلوبهم، وقد عظم هذا الحب حتى صاروا حريصين عليه، وبخيلين به فى كل حال حتى فى الحال التى يجب فيها بذله، ولم لا يكون المسلمون كغيرهم من الطوائف الأخرى يبذلون الدرهم والدينار، وينفقون بسخاء واقتدار فى سبيل نشر الدين وتبليغ الحق، هذا هو السبيل الذى ينبغى أن يسلكوه، وقد سلكه

من قبل نبينا محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، وكفى بهم قدوة، وكفى بهم هداة، وعسى أن تكون هذه الحوادث المروعة موقظة لجماعة المسلمين، فقد طال رقادهم، وعسى أن تكون منبهة لهم فقد بعد مدى غفلتهم، ولا أدعوهم إلى تعصب ممقوت ومرذول، ولكنى أدعوهم إلى أن يتعصبوا لمكارم الخصال، وحميد الأفعال، ومحاسن الأمور التى يتنافس فيها المتنافسون، حتى إذا رأى الله منهم السعى فى سبيله جعل لهم من الضيق فرجا، ومن الهم مخرجا، وأبدلهم العز مكان الذل، والأمن بدل الخوف، وأورثهم من الكرامة فى الحياة ما لم تبلغ إليه الآمال، وصاروا فى الأرض أئمة، وكانوا لها وارثين.

وقال رضى الله عنه: ابتلى الله الأمة الإسلامية فى هذا العصر بفئة أخذوا على عاتقهم أن يؤذوا المسلمين فى دينهم وعقيدتهم، وأن يفتنوهم بما يحتالون فى إسماعهم إياه من ضروب الباطل والكذب على الله وعلى العلم، وبما تنفثه شفاههم وأقلامهم من صنوف اللغو واللهو، وكأنهم بما يعملون يظنون أنهم يستطيعون أن يكبوا الإسلام على وجهه أو يقلصوا ظله فى وطنه فهم يخدعون ويغشون تحت ستار التجديد، وفى أثواب الدهاء والمكر ولو كانوا أهل إصلاح وتبليغ للخير وحب الإنسانية كما يزعمون لكانوا فى أنفسهم مستقيمين صالحين، وفى الدنيا زاهدين، وبما أجمع الناس عليه من الفضيلة متمسكين. فهذه سبيل غير المتهمين من الداعين والمرشدين.

وقال رضى الله عنه: قال الله تعالى - (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) - وقال - (ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) - تلك آيات الكتاب الحكيم، تهدى إلى الحق

وإلى طريق مستقيم - ولا يرتاب فيها إلا القوم الضالون - هل يخلف الله وعده ووعيده؟ وهو أصدق من وعد، وأقدر من أوعد. هل كذب الله رسله هل ترك أنبياءه وقلاهم، هل غش خلقه وسلك بهم طريق الضلال، نعوذ بالله، هل أنزل الآيات البينات لغوًا وعبثًا، هل افترت عليه رسله كذبًا، هل اختلفوا عليه إفكًا، هل خاطب عبيده برموز لا يفهمونها، وإشارات لا يدركونها، هل دعاهم إليه بما لا يعقلون، نستغفر الله. أليس قد أنزل القرآن عربيًا غير ذى عوج، وفصل فيه كل أمر وأودعه تبيانًا لكل شىء، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا. إنه هو الصادق فى وعده ووعيده، ما اتخذوا رسولا كذابًا، ولا فعل شيئًا عبثًا، وما دعانا إلا إلى سبيل الحق والرشاد، - لا تبديل لكلماته - تزول السموات ولا يزول حكم كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. يقول الله - ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون - ويقول - ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين - وقال - وكان حقًا علينا نصر المؤمنين، - وقال - هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا - هذا ما وعد الله فى محكم الآيات مما لا يقبل تأويلا، وهذا عهده إلى هذه الأمة، ولن يخلف الله عهده، وعدها النصر والعزة وعلو الكلمة، ومهد لها سبيل ما وعدها إلى يوم القيامة، وما جعل لمجدها أمدًا، ولا لعزتها حدًا.

هذه أمة أنشأها الله عن قلة، ورفع شأوها إلى الذروة، حتى تثبت أقدامها على قنن الشامخات، ودكت عوالى الراسيات، وانشقت لهيبتها مرائر الجبابرة، وذابت للرعب منها قلوب الأكاسرة والقياصرة، هال ظهورها الهائل كل نفس، وتحير فى سبب هذا الظهور كل عقل، واهتدى إلى السبب أهل

الحق. فقالوا: أولئك قوم كانوا مع الله، فكان الله معهم ونصروا دين الله فنصرهم، واسترشدوا بهديه فهداهم.

هذه أمة كانت فى بدء نشأتها فاقدة الذخائر قليلة الأسلحة غير موفورة العدد، فاخترقت صفوف الأمم العاتية المدربة على الحرب والقتال، وأسست ديارها حيث شاءت، ولم تمنعها الأبراج ولا الحصون، ولا عاقتها صعوبة المسالك، ولا أقعدها عن طلبها فقرها وغنى عدوها، ولا قلتها وكثرته.

كانت تطرق ديار القوم فيحقرون أمرها، ويستهينون بها، وما كان يخطر ببال أحد أن هذه الشرذمة القليلة تزعزع أركان تلك الدول العظيمة وتمحوا أسماءها من سجل المجد، وما كان يختلج بصدر أحد أن هذه الفئة القليلة تقهر تلك الأمم الكبيرة. لكن كل ذلك قد كان، أولئك قوم صدقوا ما عاهدوا الله عليه فوقاهم أجورهم مجدًا فى الدنيا وسعادة فى الآخرة.

هذه الأمة يزيد عددها على مائتى مليون من النفوس، وأراضيها آخذة من المحيط الغربى إلى أحشاء بلاد الصين، وهى تربة طيبة، ومنابت خصبة، ومع ذلك نراها نهبة وسلبًا، يتغلب الأعداء على هذه الأمة شعبًا شعبًا، ويتقاسمون أراضيها قطعة قطعة، ولم يبق لها كلمة تسمع ولا أمر يطاع.

لقد ضاقت أوقاتهم عن أن تتسع للكوارث التى تلم بهم، وصار الخوف عليهم أشد من الخوف منهم، ومن الرجاء لهم.

هذه هى الأمة التى كانت الدول العظام تؤدى لها الجزية عن يد وهى صاغرة، صار أهلها يرون بقاءهم فى التزلف إلى أعدائهم.

أليس هذا بخطب جلل، أليس هذا أعظم بلاء نزل. ثم ما سبب هذا الهبوط، وما علة هذا الانحطاط؟

إن الله تعالى قد وضع لسير الأمم وحياتها العزيزة سننًا متبعة، فقال:- ولن تجد لسنة الله تبديلا - فالأمم التى يصيبها الذل والهوان إنما يصيبها ما أصابها بسبب هجر تلك السنن ومعاداتها. فالله تعالى لا يغير ما بقوم من عزة وقدرة وجاه وأمن وراحة حتى يغيروا ما بأنفسهم، من نور العقل، وصحة الفكر، والاعتبار بفعل الله فى الأمم السابقة، وكذلك يصيبهم هذا الضر وهذا البلاء لأنهم حادوا عن طريق الاستقامة، والصدق فى القول، والعفة عن الشهوات، والحمية على الحق، والغيرة على الدين والعرض، وفوق هذا أنهم خذلوا العدل، واتبعوا الأهواء الباطلة، وانكبوا على الشهوات الفانية المفنية، وارتكبوا أعظم المنكرات.

لقد خابت عزائمهم يوم شحوا بأرواحهم، وبخلوا بها فى سبيل الدفاع عن دينهم وعن حريتهم، وآثروا الذلة على العزة، والراحة على التعب، والحياة فى الباطل، على الموت فى الحق. فأخذهم الله بذنوبهم وجعلهم عبرة لمن يعتبر.

لنرجع إلى قلوبنا، ولنمتحن مداركنا وعقولنا، ولنختبر أخلاقنا لنعلم بعد ذلك هل نحن على سيرة الذين سبقونا بالإيمان، وهل نحن نقفو على آثار السلف الصالح، ولنعلم حق العلم أن الله لم يغير شيئًا مما أنعم به علينا حتى غيرنا ما بأنفسنا.

وأعظم العلل والأمراض التى اعترتنا: هى حب الحياة للحياة، والحرص على المال والبخل به فى سبيل العزة القومية، والرفعة الدينية، والحياة الهنية.

إن كل واحد من أفراد هذه الأمة يود لو يعيش ألف سنة، وإن كان غذاؤه الذلة، وكساؤه المسكنة، ومسكنه البؤس والهوان؟ أيحسب اللابسون

ثياب المسلمين أن الله يرضى منهم بما يظهر على الألسنة، ولا يتغلغل فى القلوب، وهل يظنون أن الله تعالى يرضى بأن يعبده على حرف فإن أصابهم خير اطمأنوا به، وإن أصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم.

إن من النصيحة أن ينظر كل منا إلى نفسه، وأن يمتحن كل واحد منا قلبه ليعرف منزلته فى المؤمنين الصادقين المخلصين؟ ألا يا أهل القرآن: لستم على شىء حتى تقيموا القرآن وتعلموا بما فيه الأوامر والنواهى وتتخذوه إمامًا لكم فى جميع أعمالكم: مع مراعاة الحكمة والعدل فى العمل.

إنى أقول ولا أخشى لومة لائم: إن الإيمان الحق لا يمس قلب شخص إلا كان أول أعماله تقديم روحه وماله فى سبيل هذا الإيمان.

إن كل اعتذار عن نصرة الحق، وعن نصرة دين الله آية من آيات النفاق، وعلامة من علامات البعد عن الله، والله الذى يحيى ويميت لو أن العلماء الأتقياء أدوا ما عليهم من النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأحيوا روح القرآن، وذكروا المؤمنين بمعانيه السامية الشريفة، ونبهوهم إلى عهد الله الذى لا يخلف، لرأيت الحق يسمو والباطل يسفل، ولرأيت نورًا يبهر الأبصار، وأعمالا تحار فيها الأفكار؟ فهل من صيحة حق يجمع الله بها كلمة المسلمين وقلوبهم فحين يحصل ذلك يعفو الله عنهم، ويغفر لهم ما سلف من تقصير، ولقد صدق الله الذى يقول: من يهدىَ الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا.

وقال رضى الله عنه: تضافر الكثير، وتضامن جم غفير من أبناء الملة الإسلامية على خراب بيوتهم بأيديهم وأيدى غيرهم - ليقضى الله أمرًا كان مفعولا - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فتراهم الآن ويا

للأسف! يفعلون فى أنفسهم ما لا يستطيع أن يفعله فيهم عدوهم ولو حاول دهرًا طويلا.

كان فى علم الخلق كلهم، وفى علم الشيطان منهم على الخصوص: أن الأمة الإسلامية ما دامت متمسكة بهدب دينها القويم معتصمة بحبل كتابها العظيم: ذلك الكتاب الذى - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - وذلك الارتباط المحكم العرى الذى لا يمكن أن تعمل فيه معاول الدهر كيفما تنوعت، ولا تعمل فيه خطوبه، وإن توالت، وهو شىء لا يرضى الشيطان ولا المتشيطنين أيضًا. فكان من واجبهم أن لا يهنأ لهم بال، ولا يسكن لهم بلبال، إلا إذا فتحوا فى محيط ذلك العنصر التضامن الأفراد هوة يسهل معها أن تتموج أفراد العنصر، وتتلاطم جزئياته: فأعدوا لذلك عدتهم، وجمعوا قوتهم، وأوحى بعضهم إلى بعض أسباب تحويل الوجهة عن الرابطة الدينية إلى الروابط المذهبية، وهو العامل الوحيد، والخطوة الأولى فى السعى وراء انقسام جوهر الأمة الإسلامية، مع أنه شىء لا يوجب الانقسام لأن دائرة الإسلام أوسع من أن تقضى بتصادم المذهبين أو العشرة المختلفة فيما لا يرسل له بجوهر الدين، ولكن الشيطان لا يرضيه ذلك، إنما يرضيه أن يظهر فى كل مذهب بما يوجب استيلاءه على غيره بكل ما يستحق من الوسائل القولية أو الفعلية إن أمكن.

وبعد أن انقضى ذلك الدور المأسوف عليه أو كاد أن ينقضى وكيفما كان الأمر فاتضح أنه شىء لا يعتبر لدى الشيطان كافيًا فيما يريده من تنفيذ برنامجه فى الأمة الإسلامية، فطير لها على جناح مكره من التعاليم الغربية ما يراه كافيًا فى الغاية المنشودة، وأول شىء ساقه إليها من تلك التعاليم التى

يراها قاضية على البقية الباقية من وحدتها هذا التفنن فى الوطنية والإغراق فى إطرائها، الأم الذى قد تتلاشى معه سائر الروابط العامة الشاملة.

وقد وجد هذا التعليم أعظم عامل فى تحليل وحدة الدين، وقد تمكن عقيدة فى قلوب العصريين الأمر الذى تخضع أمامه كل عقيدة فلم يشعر العنصر الإسلامى ألا وهو عناصر متميزة عن بعضها امتياز النوع والجنس بضرورة الأقاليم والجهات.

وهذا السبب هو أعظم مخرب للدين الإسلامى، والأمر لله، ولو انتشرنا فى الأرض لرأينا حال غيرنا من الأمم الإسلامية سلط عليها مثل ما سلط على أهل هذه المدينة.

ثم قال الله عنه: وهذا الاختلال الذى حل بالدين وتفاحش أن منشأه تفرق القلوب، وتفرق القلوب هو الموجب لوقوع الأمة الإسلامية فى سيطرة غيرها، وهو لا ريب موجب للخزى فى الدنيا، والنكال فى الآخرة، وما خلت أرض من نظام ينفى بغى البعض عن البعض إلا كان ذلك سببًا فى تلاشيها وخرابها، ولا يجوز فى القوانين الإلهية أن تبقى الحكومة أمدًا طويلا على الظلم والخبط فى الأحكام.

إذ الناس رب بقاءهم إلى أجل مسمى، فإذا لم يقوموا بما عهد إليهم من الملك، وتركوا الناس ينبغى على بعض قيض الله لهم من يزيل الظالمين، ويعدل بين الناس مهما كان دينهم: إن ربى على صراط مستقيم.

وقال رضى الله عنه: القرآن جمع بين مطالب الروح والجسد أو الدين والدنيا، أو العلم والعمل، أو الأدبيات والماديات، فانظر كيف ترى توصيفه لمحاسن الطبيعة، وما فى الكون من علوم ومعارف لتتحلى النفوس بكمالها وتسعى لمطالبها فى الحياة، وتسعد سعادتى الدين والدنيا.

أنا ليحزننا يا قوم أن نرى ما حل بالأمة الإسلامية، فقد أصبحت لا تلوى على كتاب ولا سنة إلا ما كان عن فيض يفيض، وما أنقصه من فيض، وما أضعفه من عمل. حرام علينا يا قوم أن يسبقنا الناس بطرق التعليم الحسنة، ونحرم أنفسنا وإخواننا من علوم الدين والتهذيب والعقل؟ يا قوم من لنا بهداة وعقلاء يقومون فينا بتغيير العوائد الوقتية التى كادت أن تصمحل من سيطرتها القوانين الإسلامية.

وحكى الشيخ عبد الهادى حادثة. قال: حادث رجلا من العالمين باللغات الأجنبية، فى أحوال الأمم الإسلامية، وسألته عم يسمعه من الأوروبيين. فقال: ذكر لى سائح ألمانى، وهو يحادثنى أنه عاشر أهل العراق نحو عشرين سنة حتى اطلع على علومهم، وألف كتابًا برهن فيه على أن الأمم الإسلامية آخذة فى الانقراض لرداءة طرق التعليم فيها وجود الأفكار، وجهلهم بتقدم الأمم الحاضرة، وما بعد موت الأفكار سوى انقراض الأجسام، فعجبت من كلامه كل العجب.

فيا ضيعة الإسلام أن لم يقم فيهم مصلحون، وحكماء مرشدون، ويا ويلهم إذا أرشدهم الحكماء وهم غافلون:- اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون.

وقال رضى الله عنه: ورد فى الحديث الشريف: "أول ما خلق الله العقل. فقال له أقبل فأقبل: ثم قال له أدبر فأدبر. ثم قال: وعزتى وجلالى ما خلقت خلقًا هو أعز على منك: بك آخذ، وبك أعطى، وبك أثيب وبك أعاقب".

وكم فى القرآن من آية تسجل الخزى والعار على أمة لا تعقل، والفلاح والنجاح لقوم يعقلون.

قضت سنة الله أن تجرى الأمور فى أوائلها على الحكمة والسداد على أيدى الكبراء المصلحين: كالنبى ﷺ وخلفائه. فإذا مضت قرون وتبعتها أخرى نظر اللاحقون ما بأيديهم من الأقوال فأخذوا بالأورع منها والأحوط طلبًا لسلامة دينهم ودنياهم: فإذا لم يفعلوا ذلك تسببوا لقساوة القلوب.

نعم قست القلوب فأصبحنا لا نعرف من الصلاة إلا مجرد الرسم والاسم ولا من الذكر إلا اللفظ، ولا من العلم إلا القول، ولم ننظر لماذا وضعت، وما غايتها حتى أصبحت الصلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر، لعدم مما زجتها للنفوس، وهكذا قراءة علوم الآلات والمقاصد، وهكذا القرآن يقرأ ولا تفكر فيه ولا تدبر، وكم ندد الله ببنى إسرائيل فى ذلك كقوله تعالى - ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون - وهذا بعينه هو الواقع فى الإسلام اليوم.

كنت ليلة فى قرية من قرى البادية، فرأيت رجلا يقرأ وحوله السامعون يتناولون الطباق ويتحادثون فخيل لى أن الإسلام فى حركة المذبوح وهؤلاء المتحادثون أطرافه المضطربة يمينًا وشمالا إلى أن يقضى عليه، لا قدر الله.

وقال رضى الله عنه: الدين والجامعة: الدين أقوى أساس تشاد عليه دعائم الروابط الاجتماعية بين أفراد أمم النوع الإنسانى مهما تباينت مشاربهم واختلفت أغراضهم، وتعددت لغاتهم: فرابطة الدين أقوى مؤثر فى النفوس لأنها أحرزت الشرفين: وهما اتصال سندها بمبدع الكائنات، ودوامها إلى آخر العمر.

والوحدة الدينية هى التى ألت الأوس والخزرج فى زمن النبوة مع ما كان بينهم من شقاق وحروب دامت أعوامًا كثيرة، فألف الله بين قلوبهم

بوحدة الإسلام، ونزع ما فى صدورهم من غل فصاروا إخوانًا على سرر العزة متقابلين، ففعل بنفوسهم ذلك السلطان القاهر على الروح ما لا يفعله كل ما على الأرض من ذهب وفضة ومتاع - لو أنفقت ما فى الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم -، وتلك الوحدة هى السبب فى تقدم الفتح الإسلامى وانتشاره فى بقاع الأرض فى أقرب زمن مما هو معلوم بأدنى التفات إلى التاريخ.

رابطة الدين إذا تمكنت من القلوب كانت حصنًا حصينًا يلجأ إليه الخائفون عند الدفاع عن أوطانهم، والذب عن حياضهم.

أم تر كيف أرهب سيدنا معاوية رضى الله عنه قيصر الروم، وقد انتهز فرصة التشاجر بينه وبين سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه: فكتب إليه يهدده بالحرب أو دفع الجزية، فكتب رضى الله عنه يقول له: إن لم تكف عن هذا وإلا سلمت الأمر لصاحبى، وكنت أول سهم من سهامه يرمى به إليك، فكأنما ألجم فاه بهذا الخطاب بما أوقع فى قلبه من الرعب مع اشتداد الأمر بينه وبين سيدنا على رضى الله عنه.

وقال رضى الله عنه: ألحق أقول: إن الهمم متى ضعفت لم تفهم من العلم الأعلى مقدارها "وكل إناء بما فيه ينضح" وما دمنا على هذا الحال، وبئس الحال خامدين خاملين فليست لنا دلائل على مبدأ حياة جديدة، ولا ولادة من العدم إلى الوجود، فإن أعمالنا لم تزل رديئة لا توافق القرآن ولا السنة.

وقال رضى الله عنه: لعمرى لن تنشط هذه الأمة الإسلامية من عقالها أو تقوم من رقدتها، أو تستيقظ من غفلتها، إلا بباعث يبعثها، ومنبه ينبهها،

كذكر مجد أسلافها وتقليدها فى أعمالهم، وإفهامها أن لهم استعداد للكمال، ورجائهم الخير وتوسمهم إقبال الزمان، وتبسم الدهر فى وجودهم

ويدخل تحت هذا علم تاريخ الأمة وذكر رجالها، وقراءة دينها، وتميزها عن غيرها بالمفاخر: فكل هذا من دواعى الحمية والنجدة وشرف النفس.

إمساك الشيخ عن الكلام واشتغاله بالتسبيح

ثم إن الشيخ أمسك عن الكلام، وأخذ فى تسبيحه. فقال الشيخ عبد القيوم، وكان حاضرًا معنا فى جل هذه الأيام، يا ولى الله إن عندى سؤالا طالما بحثت فى جوابه، فلم أقع فيه على الصواب. قال قل وأوجز. قلت: إنى امرؤ خفيف الحال، ثقيل الأعباء، رزئت بفقد أبى قبل أن أبلغ الغاية التى إليها مدى أملى، وأمل الأهل والأقارب، فانقطعت عن الدرس لقصر يدى عن بلوغ نفقة التدريس التى اشتطت فيها فأصبحت عيالا على أهلى، ولبثنا نعيش جميعًا من فضله كانت لنا، حتى أمسينا ذات ليلة ولم نجد ما نستصبح به فى الظلام، فكرهت أن أجمع عليهم بين خفة الحال وثقل وجودى بينهم، فخرجت أقصد وجوه الرزق لعلى أصل إلى عمل أكسب منه ما أدفع به عنى شر العوز وذلة السؤال، فما زلت أنظر فى وجوه الأعمال، وأتبصر فى أيها أقل مؤنة وأكثرها ربحًا، حتى فتق لى الذهن أن ألقى بنفسى فى أغوار العدالة، فصحت عزيمتى على الدخول فى زمرة هؤلاء، وإن لم أكن معهم، وأقدمنى على ذلك ما أراه كل يوم من ترامى الناس على احتراف تلك الحرفة، وغفلة أهلها عن الذود عنها حتى عبث بها الدعى، وغض منها اللصيق.

ولما طوعت لى نفسى ذلك صرت أسأل كل من لقيته من آهل العلم عن ذلك إلى أن أكرمنى الله بالاجتماع بك، فالرأى رأيك فى ذلك.

فقال الشيخ: أى فلان فما أنت فى الرأس منهم ولا فى الذنب، ولا علمك من ذلك العلم، ولا أدبك من ذلك الأدب، ولكن تألق الشيطان لك فى تزيين هاتيك الضلالة، وألقى فى أمنيتك أن تصير ذا ثروة كما صار كل من جال هذا المجال، فساقك إلى نحسك ونكسك، ووجد له منك معينًا على نفسك، وكادت صحيفتك أن تصبح أشد سوادًا من صحفة أبى لهب، وأظلم ممن افترى على الله وكذب، فتب إلى الله من اقتفائك آثار القوم، فأنت فيه الحقيقى باللوم، فما الذى غبطك من حالهم، حتى أردت الدخول فى زمرتهم، والاقتداء بأعمالهم، أما سمعت قول القائل فيهم:

إن العدول الذى جاد الزمان بهم ... عن العدالة والتوفيق قد عدلوا

أحداث سن وألباب كسنهم ... تالله لو شهدوا فى الكلب ما قبلوا

فعدول زماننا هذا فى هول عظيم، ونكد جسيم، وعناء شديد، وليس فيهم مدبر ولا ذو رأى حميد، أو نظر سديد، فناكرهم المتراكمة لا تقع على بناء إلا هدمته، ولا على بسيط مستوى إلا حفرته، ولا على علية ولا اسطوانة إلا هدتها، ولا على شجرة إلا أحرقتها أو أقلعتها، ثم أمسك عن الكلام، وأخذ فى تسبيحه. فقال عبد القيوم: إنى صرت الآن تائبًا، وفى الحق راغبًا، وما كنت لولا الحاجة الوقتية بملتفت إلى تلك الضلالة المرد.

فقال عبد الباسط بعد هذا: رحم الله من قال: الناس فى زمانهم مخيرون بين أمرين، إما الفضيلة والتعس، وإما الرذيلة والعيش، ثم ودعه وانصرف.

ثم التفت الشيخ عبد الهادى إلى عبد الباسط: وقال له أخبرنى عن الجامع العتيق بأرضكم هذه لأجل أداء صلاة الجمعة فيه غدًا إن شاء الله. فقال: أما المسجد العتيق بهذه الحضرة فهو المسجد الذى أسسه السلطان يوسف بن تاشفين، وكان ذلك سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وبقى كذلك إلى عهد عبد المؤمن الموحدى وبنى بقربه مسجده المعروف بجامع الكتبيين، وكان ذلك سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، وأما مناره العجيب، فقد بناه حفيده السلطان المشهور يعقوب المنصور، وكان ذلك سنة إحدى وتسعين وخمسمائة. وأما هذا المسجد الذى نحن فيه فالمؤسس له أولا هو السلطان على بن يوسف اللمتونى، وبنى مسجده هذا سنة خمس وعشرين وخمسمائة، وكان فسيح الأرجاء، فسيح الساحة، مستطيل المساحة، والذى جدده على هذا الشكل البديع هو السلطان المولى سليمان العلوى رحمه الله، وكان ذلك عام خمس وثلاثين ومائتين وألف، والنظر إليك الآن.

ملخص سيرة على بن يوسف وعبد المؤمن، والمولى سليمان

قال عبد الهادى: فأخبرنى عن ملخص سيرة على بن يوسف، وعبد المؤمن والمولى سليمان ليتمكن لى التوصل لعين الصواب.

قال عبد الباسط: أما على بن يوسف فكان رجلا حليما وقورا صالحا عادلا منقادا إلى الحق والعلماء، ذا ديانة وصدق ونية خالصة وصحة مذهب، ملك بالأندلس من بلاد الفرنج إلى البحر الغربى المحيط، ومن بلاد العدوة من مدينة بجاية إلى جبال الذهب من بلاد السودان، وخطب له على أزيد من ألفى منبر، وكانت أيامه أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن، وكانت

ذلك مصحوبا بطول أيامه ولم يكن فى عمل من أعماله خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا وظيف من الوظائف المخزنية حاشا الزكـاة والعشر وكثرت الخيرات فى دولتـه، وعمرت البـلاد، ووقعت الغـبطة، ولم يكن فى أيامـه نفاق ولا قطاع طريق ولا من يقوم علـيه، وأحبه الناس إلى أن خـرج عليه محـمد بن تومرت عفا الله عنا وعنه.

وأنا عبد المؤمن الموحـدى فله مآثر تذكر، ومحاسـن عليها يشكر، وهو أول من وظف الخراج على أرض المغرب. قال عبد الهادى حسك. قال: وأما المولى سليمان فكان رحمه الله موصوفا بالعدل، معروفا بالخير، مرفوع الذكر عند الخاصة والعامة، أجرى الخلافة على قـوانينها بإقامة العدل والرفق بالرعية والضعـفاء والمسـاكين، ومن وفـور عقله وعـدله إسقاط المكوس الـتى كانت مـوظفة على حـواضـر المغرب فى الأبواب والأسـواق وعلى السلع والغـلال وعلى الجلد وعشبـة الدخان، فزهد رحمه فى هذا كله وعوضـه الله أكثر منه من الحلال المحض الذى هو الزكوات والأعشار من القبائل.

فقـال الشيخ عبـد الهادى: الآن ترجح عندى أن المسـجد العتـيق بهذه الحضرة هو المسـجد اليوسفى، هذا والصـلاة فيه أولى من غيـره نظرا لمؤسسه أولا، والمجدد ثانيا.

فبينمـا نحن جلوس: إذ ورد علينا أبو زيد عبد الرحـمن المشهور، وهو أحد فضلاء مراكش فـتشرفنا بمعرفته والاجتماع به، فـالتفت إلى الشيخ وقال لقـد قصدتك لمـا اشتهـر عنك من الغـبرة الإسلامـية، وكـونك ممن لا زالوا يزاولون أوقاتهم السنية بكل اجتهاد فيما يعود عليهم نفعه عاجلاً وآجلا.

كلام الشيخ عبد الهادى على حديث
من سن فى الإسلام سنة حسنة الخ

وفى أثناء الاجتماع نثر جملا: منها أنه سأل الشيخ عن سبب الحديث المشهور، وهو قوله ﷺ "من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء".

فقال سبب هذا الحديث هو أن النبى ﷺ كان جالسا يوما فجاءه قوم من مضر وآثار الفقر الشديد بادية عليهم، فخطب ﷺ فى الناس وحثهم على الصدقة لأجل أولئك القوم، فابتدر رجل من الأنصار فجاء بصرة من نقود حاملا لها، وقد عجزت كفه عن حملها، فلما رأى الناس ذلك اقتدوا به وتتابعوا على الصدقة حتى اجتمع من ذلك كومان من طعام وثياب: فلما رأى ذلك ﷺ تهلل وجهه وقال: "من سن فى الإسلام سنة" الحديث.

ثم قال الشيخ: وسببه ينطق أن من سن سنة حسنة فى الإسلام فله ثواب فعله ومثل ثواب من يعمل عمله، ولا يفرق الحديث بين مجتهد وغير مجتهد فمن سن فى الزراعات سنة بها حسنت المزروعات واستراح الناس من كثرة العناء وبذلك أصبح قوت المسلمين رخيصا أوسن فى البر أو فى البحر آلة تسهل على الناس المواصلات من الجهات القاصية فى أوقات قليلة بلا أدنى مشقة أو سن فى التعليم سنة تسهل على مريدى التعليم الوصول إلى معرفة ما يجب عليهم فى زمن وجيز بلا أدنى مشقة، أو سن فى قيام الليل سنة تجعل الطاعة فيه سهلة على الناس، أو سن فى الحروب سنة بها يستطيع قومه أن

يكونوا هم الغالبين، أو سن معنى به يصبح الناس فى الارتباط والاتحاد بدرجة لا تقبل الانحلال، أو سن أى معنى من المعانى التى لا تخالف كتابا ولا سنة سواء فى العادات أو فى العبادات فهو مثاب بلا شك، وإن لم يكن من المجتهدين، ومن خصص حديث الرسول ﷺ فقد جهل الدين، وعمى عن مقاصد الرسول ﷺ ولا ينافى ما تقول حديث "وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" فذلك موضوعه محدثة مخصوصة خالفت كتابا أو سنة.

بيان أن الذكر ليس قاصرا على اللسان

وسأله عن الذكر: هل هو قاصر على اللسان فقط أو يعم الجوارح؟ فقال الشيخ عبد الهادى: اعلم أن الذكر ليس قاصرا على ذكر اللسان فقط، بل يعم الجوارح كلها: فذكر اللسان بالثناء، وذكر العينين بالبكاء وذكر اليدين بالعطاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضى.

وسأله عن قوله ﷺ كما فى صحيح الإمام عن جابر (رضى الله عنه) "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"، فقال: دل هذا الحديث وأمثاله على خروج تاركى الصلاة من الدين وعدم اتصافهم به. ثم قال: وانظر إلى غالب أهل زماننا كيف تركوا الصلاة، ولا أظن أنه كسل منهم بل اعتقاد أنها ليست من الدين، ولربما سخروا من فاعليها وهزئوا به، ولاسيما من تخرج من المدارس الوقتية ودرس كتب الطبيعة فإنه أشد سخطا وأسرع تجاهرا بعداوته، واللوم كله فى ذلك يرجع إلى علماء الدين وأئمته لأنهم لو تقربوا إلى الأمراء وبينوا لهم ما ينشأ عن ترك الصلاة ممن المفاسد المضرة بالمجتمع والمصالح العمومية بدليل قله تعالى - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء

والمنكر - وطلبوا المساعدة منهم لأخذوا بيدهم وأعانوهم على مطالبهم، ولو اعتنى رؤساء العلم والدين بإرسال خطباء ووعاظ إلى البلاد والقرى، يرشدون الناس إلى ذلك ويحثونهم على التمسك بدينهم وإظهار شعائره، ويلقنونهم العقائد الصحيحة والمسائل الراجحة، والدلائل الشرعية والعقلية، لساد الدين وظهرت معالمه، لكنهم تساهلوا، وعن الأهم أعرضوا، وإلى الوظائف والمراتب جنحوا، وإلى الذين ظلموا ركنوا، أنى يظهر الدين، والعلماء ساكتون؟ نسأل الله السلامة.

ثم قال الشيخ بعد هذا: فأحوال هذا الجيل والذى قبله قد باينت الشريعة الإسلامية غاية التباين، وانعكست عوائد الناس فيه غاية الانعكاس، وانقلبت أطوار أهل التجارة وغيرها من الحرف فى جميع متصرفاتهم فى مسكنهم، وفى أسعارهم، وفى سائر نفقاتهم، بحيث ضاقت وجوه الأسباب على الناس بسبب ذلك، وصعبت عليهم سبل الرزق والمعاش.

ومن أعظم الأسباب أيضا التى أوصلتهم إلى هذا الحد ملابستهم للعوائد الفرنجية فى السر والعلانية، والأمر لله.

وبالجملة فما نقول فى زمان تقدمت فيه الجهلاء على الفضلاء، والأشرار على الأخيار، واشتبه فيه الأمر، وصار القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر، وحظى فيه المومسات والقواد والمتمسخرون كما قال الشاعر:

قد رمينا من الزمان بسهم ... قدم النذل والكريم تأخر

مات من عاش بالفضيلة جوعا ... وحظى كم يقود أو يتمسخر

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

هل يكفى عن الزكاة القدر المأخوذ ظلما وحكم الفرار منها

وسأله (رضى لله عنه) عما يرتكبه غالب الناس اليوم فى الزكاة من كونهم يحسبون من الزكاة القدر المأخوذ منهم ظلما هل يصح ذلك أم لا؟ فقال لا يصح ذلك، وليس بشىء بل القدر المأخوذ منهم ظلما وقهرا إنما هو معاقبة مالية لا غير، أو ما دروا أن الله أوجب عليهم الزكاة ففى أموالهم فلا يبرءون إلا بدفعها على وجه شرعى، وما لم يكن فليس بزكاة، ومثلهم كمثل من أخذ لص ماله فعده من الزكاة فكما أن ذلك لا ينفعه كذلك هذا لا ينفعهم ولا يجديهم شيًا، فليحذر العاقل ولا يغتر بقول بعض المفتين الفتانين المغترين المغرورين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، تبعا لأغراضهم الشيطانية، والأهواء النفسانية، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا.

ثم قال الشيخ، ومن أغرب ما يرتكبه هؤلاء الناس اليوم أنهم يستغرقون أموالهم فى شراء الأماكن الزائدة على قدر الحاجة، ثم إن جميع الاستغلالات الشهرية الخارجة من كرائها يشترون بها محال أخر، وهكذا حالهم بحيث ربما لا يوجد بيدهم قدر من المال. ولا يخفى ما فى هذا من تضييع حقوق الفقراء والمساكين، بل كان ينبغى لهم بعد أن لم يقفوا مع الحد المأذون لهم من قبل الشرع، أن يقوموا الكراآت الشهرية على رأس كل سنة ويخرجوا منه الزكاة الواجبة عليهم، وبهذا تبرأ ذمتهم يوم القيامة وإلا فلا.. ولما لم يفعلوا سلط الله عليهم من يأخذ منهم مثل ذلك القدر بل وأزيد ظلما وعدوانا على رأس كل سنة جراء لفعلهم القبيح مع متابعتهم بذلك القدر إلى يوم القيامة ولا يخفى أن الأشياء كلها إنما يباح منها القدر الضرورى ليس إلا، وما زاد على

ذلك وبال على صاحبه ألا أن يكون صاحبه مـراعيًا فيه وجع الشرع المتعلق به فيه.

وسبب هذا كله البخل الذى استـفحل شره فى هذا الوقت، ورحم الله الحسن البـصرى إذ يقول: لم أر أشقى بماله مـن البخيل لأنه فى الدنيا مـهتم بجمعـه، وفى الآخرة محاسب على منعه، غيـر آمن فى الدنيا من همه، ولا تاج فى الآخرة من إثمه، عـيشه فى الدنيا عيش الفقـراء، وحسابه فى الآخرة حساب الأغنياء.

قال العلمـاء: كل من لم يخرج زكـاة ماله عن طيب نفـسه، سلط الله عليه وجـوها من الظلم يصرفـه فيـها. قلت وهذا أمر حـاصل الآن غنى عن الإيضاح، وقد صار الشح بالزكاة عامًا طبـعًا فى أكابرهم وأصاغرهم فقرائهم وأغنيائهم، وهذا بهتان وإثم مبين، فإن الله قد أوجب الزكاة على نفس الزرع فى ذاتها، ولو لم يبق منها لصاحبها بعـد دراسها ولا حبة واحدة حتى أنه إذا درس ثم سرق جـميع مـا خرج منه أو نهب لا تسـقط الزكاة، فـبالأولى إذا باعوه بأنفسهم قبل أو بعد أو سلموه للظلمة أو غير ذلك.

وانظر هذه الآية الشـريفة، وهى قـوله تعـالى ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم* يوم يحمى عليها فى نار جهنـم فتكوى بها جـباههم وجنوبهم وظـهورهم هذا ما كنزتم لأنـفسكم فذوقـوا ما كنتم تكنزون﴾ ونظائرها الدالة على توبيـخ مانعى الزكاة وتقـريعه وتعـذيبه الـعذاب الأليم، والأحـاديث الواردة ذلك مما يحـمل الإنسـان على إخراجه زكـاة ماله وبدنه وإعطائها مستـحقيها، لأنهـا تربى المال وتزيده حسا ومعنـى، كما هو مـشاهد لمخـرجيـها من حـفظ ما لهم من الآفـات، وعدم

تضييعه فى المهلكات، ولكن كيف تنفع تجربة، وتعظ وقعة، أو بحجر إسلام وإيمان، أو يفيد بيان، وقد استحوذ على أغنياء زماننا الشيطان واستبطنهم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف ثم أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ، ثم ارتفع حتى باص وفرخ، فحشاهم نفاقا وشقاقا، وأشعرهم خروجا وخلافا، أخذوه قائداً يطيعونه، ودليلا يتبعونه، ومؤامرا يستشيرونه، متى إلى الكتاب والسنة يرجعون، وبآثار السلف يقتدون؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم قال الشيخ (رضى الله عنه): وأزيدكم بشارة سمعتها من بعض المشايخ، وهى أن الكافر يحرم دمه وماله بأخذ الجزية منه، كذلك المؤمن يحرم لحمه ودمه على النار فى الآخرة إذا أخرج الزكاة بطيب نفس.

ومن العيوب التى نراها فى الوقت الحاضر أن المزكى يدفع ما عليه رديئًا أو ناقصًا إن كان من الذين يخافون الله تعالى فى هذا العصر وأراد إخراج الزكاة، وقد قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى طيب لا يقبل إلى طيبًا" كما رواه مسلم فى صحيحه، وقد شاهدناهم يخرجون ردىء الحب عن طيبه، وردىء الزيت عن جيده ويكيلون حق الله بأقل مما يكتالون به لأنفسهم، وذلك كله من الشح والجهل بالله، ويقال فى الحكمة: بشر مال البخيل بحارث أو وارث، وهذا أمره كمن يصلى الصلاة مفقوداً شرطها أو أحد أركانها، أفتراها مقبولة؟ والله يقول: إنما يتقبل الله من المتقين، وفعلهم هذا مناف لعمل التقوى بيقين إذ التقوى سلطانها يدك شوامخ الشح.

ومن العيوب المشاهدة أنهم يدفعون عن بعض الحرث دون البعض، كمن يخرجها من الشعير ولا يخرجها من القمح مثلا، أو عن التجارة الفلانية

دون غيرها، إن كـان من التجار، أو من الذهب ولا يخرجهـا عن الفضة إن كان من أهل الكنز، وقد أوجبها الله فى الذهب والفضـة أو ما يقوم مقامهما كهذه الأوراق الحالية المالية، وكذا فى البقـر والغنم وغيرهما كما هو مقرر فى كتب الفقه.

ومن عيوب من يخـرجها الآن، ومخرجـها اليوم فى حكم الندور: أنه يحسبها ثم يخرجها شيئًا فشيئًا، وذلك أنه كلما وجد محتاجًا قصده يسأل كما هى عادة الفـقراء يقدم له شـيئًا منـها سدًا عن عـرضه فيـرى أنها أغنت عن الزكاة، ودفعت عن عرضه خشية أن يقذفه القاصد إذا لم يعطه حتى ينتهى ما عليـه من الزكاة، ويدعى علـى رءوس الأشهـاد أنه يخرج الزكـاة، على أنه يجب تفرقـتهـا فورً بموضع الوجوب، ويأتم من أخـرجها. فلـيخف الله ربه رجل ملك النصـاب خشيـة أن يسلب ما لديـه، والله عزيز ذو انتـقام. وفى الحديث كـما فى صحـيح البخارى: عن عـقبة بن الحـرث، قال: "صلى بنا النبى ﷺ العصر فأسرع، ثم دخل البـيت فلم يلبث أن خرج فقلت، أو قيل له: فقال كنت خلفت فى البيت تبرًا من الصدقة فكـرهت أن أبيته فقسمته". وفى كـشف الغمـة: أن رسول الله ﷺ قـال: "يكون قـد وجب عليك فى مالك صدقة فلا تخرجها، فيهلك الحرام الحلال، فإن الصدقة ما خالطت مالا إلا أهلكته".

وأمـا تفاخـره على رءوس الأشهـاد بالإخـراج فهـذا مع الفخـر رياء، والمرائى ملعون، والرياء محبط للعـمل، وفى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: "إن أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغـر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسـول الله؟ قال الرياء، يقـول الله عز وجل إذا جـزى الناس بأعمـالهم:

اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء' أخرجه الإمام أحمد فى مسنده.

وحسب مانع الزكاة من الترهيب ما ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها' إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالإبل، قال ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها، ومن حقها حلبها يوم ورودها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أو فر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدًا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، قيل يا رسول الله فالبقر والغنم، قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها شيئًا، ليس منها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار" الحديث. قوله (بطح) الخ: أى فرشت لها الحصباء (بقاع قرقر) القاع الأرض المستوية (والقرقر) الأملس: والمعنى يجعل لها أرض مستوية ملساء مفروشة بالحصباء ويطرح فيها مانع الزكاة وتمر عليه الأنعام تنطحه وتعضه وتطؤه حتى يقضى بين الخلق.

ويوم القضاء كما سبق فى الحديث مقداره خمسون ألف سنة مع هذه

الشدة التى يلاقيها هذا المانع لزكاة ماله قوله (القصعاء) أى التى قرونها ملتوية إلى خلق (الجلحاء) أى التى لا قرون لها (العصباء) أى التى قرنها مكسور: أى أن هذه الأنعام ليس فيها بهيمة ملتوية القرنين ولا من غير قرون ولا مكسورة قرن بل كلها سليمة القرون قائمتها قوية على النطح.

فانظر بعينك أيها العاصى لله، الملعون بنص الحديث أتقوى على ألم حديدة محماة دقيقة من الزمن، أفتقوى يا صاحب الذهب والفضة على صفائح الذهب المحماة بنار تخافها النيران لا دقيقة، ولا ساعة، ولا يومًا، ولا شهرًا ولا سنة، بل خمسين ألف سنة توضع على جنبك وجبينك وظهرك كلما بردت عادت، يا صاحب الأنعام: أفتقوى على ألم وطأة بعير واحد وعضه، أم نطح بقرة أو شاة واحدة وعضها، أفتقوى على نطح أمة من الإبل أو من البقر أو من الغنم تفانت على يديك، يبعثها الله يوم القيامة كاملة سليمة قوية أجمعها على أرض مستوية ملساء معروشة بالحصباء لتتمكن منك فى النطح، وليشتد عليك الأم حقًا، ماذا عليك أن تدفع على الإبل شاة وتتمتع بها، ماذا عليك أن تدفع عجلا فى ثلاثين بقرة، أو شاة فى أربعين شاة وتتمتع بها، وتلقى الله على جناح الرضى والسلامة، ولعل هذا يكفى فى زجر مانعها.

ثم قال الشيخ رحمه الله. بعد هذا، ومن أعظم تجارات هؤلاء المتولين اليوم، شراء المبانى خصوصًا القهوات والخمارات، وحوانيت الفسق والبيوت التى تصلح لسكنى النصارى واليهود، وقد اشترك فى هذا علماء الوقت وقضاته، ولا خوف من الله ولا حياء، وإنما مقصودهم الأهم هو جلب الدرهم على أى وجه كان.

ومن أغرب ما يسمع أن بعض قضاة الوقت ممن لهم الرغبة فى هذه المسالك الشيطانية اكترى منه خمار محلا لأجل أن يبيع فيه الخمر، ووقعت بالقاضى شكايات فى أن يخرج من خمارته الخمار فأبى، وقال إلا إذا لم يبق بمراكش خمار، فحينئذٍ أخرج عنكم هذا، واستعطف بكل وجه فلم يقبل، وكان عاقبة الأمر أن وقع الناس شكايتهم لمن له الكبرياء والعظمة والسلطان.

ما قاله ابن الجوزى فى تأسيس إبليس على أصحاب الأموال

ثم قال الشيخ عبد الهادى: وقد عن لى أن أقل لكم كلام الإمام ابن الجوزى فى هذا الموضوع تتميمًا للفائدة: فنقول. قال رحمه الله فى كتابه (فقد العلم) ولقد لبس إبليس على أصحاب الأموال من أربعة أوجه. (أحدها) من جهة كسبها فلا يبالون كيف حصلت، وقد فشا الربا فى أكثر معاملاتهم وأنسوه حتى أن ج معاملاتهم خارج عن الإجماع، وقد روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: "ليأتين على الناس زمان لا يبالى المرء من أين أخذ المال من حلال أو حرام"، (والثانى) من جهة البخل بها، فمنهم من لا يخرج الزكاة أصلا اتكالا على العفو، ومنهم من يخرج بعضها ثم يغلبه البخل فينظر أن المخرج يدفع عنه العقاب، ومنهم من يحتال لإسقاطها مثل أن يهب المال قبل الحلول ثم يسترده، ومنهم من يحتال بإعطاء الفقير ثوبًا يقومه عليه بعشرة دنانير وهو يساوى دينارين، ويظن ذلك الجاهل أنه قد تخلص، ومنهم من يخرج الردىء مكان الجيد، ومنهم من يعطى الزكاة من يستخدمه طول السنة فهى على الحقيقة أجره، ومنهم من يخرج الزكاة كما ينبغى، فيقول له إبليس ما بقى عليك فيمنعه أن يتنفل بصدقة حبًا للمال فيفوته أجر المتصدقين، ويكون المال رزق غيره. وعن ابن عباس. قال، أول ما ضرب

الدرهم أخذه إبليس فقبله ووضعه على عينه وعلى سرته، وقال بك أطغى، وبك أكفر رضيت من ابن آدم بحبه الدينار من أن يبعدنى. قال وعن الأعمش عن شقيق عن عبد الله، قال إن الشيطان يريد الإنسان بكل ريدة فإذا أعياه اضجع فى ماله فيمنعه أن ينفق منه شيئًا، (والثالث) من حيث التكثير بالأموال فإن الغنى يرى نفسه خيراً من الفقير، وهذا جهل لأن الفضائل بفضائل النفس اللازمة لها، لا يجمع حجارة خارجة عنها، (والرابع) فى إنفاقها، فمنهم من ينفقها على وجه التبذير والإسراف، تارة فى البنيان الزائد على مقدار الحاجة وتزويق الحيطان وزخرفة البيوت وعمل الصور، وتارة فى اللباس الخارج بصاحبه إلى الكبر والخيلاء، وتارة فى المطاعم الخارجة إلى السرف، وهذه الأفعال لا يسلم صاحبها من فعل محرم أو مكروه، وهو مسئول عن جميع ذلك، وعن أنس بن مالك قال. قال رسول الله ﷺ: "يا ابن آدم لا تزول قدماك يوم القيامة بين يدى الله عز وجل، حتى تسأل عن أربع: عمرك فيما أفنيته، وجسدك فيما أبليته، ومالك من أين اكتسبته أين أنفقته". ومنهم من ينفق فى بناء المساجد والقناطر، إلا أنه يقصد الرياء والسمعة وبقاء الذكر، فيكتب اسمه على ما بنى، ولو كان عمله لله عز وجل لاكتفى بعلمه سبحانه، لو كلف أن يبنى حائطًا من غير أن يكتب اسمه عليه لم يفعل، ومنهم من يتصدق على الأجانب ويترك بر الأقارب وهو أولى. وعن سلمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الصدقة على المسكين صدقة، والصدقة على ذوى الرحم اثنان، صدقة وصلة". ومنهم من يعلم فضيلة التصدق على القرابة إلا أن يكون بينهما عداوة دنيوية، فيمتنع من مواساته مع علمه بفقره، ولو واساه كان له أجر الصدقة والقرابة ومجاهدة الهوى، وقد روى عن أبى أيوب الأنصارى قال: قال رسول الله ﷺ "إن

أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح". ومنهم من يتصدق ويضيق على أهله فى النفقة، وقد روى عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول"، وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "تصدقوا، فقال رجل عندى دينار، فقال تصدق به على نفسك، قال عندى دينار آخر، قال تصدق به على زوجتك، قال عندى دينار آخر، قال تصدق به على والدك، قال عندى دينار آخر، قال تصدق به على خادمك. قال عندى آخر، قال أنت أبصر به". ومنهم من يجوز فى وصيته ويحرم الوارث ويرى أنه ماله يتصرف فيه كيف يشاء، وينسى أنه بالمرض قد تعلقت حقوق الوارثين به، وعن أبى أمامة قال: قال ﷺ: "من خان عند الوصية قذف فى الوباء، والوباء واد فى جهنم". قال وعن الأعمش عن خثيمة قال: "إن الشيطان يقول ما غلبنى عليه ابن آدم، فلن يغلبنى على ثلاث، آمره بأخذ المال من غير حقه، وآمره بإنفاقه فى غير حقه، ومنعه من حقه" انتهى كلامه رحمه الله.

الكلام على حديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من يحب لنفسه

فقال أبو زيد بعد هذا للشيخ عبد الهادى: نعم الرجل أنت الذى خبر الأحوال، وذاق مرارة الأهوال، فأنت أقرب الناس إلى متابعة الرسول، ونعم القول الذى تقول، فأخبرنى عن معنى قوله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" فقال الشيخ رضى الله عنه، أما الحديث، فقد رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وأما معناه فقد اتفق المحدثون على أن المراد هو أن الشخص الذى لا يحب لأخيه فى

الإيمان مثل الذى يحبه لنفسه من الخير لا يكون مؤمنًا إيمانًا كاملا بل يكون إيمانه ناقصًا، والإيمان الناقص ضعيف وأنت تعلم أن ضعيف الإيمان لا يكون كاملا فى الإنسانية، ولا كاملا فى الدين، ومن كان كذلك كان عرضة لارتكاب الذنوب والآثام ما صغر منها وما كبر وكان عرضة لتسلط الشيطان عليه وإفساده قلبه، لأن الذى يدفع الشيطان ويبطل وسوسته هو الإيمان القوى الكامل.

إن صاحب الإيمان الناقص يعصى الله كثيرًا ويهفو دائمًا، ولا يكون راضيًا بقضاء الله وقدره وكل الرضى، وبسبب ذلك يجرى الشيطان منه مجرى الدم، ويحقر فى نظره نعمة الله عليه، ويعظم فى عينيه نعمة الله على غيره، فيسخط ويحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، "والحسود لا يسود" ليس عجبًا أن يكون المرء محبًا لنفسه لأنه مدفوع إلى هذا الحب بمقتضى الفطرة وبمقتضى حبه للحياة، وكراهيته للموت، ولكن العجيب أن يحب الخير لنفسه، ولا يحبه لغيره، وهو يعلم أن الكل عبيد لله، وأن خزائن الله ورحمة الله لا تنفد ولا تفرغ، وأن حبه وكراهته لا يؤثران فى قضاء الله وقدره، فلم يكره الخير ولم يعود نفسه هذا الخلق الذميم الذى يدل على الشر والطمع؟ وكيف يلتذ الإنسان إذا كان فى النعيم وحده.

وأين هذا من شاعر الحكمة والاجتماع فى الإسلام الذى كره الانفراد فى النعيم لأنه رأى لذة الحياة، ورأى الإنسانية لا تتم إلا بالاجتماع، ولا تحلو إلا مع الجماعة، فقال:

ولو أنى منحت الخلد فردًا لما أحببت فى الخلد انفرادًا

وبعد فهذا الحديث يصح أن يكون أساسًا من أسس الدعوة إلى

الاشتراكية الحقة، التى تسعد لها الإنسانية، وتحلو الحياة، وتعمر الدنيا بلا سفك للدماء، وبلا حقد ولا حسد ولا طمع، فهل يعمل به المسلمون؟ وهل يسعى إلى تحقيقه من يظنون أنهم على ربهم يعرضون، وعلى حسب نياتهم يحاسبون.

الكلام على قولهم أن الأرض على قرن ثور

فقال أبو زيد: أخبرنى عن قولهم: أن الأرض على قرن ثور، وهل له سند صحيح أم لا؟ فقال الشيخ: اعلم أن سرى فى الشرق بل حتى فى الغرب، منذ عهد قديم فكرة خاطئة لعلها ترجع إلى عهد اليونان أو عهد بنى إسرائيل أو الفراعنة الأقدمين، تلك الفكرة الخاطئة هى أن الأرض قائمة على قرن ثور، وأن الثور إذا تعب نقلها إلى القرن الآخر فتحصل الزلزلة الأرضية، ومن المحزن أن تعلم بأن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها دخلت عليهم هذه الفكرة الفاسدة مع الإسرائيليات التى نقلت إليهم فصدقوها وحسبوها حقًا، فجمدوا عليها ولم يتحولوا عنها أجيالا، وفى أخبار قصاص المسلمين أشياء عجيبة تضيق بها صدور العقلاء. وأنا أحكى بعضها لبيان ما أدخله القصاصون على الإسلام مما ليس منه فتقبلته العامة، وسرى إلى بعض الخاصة، فحسبوه من أسرار الكون التى خفيت على كثير من الناس، وإنك لا تزال ترى بعض الشبوح من علماء المذاهب يصدقون هذه القصص ويتحدثون بها، ويعلمونها الناس فى دروسهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

رووا أن الله تعالى لما خلق الأرض أهبط لها ثورًا من الجنة، ثم جعلها على قرنه، ثم خلق صخرة ليستقر عليها الثور، ثم جعل الصخرة على ظهر

حوت عظيم يسبح فى البحر، وبعد البحر ريح، وبعد الريح شىء لا يعلمه إلا الله. وبعضهم يروى أن الله جعل الأرض على حوت وهو النون الذى قال الله فيه (ن والقلم وما يسطرون) وجعل الحوت فى الماء وجعل الماء صخرة، وهى الصخرة التى ذكرت فى سورة لقمان فى قوله (يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله)، ثم وضع الصخرة على ظهر ثور، والثور على الريح، وما وراء ذلك مجهول للخلق، وإنا لنحمد الله كثيراً فقد صارت هذه الأقوال مما تمجه الأذان وتسأم حديثه النفوس لأنه باطل، والباطل لا يدون ولا يحب طويلا، أما الذى قرره العلم الحديث هو أن الأرض كانت جزءاً من الشمس فانفصلت عنها ثم تكورت فهى تسبح فى الفضاء وتدور.

وبسبب هذا يحصل الليل والنهار، وتتغير الفصول، وهذا بعينه هو المفهوم من القرآن الكريم، قال تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما)، وقال: (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) وقال (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء).

رحلة الناس إلى بلاد الفرنج

وسأله عن حكم ما عليه عمل جل المتولين فى الوقت من كونهم يشدون الرحلة للأراضى الأوروبية لأجل التفسخ فهل ذلك مباح أو مكروه أو ممنوع.

فأجابه الشيخ بقوله: كان عمل الناس فى القديم أنه لا يشتد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد: مسجد المدينة المنورة، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى.

تم صار عـمل جل الناس اليوم على خـلاف ذلك، فجعلـوا كعبـتهم أوروبا يقصـدونها لأخذ علـوم الفلسفة والطبـيعة وعلوم الجـدل وفنون الغش وأنواع المكر والخـداع، ويلقـون المذاهب المنافيـة لروح الإسـلام ومدنـيتـه، ويأتون ساخطين على الدين وأهله، ويعـيبون على ما تمسك بقـواعد الدين الحنيف، وينقمون على عادات أقاربهم وأهاليهم من صلاة وصيام.

وهذا ما جلبته أوروبا علينا بخيلها ورجلها، وهم يدعون أنهم وطنيون، لا! وقطع الله الوطنية التى تؤدى إلى إزدراء الدين، وتقويض دعائمه ومحاربة أهله، ومجانبة أهـم أركانه. على أنك لو حققت سبب سرعـتهم لانتهاز هذه الفرصـة لوجدتها فرصـة الحرية الموهومة التى يخـدمون بها أنفسـهم حيث لا يخشـون منتقدًا ولا يـرون ذامًا فينقلون من بيت فـسق إلى بيت ميـسر، ومن حانة إلى دار رقص، وهكذا يقـضون أيامهم حتى تظه خلتـهم ويبين عوزهم فيعودون إلى بلادهم وهم مـصابون فى صحتهم وأموالهم وأخلاقهم حـسبما ذكرنا، وليت المصيبة فيهم تقف عند هذا الحد بل أنهم ليسيئون سمعة بلادهم من حيث يشعرون، ومن حيث لا يشعرون.

إن الأجانب الذين لا يرون أمثال هؤلاء فى بلادهم يظنونهم سراة القوم وعليـتهم وقـادتهم فمـاذا تكون الحال عنـدما يرونهم منهـمكين فى أسبـاب الجهالة، غارقين فى بحار الضلالة؟ إنهم يعـتقدون لا محالة أن أمة هذه حال سادتها لمن أحط أمم الأرض عقلا وخلقًا، أمـة يجب على الرشيدين من عباد الله أن يبسطوا إليها أيديهم ليغـشوها من تلك السقطة، إن هؤلاء القوم الذين يذهبون منا إلى البلاد الإفرنجية أكثرهم ممن ينتسبون إلى الإسلام ظلمًا، وأنت لو سـألت أحدهم أن يجـعل إحدى رحـلاته إلى زيارة الأمـاكن المقدسـة أو

للتعرف بأمم الإسلام: مهبط المدنية الحقيقة لأجابك أنه لا يعنيه ولا يسره أن يسافر إلى بلاد لم يأخذ أهلها بأسباب المدنية، وقد يعتذر بأنه يخشى على نفسه بلادًا يضطرب فيها حبل الأمن، ولو أنصف الحقيقة لقال: إنه لا يعرف القصد من زيارة هذه الأماكن القدسية، ولا ما أوجبته الشريعة الإسلامية، لو سألته ماذا يفعل الإفرنج فى حجر الطاعم أو التدخين أو حفلات الرقص: لرأيت له لسان فيلسوف محنك، قتل الموضوع خبرًا وعملا، بمثل هؤلاء تأخرت الأمم الشرقية، وبسببهم طمع فيها ذوو المآرب الاستعمارية، وسيبقون مستعدين لهم حتى يغيروا ما بأنفسهم، (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

من لى بأن يعلموا أن تقليد الإفرنج الذى ذهبوا فيه كل مذهب هو المعول الذى هدموا به استقلال بلادهم، ودمروا ثرواتهم، وضيعوا قوميتهم فقد أصبحنا بفضلهم نقلد الإفرنج التقليد الأعمى، ونسير وراءهم خطوة فخطوة، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعناهم، وهذه حال نسأل الله السلامة من عواقبها.

ترى هل يقطع رؤساؤنا عن هذه الأمور المخزية، وحسبهم من ضياع شئوننا ما مضى، وهل يجودون ببعض الأموال التى ينفقونها هنالك ذات اليمين وذات الشمال على أبناء أمتهم، فيسعون فىَ تعليمهم وتهذيبهم، ويؤدون ما يجب لبلادهم عليهم، وهل يجعلون وجهتهم فى السياجات كما كان يفعل سلفهم الصالح نحو الأقطار الإسلامية، والبلاد الشرقية، ويتعرفون بأهلها، ويتخذون منهم أصدقاءهم وإخوانهم ليتشاركوا فى السراء، ويتعاونوا فى الضراء، حتى يكونوا فى توادهم وتراحمهم: كمثل الجسد إذا اشتكى منه

عضو تألم له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، إنهم لو فعلوا ذلك لأنقذوا بلادهم ومجدهم، (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون).

الكلام على الحديث الناهى عن الجلوس فى الطريق

وسأله عن قوله ﷺ: "إياكم والجلوس بالطرقات. قالوا يا رسول الله: ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها. فقال رسول الله ﷺ إذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقه. قالوا وما حق الطريق؟ قال غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر".

فقال الشيخ رضى الله عنه: أما الحديث فقد رواه البخارى ومسلم وغيرهما، وقولهم: ما لنا بد من مجالسنا: إنما هو إخبار بالواقع، وبيان حاجتهم إليه فرجوا أن يخفف عنهم لذلك، وزاد أبو داود على هذه الخمسة "وإرشاد ابن السبيل، وتشميت العاطس إذا حمد الله" وزاد البزار، "والإعانة على الحمل": وزاد سعيد بن منصور "وإغاثة الملهوف" وزاد الطبرانى "واهدوا الضال" وزاد الترمذى وغيره "وحسن الكلام، وأفشوا السلام" فمجموعها أربعة عشر أدبًا، والحكمة فى النهى عن الجلوس فى الطرقات أنه بجلوسه فيها تعرض للفتنة، إذ لا تخلو الطرقات من الشهوات، ومرور النسوة، والفاجر والفاسق، وأنها مجمع الشياطين، ولربما لا يتمكن من حفظ نفسه من الوقوع فى المكاره والمفاسد، ففى منعه منها صيانته من ذلك كله وحفظه، فرخص لهم الشارع فى ذلك إذا قاموا بحقه.

وانظر هذا مع الحالة السيئة التى عليها الناس اليوم فتراهم مستغرقين جل أوقاتهم الليلية والنهارية فى الطرقات ولأشغل لهم إلا ذكر الخرافات والأضاليل وهتك العورات غائبين عما أمروا به فى السر والعلانية.

حكم التختم بالذهب واستعمال أوانى الذهب والفضة ولباس الحرير

وسألـه عن حكم التختـم خاتم الذهب، وآنيـة الذهب والفضـة ولبس الحرير. فـقال الشـيخ عبـد الهادى رضى الله عنه أمـا خاتم الذهب فـحرام بالإجماع على الرجـال، وأما آنية الذهب والفضة فيكفى فى تحـريمها ما رواه البخارى ومسلم عن أم سلمة. قال رسول ﷺ: "الذى يشرب فى إناء الفضة والذهب إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم". وفى حديث آخر لهما: "لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافـهما" الحديث. وأما لبس الحرير والقـسى والديباج والميـثرة والاسـتبرق قـال النووى. كله حـرام سواء لبـسه للخيلاء أو غيره، وانعقد الإجماع على إباحته للنساء، وتحريمه على الرجال، (والميثرة) تعمل من حـرير وغيره: كالفراش الصغـير وتحشى بقطن أو صوف (والقسى) بفتح القاف وكسر السين المشددة ثياب مضلعة فيها حرير، يعنى هى ثياب كـتان مخلوط بحرير، والاسـتبرق الغليظ من الحرير، والديبـاج الرقيق منه، وفى الحـديث عن عمـر رضى الله عنه، قال سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: "لا تلبسـوا الحرير فإنه من لبسه فى الدنيا لم يلبـسه فى الآخرة" رواه أصـحاب الكتب السـتـة، وظاهر الحديث أنه كـناية عن عدم دخـول الجنة، ولذلك قال ابن عمر: والله لا يدخل الجنة، واستدل عَلى ذلك بقوله تعالى - ولباسـهم فيهـا حرير -، ويشـهد له أيضًا مـا رواه الشيخـان عنه "إنما يلبس الحـرير فى الدنيا من لا خـلاق له فى الآخـرة" والخلاق - كـما فى شـروح الحديث، وكتب اللغة - النصيب.

وقد أجمع المسلمون على التحريم، وهذه الأحاديث إذا لم تفد التحريم

فليس فى الدنيا محرم، ولا تلتفت إلى قول فى المذهب أو رأى لبعض العلماء فإن ذلك من اتباع الهوى ودسائس الشيطان والعادات القومية المخالفة للشريعة المحمدية، وأصرح منه فى الدلالة على المنع مطلقًا ما رواه البيهقى بسنده عن أبى اسحاق، قال: دخلنا على عبد الله ابن عمر وهو بالبطحاء، فقلنا يا أبا عبد الرحمن: إن ثيابنا هذه قد خالطها الحرير وهو قليل: قال: اتركوا قليله وكثيره.

فليت شعرى من أين أخذ أهل عصرنا حل لبس الحرير والتفرقة بين قليله وكثيره، وبين حرير الدودة والحرير الهندى، ولا يبعد أن يكون تشبههم بالنساء وإطاعتهم لهن سولا لهم ذلك، ولا تغتر بما سطرته يد أثيمة، أو أثبتته صحيفة سوداء، فإن ذلك مخالف لما قد علمت، والعصمة لله ولرسوله ﷺ. حفظنى الله وإياك من الزلل.

ثم قال الشيخ بعد هذا: ما أحسن الفقيه إذا كان فقيهًا، وما أقبح الفقيه إذا كان سفيهًا، وما أحسن الفقيه إذا أخلص معاملة مولاه، وما أقبح الفقيه إذا ملكته نفسه وهواه! وما أحسن الفقيه إذا تواضع وانكسر! وما أقبح الفقيه إذا تجبر واستكبر! وما أحسن الفقيه إذا انتبه واتبع! وما أقبح الفقيه إذا تغافل وابتدع.

حكم الإناء المحلى بالذهب أو الفضة

وسأله عن حكم اتخاذ المجانة المحلاة بالذهب أو الفضة. فقال الشيخ: اختلف العلماء فيها. فمنهم من قال بالمنع، ومنهم من قال بالجواز، وممن رأى الجواز الشيخ عبد الرحمن الشنقيطى، ولفظه تقليد المجانة فى الوقت جائز نص عليه البرزلى، واقتصر عليه الشيخ حلولو والحطاب فى باب الوقت

المختار، وعزاه الكل لابن يونس فى كتاب الصوم، وحمل التى بها تحلية من ذهب أو فضة يجرى على حمل الحرز المحلى بالذهب أو الفضة. قال ابن شعبان فى كتابه الزاهى: الحروز التى تحمل للرقيا يجوز تحليتها بالذهب والفضة سواء كان فيها اسم الله أو غيره. نقله عنه الشيخ سالم والحطاب. وقال الشيخ إبراهيم الشبرخيتى المالكى عند قول الشيخ خليل، وعصى وصحت أن لبس حريرًا أو ذهبًا: ظاهره أن حمل الذهب بالكم والجيب ونحوه جائز وهو كذلك، ونص عليه الزرقانى بقوله: لا أن حمله بكمه أو جيبه أو نحوه مخرج له من العصيان، ونص الشيخ خليل فى توضيحه على جواز تحليه غمد السيف وهو محمول لصاحبه. ونص البرزلى على جواز تحليه الدواة وهى تحمل وتناول، ونص ابن الحاج فى المدخل وعزاه لظاهر المذهب أن معرفة الوقت فرض عين على كل مكلف. قال الحطاب: ظاهره أنه لا يجوز لأحد أن يقلد فيه أحدًا. قال القرافى فى فروعه هو فرض كفاية، ومن المعلوم عند أهل الأصول: أن الأمر الذى لا يتم الواجب إلا به واجب: لا سيما والبلد بلد غيم فى أكثر الزمان لا يعرف النهار فيه بالظل ولا الليل بالنجوم، فمست الحاجة إلى ما يعرف به الوقت فى زمن الغيم، وما رأينا آلة أضبط منا فى الغيم والصحو، فهى إما فرض عين على قول ابن الحاج، وإما فرض كفاية على قول القرافى فى إجراء الوسائل مجرى المقاصد، وإعطاء الوسائل حكم المقاصد ا هـ لفظه والله أعلم بالصواب.

حقوق الجار

وسأله عن الجار وما يجب عليه له فى السر والجهار. فقال إكرام الجار والإحسان إليه ومواساته عند حاجته أمر محبوب ومأمور به، وبه جاءت

الشرائع، وقد نص القرآن على ذلك، ووردت أحاديث كثيرة فى الإحسان إلى الجار وعدم أذيته، والجار عام يشمل المسلم والكافر، والتقى والفاجر، صديقًا كان أو عدوًا، أجنبيًا أو قريبًا، إلا أن بينهم تفاوتًا فمن اجتمعت فيه الصفات المحمودة، والخصال الحميدة، كان فى أعلى المراتب، ون كان فيه أكثرها فهو تابع له فى المرتبة، وهلم جرًا فيعطى كل ذى حق حقه بحسب حاله، وباعتبار مقامه، يدل له ما رواه الطبرانى والبزار من حديث جابر مرفوعًا: "الجيران ثلاثة: جار له حق وهو المشرك له حق الجوار، وجار له حقان وهو المسلم: له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق: جار مسلم، له رحم، له حق الإسلام والرحم والجوار" فحفظ حق الجار من الإيمان، والإضرار به من الكبائر لقوله ﷺ فى بعض الروايات "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره".

وانظر إلى أبناء زماننا كيف منعوا الجار حقه، واستبدلوا الإكرام بالإيذاء، والإحسان بالإساءة، حتى أصبح أقرب الناس جوارًا أشدهم عداوة لجاره، وأعظمهم ضررًا، وأسرعهم تنكيلا به، وأحرصهم على هتك عرضه، ولا سيما إذا كان بينه وبين جاره رحم وقرابة، فإن الإيذاء له يزداد ويتعاظم، وكل ذلك من الجهل بالدين، وعدم انتشار آداب الإسلام، وتساهل العالمين بالأحكام، نسأل الله أن يوفق علماءنا الأعلام وأمراءنا الكرام، إلى استدراك الخطب قبل استفحاله، وقطع عرقه قبل سريانه، بنشر التعليم بين المسلمين عامة، وتخريج وعاظ ومرشدين قادرين على تفهم العوام أمر دينهم، وبيان حقوق الأفراد والجماعات، وما ينشأ عن الجهل وترك الدين وتقليد الأجانب فى الأمور المخلة، والمفاسد المؤثرة فى المجتمع من سقوط الأمة وانحطاطها

ووثوب العدو عليها وافتراسها، واستبعاده إياها كما هو حاصل الآن، فيصبح الشعب متعلمًا متيقظًا لنفسه، متمسكًا بحقوقه، محترمًا لجاره ورحمه، مقتديًا بسلفه، عاملا بشريعته ودينه، ناظرًا إلى منفعة أخيه ووطنه، مكبًا على رضا ربه، متباعدًا عما يضر بقومه وأبناء جنسه، متحاشيًا الرذائل، متحليًا بالفضائل، وغير ذلك من الصفات التى تقدمت.

حكم قراءة الجرائد والمجلات

وسأله عن حكم قراءة الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية. فقال: هذه الأقاويل تعجبك إن كنت ممن يحب التدجيل، ويؤمن بالخرافات، وتكون أفكوهة لك إن كنت ممن ينكرون تلك الوساوس، ولكن هل يتسع وقتك لقراءة مثل هذه الأقاويل للتفكه إن كنت ممن يحرصون على أوقاتهم. فقال أبو زيد فما رأيك فى تلك الصحف التى باتت تنسج بغير فرقان على صاحب الدار والغريب، وتقرض بلا مبالاة عرض البعيد والقريب، أترى فى وجودها ضررًا محضًا، أو منفعة خالصة، أم هى كالخمر فى حيالها، قد جمعت بين الإثم والمنافع، فوجودها بيننا ضار نافع.

وقال الشيخ عبد الهادى: لقد نظرت قبل اليوم فى مثل هذا السؤال وما احتوى عليه من الهدى والضلال، فألقيت فيه شرًا قائمًا، وخيرًا جاثمًا، فرأيت أن أزن الاثنين: فلما حملتهما إلى الميزان، ونظرت فيه بعين العرفان، شالت كفة النفع والخير، ورجحت كفة الشر والضير، فقلت زدنى بارك الله فيك، وأسمعنى تأويل ذلك من فيك. قال: أعلم أنه ما من شىء إلا وفيه منفعة ترجى، ومضرة تخشى، أما وجوه النفع فى بقاء تلك الصحف، فهى عديدة إلا أنها لا تكاد تتجلى لغير علماء العمران والباحثين فى ترقية شئون

بنى الإنسان: فمنها أن بقاء تلك الصحف على الحال التى هى عليها عنوان على وجود الحرية فى البلاد التى تنشر فيها، ومنها انتشار اللغة فى الجملة بانتشار تلك الصحف فإنك لا تعدم أن تجد فى صحائف الأسبوع أسلوبًا رقيقًا، ومعنى دقيقًا، يعز وجودهما. وأما وجوه المضرة فى بقائها فكثيرة: منا دبيب الفساد إلى أخلاق العامة لكثرة ما يقرأون ويسمعون من ألفاظ السباب، وإذا فسدت الأخلاق فى أمة فقد فسد فيها كل شىء.

حكم ذبيحة أهل الكتاب

وسأله عن حكم أكل الذبيحة المحرمة عند اليهود المعروفة بالطريقة فقال الشيخ: اختلف العلماء فيمن تجوز تذكيته على ثلاث أقسام: قسم تجوز تذكيته مطلقًا، وهم أهل الإسلام. وقسم لا تجوز تذكيته مطلقًا، وهم المجوس. وقسم اختلفوا فيهم، وهم أهل الكتاب: فمنهم من أجازها بأن قال إذا لم يكونوا من نصارى بنى تغلب ولا مرتدين وبحوا لأنفسهم وذكروا الله على ذبيحتهم، وإذا لم يعلم أنهم سموا الله أو جهل مقصود ذبيحتهم أو كانت الذبيحة مما حرمت عليهم بالتوراة أو كانت مما حرموها على أنفسهم مثل هذه الذبيحة التى تكون عندهم فاسدة فلا تجوز.

ثم قال الشيخ: ومن المتعارف من مذهبهم الفاسد أن الطريقة لا تؤكل عندهم لأنها صارت بسبب ما عارضها على سننهم الشيطانى جيفة، وأحبارهم يقولون هذه جيفة ولا يشتريها ولا يأكلها إلا الجيفة، وأحق الناس بهذه الجيفة هؤلاء المسلمون، على أنه لو لم يرد فيها حكم المنع لكان الأولى للمؤمن أن يتجنبها احتياطًا لدينه، وفرارًا من الوقوع فى الشبهات، وقد بلغنى عمن أثق به أنهم إذا أرادوا بيعها للمسلمين لطخوها ببولهم تلطيخًا كليًا، وهكذا فى أشغالهم كلها المخصوصة بالمسلمين والأمر لله.

فقال الشيخ عبد الباسط بعد هذا: فلو رأيت يا مولانا ما ظهر فى الوقت مما هو مستغرب الوقوع زيادة على الأسباب التى حل بها السخط والمقت، لرأيت العجب، فقال له عبد الهادى: وما ذاك؟ قال جعل القديد - وهو الخليع بلغتنا المغربية - من لحوم الخيل والبغال والحمير المريضة: بل والميتة حتف أنفها، ولا مراقبة ولا مسئولية، وكون البائعين له طائفة من اليهود لا شغل لهم سوى ذلك، يأتون به يابسًا لهذا القطر المراكشى: بل وغيره من الأقطار المغربية فيشتريه منهم أصحاب هذه الحرفة من المسلمين، وهذه النعمة قد ارتفعت الثقة بها اليوم بسبب ما خالطها من هذه الخيانات وارتكاب ما لا يجوز ارتكابه فى جميع الحالات، فلتبتهل المسلمون إلى الله سبحانه فى رفع هذا الغضب الذى ينزل ببطون عدد منها كل يوم.

حكم أكل الطعام الذى صنعه الكتابى

وسأله أبو زيد عن حكم أكل ما يصنعه الكتابى من الطعام. فقال الشيخ: ذكر العلماء أن ما يصنعه الكتابى من الطعام على ثلاثة أقسام: طعام عمر، وطعام كفر، وطعام مكر، فطعام العمر ما يصنعونه لأكلهم، وهذا هو طعامهم، وهو حل لنا بكراهة لأن إمامنا مالكًا رضى الله عنه كره للمسلم أكله سواء كانوا أهل ذمة أم أهل حرب. وقال الإمام سحنون لا يؤكل فى آنيتهم حتى تغسل. وطعام الكفر ما صنعوه لكنائسهم وأعيادهم ونحو ذلك من ضلالهم، وهذا ليس من طعامهم، وإنما هو من طعام كفرهم فلا يحل لمسلم أكله لأنه مما أهل به لغير الله، وقصد به تعظيم الكفر برسول الله ﷺ. وطعام المكر ما صنعوه لمسلم، وهذا ليس من طعامهم، وإنما هو طعام مكرهم، فلا يحل لمسلم أكله: لا سيما إن كان بلحم لأنهم أهل الغش

والخديعة والعداوة البالغة فكيف تأمنهم على أطعمتنا أو نصدقهم فى أنهم أتموا الذبح وكل ما يلزمنا، ولذلك لا يحل لمسلم أن يوكل كافرًا على سمسرة أو بيع أو شراء أو صرف لأن لله فى ذلك حقوقًا أوجب القيام بها، وحقوق الله تعالى لا يؤمن كافر عليها، فكل ما زعموا أنهم ذبحوه لنا فهو جيفة، وكل ما زعموه أنهم صرفوه لنا فهو ربا، ولذلك أمر عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أن لا يكونوا جزارين ولا صيارفة، وأن يقاموا من أسواقنا كلها. وقال إن الله أغنى المسلمين بالمسلمين فلا تستعملوا الكفار فى شيء من أعمالكم.

فقال عبد الباسط بعد هذا: وقد رأينا اليوم عددًا ممن يدعى الإسلام وليس منه، يوكلهم فى قضاياه كلا من أخذ وإعطاء وبيع وشراء ظانًا أنه بذلك تنجح مآربه وتصفو مطالبه.

فقال الشيخ عبد الهادى: سبب هذا لغفلة عن المصالح الأخروية، والإعراض عما أمرت به الشريعة المحمدية بل الذى يجب على كل مؤمن أن يستحضر بغض كل كافر لنبينا ومولانا محمد ﷺ، ويستحضر عظيم عداوتهم لنا، وطعنهم علينا فى ديننا، وأن كل كافر منهم ولى الشيطان اللعين العدو المبين، قد استحوذ عليه فأخذ بعقله ومجامع قلبه، وقاده من ناصيته حتى لا يتحرك بحركة، ولا يتكلم بكلمة إلا عن رأيه، فيرى كل مؤمن حينئذٍ بنور إيمانه أن كل يهودى أو نصرانى إنما هو إبليس بعينه فيفر منه بدينه حتى لا يغتاله بقربه من حيث لا يشعر به، وأقرب ذلك أن يتجنب له بشيء من ماله أو أدبه حتى يوقع فى قلبه شيئًا من حبه يستوجب بذلك سخط ربه أو يطعمه من طريفة أو خمرًا أو جيفة أو يدخل عليه ربًا فى كسبه. قال سهل بن عبد الله رحمه الله: من صحيح إيمانه، وأخلص توحيده فإنه لا يأنس إلى كافر،

ولا يؤاكله ولا يشار به ولا يصاحبه، ويظهر له من نفسه العداوة والبغضاء، ومن داهن كافر سلبه الله حلاوة السنن ومن تحبب إلى كافر لطلب عز فى الدنيا أو غرض منها أذله الله بتلك العزة وأفقره الله بذلك الغنى، ومن ضحك فى وجه كافر محبة فيه نزع الله نور الإيمان من قلبه، ومن لم يصدق فليجرب.

ثم قال الشيخ: وأما المعاملة للمبايعة العادية أو المجاورة أو للمرافقة بحيث لا تضر بالدين، فليست بمحرمة بل قد تكون محتسبة فى مواضعها.

حكم الأخذ بعادات الكفار

وسأله أبو زيد عن حكم النزهة يوم السبت عملا بمقتضى ما عليه أصحاب السبت. فقال كل عمل كان مخصوصًا بأعداء الدين لا يجوز ارتكابه إلا لعذر شرعى، ومن ارتكب ذلك أداه إلى خرق طاقة صعب سدها، وفتن مترادفة عز دواؤها.

ثم قال الشيخ عبد الباسط مخاطبًا الشيخ: وهذا الداء الذى سألك عنه أبو زيد من أعظم القوادح لوقتية التى تظاهرت به عوام هذه الأقطار المغربية، وصاروا يتطالون إليه بالأعناق، ويتشرفون إلى طلعته بالعيون والأحداق، وهذا دأب الطائفة الملعونة وعاداتها، وسببه ارتكاب ما نهى عنه الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أن أهل الذمة لا يجاورون المسلمين، وقد أمر أن يكونوا بمعزل فى موضع معلوم منحازين عن المسلمين بكثير لئلا تقع بينهما موافقة فى شىء ما، وقد انعكست القضية والأمر لله الذى لا تخفى عليه خافية، وها نحن نرى ما عليه أهل الحرف اليوم يتركون شغلهم فى هذا ليوم ويذهبون للنزهة الجامعة لكل بلية وفتنة، اقتداء بالطائفة الملعونة عياذًا بالله

مقتديًا فى ذلك صغيرهم بكبيرهم، بحيث لو سئلوا عن هذه الداهية التى هم لها عاكفون. قالوا بلسان واحد: إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، لا سيما وقد اتخذوا له المجالس الحفلية، واختاروا له القينات الجميلة، واعتكفوا عليه كاعتكاف أهل الضلالة، ودعاهم الجهل إلى ارتكابه والبطالة، وقد شاهدنا أقوامًا منهم متعددة مجتمعين مع هذه الطائفة المتمردة فى اليوم المذكور، على نهج ما هم عليه من الضلال والثبور، على أنه لا يخفى أن من تشبه بقوم فهو منهم، ومن المقرر أن كل جنس إلى جنسه مألوف.

فقال له أبو زيد، وما هو السبب الموجب لليهود اتخاذ يوم السبت دون غيره من الأيام.

قال عبد الباسط: هو أن إرادة الحق سبحانه اقتضت خلق السموات والأرض فى ستة أيام كما قال جل من قائل (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى تسة أيام) خلق الله الأرض فى يومين ولو شاء لخلق سبحانه الكل فى لمح البصر، ولكنه تعالى علمنا بذلك التأنى فى الأمور، وأول الخلق الأحد، وآخره الجمعة.

ثم إن إخوان القردة لما رأوا ذلك ظنوا بزعمهم الفاسد، ورأيهم الكاسد أن الحق سبحانه استراح فى هذا اليوم الذى هو يوم السبت واستلقى فيه على عرشه، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، تركوا العمل فيه لأجل الاستراحة التى سولت لهم أنفسهم الخبيثة فرد الله سبحانه عليهم فى قولهم: استراح واستلقى على عرشه يوم السبت بقوله سبحانه (وما مسنا من لغوب) أب تعب كما تظنون، وإذا كان مبنى هذا ما سمعت فكيف يحل لامرئ مسلم يحب الله والرسول الاعتكاف على ما عليه عمل الطائفة الزائغة الملعونة،

والآمر لله. اللهم لا إذا كان ذلك لقصد مخالفتهم والرد عليهم، وتخريب عملهم. وهدم أساس بنيانهم فى ذلك اليوم، فلا بأس به؛ بل هو المطلوب، وعليه عمل عقلاء الطائفة الجزولية، ودليلهم قوله ﷺ: "أكثروا من الصلاة على يوم االسبت فإن اليهود تكثر من سبى فيه، فمن صلى على فيه مائة مرة فقد أعتق نفسه من النار، وحلت له شفاعتى يوم القيامة". وقال ﷺ: "عليكم بمخالفة الروم يوم الأحد، قالوا يا رسول الله كيف نخالفهم؟ قال يدخلون كنائسهم ويعبدون أصنامهم ويسبونى، فمن صلى الصبح يوم الأحد ثم جلس حتى تطلع الشمس ثم صلة ركعتين بما فتح الله عليه ثم يصلى على سبع مرات ثم يستغفر لأبويه ولنفسه وللمؤمنين غفر له ولأبويه، وإن دعا استجاب الله له، وإن سأل خيراً أعطاه إياه" خرجهما النبهانى فى كتابه سعادة الدارين، وكذا فى أفضل الصلوات.

ويحكى عن العارف الشهير الفقيه القاضى أبى الفضل عياض اليحصبى المالكى رحمه الله: أنه كان لا يخرج من بيته يوم السبت، وذلك لاشتغاله بتأليفه الشفا، فى حقوق المصطفى، عملا بالوارد، وهذا الفعل محمود، لكن المتصف به على الحقيقة مفقود، والنادر لا حكم له، بل الغالب والمشاهد فى الوقت هو العمل فى ذلك اليوم على اتباع الأهوية والتشبه بسنن اليهودية، فى الأقوال والأفعال الواهية، كالتفكه بأكل لحوم الإخوان والجنسى، وتتبع العورات الوقتية، وإضاعة الصلوات المرعية الدالة على الخسارة والرؤية، والاعتكاف على اللعبة المعروفة بالضامة والكرطة اللتين هما أعظم الملاهى المزرية، وأكبر من كل كبيرة دنية، لما ينشأ عنهما من انفساد والخروج عن الأحوال المرضية، والغفلة التى هى أعلى وجوه الخسران ومنبع كل فتنة وبلية،

وتعميـر أسواق الهزل والمزاح وغير ذلك من أسبـاب القواطع المردية، والمضار الدينية والدنيـوية، اغترار بالرجاء وطول الأمل والأمنية، وهـذا عمل الطائفة اليـهودية، وأسـاس ديدنها بكرة وعـشـية، والأمـر لله الذى لا تخفى عليـه خافية، ومصداق هذه البلايا الوقتية، ما خرجه البخارى فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال "لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبرًا، وذراعًا بـذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن؟" أى ليس أحد غيرهما.

فقـال له أبو زيد بعد هذا: هذا والله ضلال فـاحش، وتشبه متـفاحش وطريقة مـحرومة، ومـتابعة مذمـومة، وفق الله أميـر الوقت لقطع هذه المادة الشيطانية والعادة الكفرية.

حكم الإقامة بمحل كثر فيه المنكر مع عدم القدرة على تغييره

وسأل أبو زيد الشيخ عبد الهادى بقوله: مـا جوابكم فى موضع كثر فيه الظلم والأشرار، وانتشر فيه البـاطل والمكس كل الانتشار، وذل فيه المسلمون وعز فيه الكـفار، وارتفع فيه الجور والظلم، واتضع فيـه أهل المعرفة والعلم، وتمكست فيـه المبيعات على المسلـمين، وأشكل الأمر على المستـرشدين، ولم يظهر من فضلائه ناكر لمنكر، فلا أدرى خوفًا على أنفسهم أم استهزاء بالأمر. ثم إن إنسانًا اضطر إلى أخـذ العلم من علماء الموضع المذكـور، وخشى على نفسه مما هـو قبل مسطور، فهل أعـزكم الله يسوغ له المكث فى ذلك الموضع مع عدم قـدرته على تغيـير المنكر، وهل يسوغ له الشـراء من بعض المبيـعات الممكسة أن اضطر إلى ذلك، ويكون آمنًا من الوقـوع فى المهالك، وهل يسوغ

له أخذ العلم من علمائه مع عدم تغييرهم لما ذكر وإقامتهم بالموضع المذكور، ولا يناله توبيخ من المولى سبحانه يوم النشور، أم يجب عليّه أن ينتقل من ذلك الموضع لغيره، لأن الرائع حول الحمى يوشك أن يقع فيه، بينوا الأمر لمن اضطر إليه فى خاصة نفسه، واحتاج إليه كل الاحتياج، ولكم الأجر التام والسلام.

فقال له الشيخ عبد الهادى: هذا السؤال تقدم نظيره، وأجاب عنه أبو العباس البيدرى التلمسانى بما نصه: الحمد لله وحده، الواجب على المؤمن المحقق الناظر لنفسه نظر مشفق أن يفر بدينه من الفتن، ولا يقيم إلا فى موضع تقام فيه السنن، ولا يأخذ من علم دينه ما يحتاج إليه إلا ممن تظهر الخشية والخضوع عليه، ويطلب ذلك فى أقطار الأرض ونوحيها بدليل (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) هذا مع الإمكان وإن تعذر عليه ذلك، واستدت عليه المسالك، ولم يجد موضعًا صالحًا مرضيًا، ولا معلمًا ناصحًا معديًا، فليقم هناك صابراً لله صبراً جميلا، ويكون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، وليقل كما قالوا إذا لم يجد معينًا على الدين باطنًا ولا ظاهراً (ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليًا واجعل لنا من لدنك نصيراً) ويأخذ من العلم ما يضطر إليه من كل متصدر فى الوقت فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وقد يتعالج المؤمن المريض بدواء الطبيب الكافر، وقد يؤيد الله الدين بالرجل الفاجر، ويشترى من المبيعات ما يحتاج إليه لبسًا وطعمًا، ولكن لا يتغشم فى المعيشة غشمًا، وليعط الورع حقه، ويستعمل فى ذلك اجتهاده ورفقه، ويجتنب شراء الجزء المأخوذ فى المكس من غاصبه، ولا

يشترى إلا ما بقى على ملك صاحبه، مع مراعاة قواعد الشريعة المقررة، ومسائل الفقه المسطرة، والوقوف على حد الضرورة، وعدم الاسترسال فى الشهوات المباحات، فضلا عن المحظورات، فإن اقتصر على ضروریاته لم يخف على دينه اختلالا، إذا لو كانت جيفة لكان قوت المؤمن منا حلالا والله أعلم.

ثم قال الشيخ بعد هذا: وكان هذا السائل والمسئول من أهل القرن العاشر، فكيف بزماننا هذا الذى صار كالليل الكافر، أما رؤساؤه فقد جروا ذيول الظلم على الرعية، فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشوا العظم وامتصوا المخ، ولم يتركوا للناس دنيا ولا دينا، أما الدنيا فقد أخذوها، وأما الدين فقد فتنوهم عنه، وهذا شيء شهدناه، لا شيء ظنناه.

اللهم الطف بنا فيما جرت به المقادير، بجاه سيد الأوائل والأواخر، مولانا محمد ﷺ.

حكم بيع الإماء مع عدم ثبوت رقها

وسأله عن حكم بيع الإماء من غير مبالاة بثبوت رقها ولا ببياضها ولا بسوادها: بل المدار على بيعها فى الأسواق سواء كانت مجلوبة من بلاد السودان، أم القبائل المجاورة لنا، أم من بلدنا، ومهما اشتريت إلا وطئت بغير استبراء.

فقال له الشيخ: إن المساوئ التى لا تزال موجودة بوجود الاتجار بالرقيق تعد فضيحة كبيرة، وكم خربت هذه التجارة البائرة من أقاليم، ولا يزال النخاسون يباشرون تجارتهم الممقوتة فى الذكور والنساء والأطفال ويصطادونهم كلما وجدوا لذلك سبيلا، وهذا أعظم حادث جدير بأن تتجه الأنظار لقطعه،

لا سيما فى هذه الأزمنة الهـائلة التى فشت فيها هذه المدلهمـة، وانتشر شرها وكثر ضيرها، واتفق على فعلها الرئيس والمرءوس مـن غير احتشام ولا مبالاة بفـعلهم المنحـوس، بل مـدار دينهم على المآكل والمشـارب وأنواع الملبـوس، والتجرؤ على المناكح كيفما تيسر لهم جمع الدراهم والفلوس.

ثم قال الشـيخ: وهذه الأمة التى ذكرت ليست بأمـه، وإنما هى حرة لا يجوز بيعـها ولا شراؤها، ولا نكاحها إلا بصداق ووُلى على القـواعد المقررة فى كتب الفقه. قال عليـه الصلاة والسلام: "لعن الله من باع حرًا فأكل كل ثمنه"، وأما الأمة الشرعيـة الآن فليست بموجودة، فمن تجرأ على نكاح شىء مما ذكـر فإنما ذاك زنى مـحض، والحد واجب عليـه، فإن لم يتـمكن منه فى الدنيا يضرب بسياط من نار يوم القيـامة، إلا أن يعفو عنه المولى سبحانه، ولا يلحق به الولد ويكون مقطوع النسب لا يرث ولا يورث.

قال عبد الباسط: وهذا يـا مولانا الشيخ مما عمت به البلوى، فنرى فى كل سنـة، بل وفى كل شـــهـــر، بل وفى كل يـوم تجلب من بنـات الناس وأولادهم القطائع الكثـيرة من قـبائل شـتى، وبيعـهم فى سائر مـدن المغرب وبواديه، ولا نرى ناهيًا عنها ولا منتبهًا فـلا تغيير من ولاة الأمور ولا ارعواء على مر الأزمنة والدهور، ولكن صدق من قال:

إذا كان رب الدار للطبل ضاربًا فلا تلم الصبيان فى حالة الرقص

حـتى صارت هذه المسـألة مطعنة فى ديننا من الأجـانب، ويقولون مـا معنى بيع بعـضكم بعضًا واسـترقاقه، مع أن الكـل من بنى آدم، وهم مثلكم لحمًا ودمًا.

قال أبو زيد: وماذا على الإنسان أن يعمله مع من كان بيده من هؤلاء.

فقال الشيخ عبد الهادى: الواجب على من وقعت بيده أمة أن يحسن إليها ويعاشرها بالمعروف، وتكون عنده بمنزلة اللقيط، وإذا أراد نكاحها فلا ينكحها بملك اليمين، بل يعتقها أولا اعتبارًا بظاهر الحال، ويتزوجها بالصداق، وهذا هو الحق، وخلافه محض فسق ووبال، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

ثم قال الشيخ: وعار على الرجل إذا سمع الحق أن يكون مع ذلك مصرًا على إنكاره، جامحًا فى زمام أوهامه، ذا كرا لحجج واهية، ودلائل عنكبوتية، ولكن المكابد للحق، لا يؤثر فيه تقريع الحق.

لقد أسمعت لو ناديت حيًا ولكن لا حياة لمن تنادى

واعلم أن المتعاطى لهذه الأسباب على رءوس الأشهاد، خارج عن منهج الرشاد، حاكمة على المرتكب لها بالفسق والتحليل لما جاءت بتحريمه شريعة أفضل رسول هاد صلى الله عليه آله وسلم، ولكن (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور).

بم يتوصل الإنسان إلى الكسب الطيب؟

وسأله أبو زيد عن الكسب الطيب بم يتوصل إليه؟ فقال الشيخ بحفظ خمسة أشياء. أولها أن لا يؤخر شيئًا من فرائض الله تعالى لأجل الكسب ولا يدخل النقص فيها، والثانى أن لا يؤذى أحدًا من خلق الله تعالى لأجل الكسب، والثالث أن يقصد بكسبه استعفافًا لنفسه ولعياله ولا يقصد به الجمع والكثرة، والرابع أن لا يجهد نفسه فى الكسب جدًا، والخامس أن لا يرى رزقه من الكسب، ويرى الرزق من الله والكسب سببًا.

حكم تعاطى العدالة

وسأله عن تعاطى العـدالة. فقال: كل من طلب العدالة فـهو قادح فى عدالته لما احتوت عليه من الأمور الفظيعة، ولو لم يكن فيها من القبائح إلا ما أحدثوه من بذل المال فيها، وإن كان ذلك ليـس خاصًا بها بل هى وغيرها من المناصب الدينية رجعت إلى بذل المال والاستـعانة معه بمن لا يرضى حاله فى الشرع الشريف، فكان ذلك سببًا قويًا فـى أن يأخذ المناصب من لا يستحقها، ويحرم من يسـتحقهـا فى الغالب، فآل الأمـر فى ذلك إلى أشياء فظيـعة من أبطال الأنكحة والعقود وغـير ذلك من أمور المسلمين، إذ أن الرابط والحل إنما هو بالعدول، لكن أكثـر العدول فى هذا الزمان حالهم معلوم فـلا حاجة إلى شرحه، ولأجل هذا المعنى كثرت شهادات الزور إذ أنه لو أخذ العدالة وغيرها من المناصب الدينيـة أهلها لقلت المفـاسد، بل تعدم بالكلـية. واعلم أن ترك العدالة فى هذا الزمان هو العدالة، ألا ترى إلى حالهم إذا كـتبوا كتابة يطلبون عليهـا مالا يستحـقون، ويتشـاحون فى ذلك، ولسان العلم يمنعـه، وكل ما يتعاطونه فى هـذا الزمان محرم اتفاقًـا، وهو أن يطلب الشاهد مالا يستـحقه ويمنع الحجـة لأجله حتى يأخذ أكـثر من ذلك حتى أدى الأمـر إلى أن يترك بعض الناس الأشهـاد على حقوقه لأجل الإجـحاف به، وخوفًا من أعـانتهم على أكل الحرام، وأقبح من هذا أنه إذا طلب من بعضهم أو أكثرهم اليوم أداء الشهادة عنـد الاضطرار إليها يتناساها كـأنه لا يعلمها، حتى إذا أعطى شـيئًا تذكرها إذ ذاك من غير ارتياب، سما فى صدقات النساء يفعل جلهم فيها فعلا قبيحًا، وهو أن يمسك عقـد الصداق عنده فإذا طلب منهم يقول حتى أفتش، فلا يزال يمـاطل حتى إذا اضطرت المرأة إليه بموت زوجهـا أو طلاقه إياها أو

طلبت حقها المذكور فى صداقها فيطلب منها إذ ذاك ما يختاره وإن كانت ضعيفة الحال.

ثم قال عبد الباسط بعد هذا: وإنى أعرف بحضرتنا هذه عدولا يشهدون الزور، وكل منهم يرتكب ذلك على قدر مخصوص، ومنهم من يشهد بطفيف يهدى إليه. وفيهم يقول شاعر زمانه:

ما للعدول أرانى الله جمعهم فى مرجل مطبق فى جوف تنور

قوم إذا غضبوا كانت سيوفهم قطع الشهادة بين القوم بالزور

شهد عدل عند قاض، فقال المشهود عليه: أتقبل شهادته أيها القاضى، وإن أحب الأشياء إليه الخبز واللحم، فتوقف فى إمضاء شهادته فقيل له لم توقفت؟ فقال يعنى أنه يشهد بأكلة.

ثم قال الشيخ عبد الهادى: وبالجملة فأقول لكم كما قالوا: الناس كلهم عدول إلا العدول.

تولية القضاء

ثم قال أبو زيد: ما رأيك فى تولية القضاء، فسكت ولم يبد له جوابًا وشرع فى تسبيحه. فقال له عبد الباسط: لم أعهدك يا مولانا إلا ذا لسان تعجز به الفصحاء، وتبهر عقول البلغاء، لم أعهدك يا حبيب القلوب إلا بلبلا صداحًا، تشجعنا صباح مساء، بتلك المقالات التى تأخذ بمجامع القلوب، وتترك فى النفوس أثرها اللذيذ، كذلك كنت أعهدك، فما بالك الساعة؟ وكنت إلى الراحة والسكون، وأعرضت عن سؤاله كأنه ارتكب جريمة تصيره فى دائرة الحمق أو الجنون، ولعمر الإنصاف لسؤالاته واجوبتك عنها من

الأعمـال التى تذكر، وتستـحق أن تذاع وتنشر، وتسـجل بقلم الثناء، العطر على صفحات الأيام بحروف ذهبية.

فقـال الشيخ عبد الهـادى: لا شك وأن كلام العلماء هو سـبب ارتفاع الجهـل وتنوير الأفكار، ولكن لما رأيت جل المتـولين فى الوقت قائمـين على ساق، يتجشمون من أهلها المشـاق، ويقدمون على المخاطر التى تفوق مخاطر الحروب الدموية، كل ذلـك لنيل البسطة فى المالية، وقد لبـسوا بذاك الإسلام مقلوبًا، وفهموه معكوسًا، فلهذا لما سألنى عما سأل، وجدت فى نفسى كدرًا مـا عليه من مـزيد، وإن كان ولابد من الجـواب. فـاعلم أنه لم يزل السلف الصـالح رضـوان الله عليـهم يهربـون منه الهرب الـكلى مع صفـاء الزمـان والمكان، فكيف به اليـوم الذى اندرست فيه مـعالم الدين والعقـائد، وعمت فتنته القـائم والقاعد، وحسبك ما ترى فى الشـاهد، والله يعصمنا من الزلل فى جمـيع المقاصد، فإن كنت تسـأل عن واجبات القضـاء فاعلم أن الواجب على من تولى القضاء أن يتأنى ويثبت ويجـتهد بين عباد الله بما أنزل الله ولا يتبع الهـوى فيضله عن سبيل الـله، وفى الحديث "من جعل قاضـيًا قد ذبح بغير سكين"، وفى الحديث أيضًا "قاضيان فى النار، وقاض فى الجنة، قاض قضى بالحق وهو يعلم فـهو فى الجنة، وقاض قـضى بالباطل وهو لا يعلم أو يعلم فهمـا فى النار" فليحتفظ الـقاضى أرشده الله غاية التحـفظ من المحاباة والمداهنة، ومراعاة خواطر الناس، وليـراقب الله تعالى وحده، وليقض بالحق الذى أراه الله فإن التبـس عليه أمر فليثبت حـتى يتبين له الحق، فإن اسـتبان وإلا فـيعـدل عن القضـاء فى تلك الوقعـة إلى الصلح الواقع على التـراضى والاختيار، من غـير إكراه ولا إجبار وليعلم أن أمر القـضاء خطر مخوف إلى

الغـاية، ولذلك حـذر منه الأئمة الأعـلام من السلف الصـالح رضـوان الله عليـهم، ولم يزل أهل الحـزم والاحـتـيـاط من هل الـعلم يفـرون من تولى القضاء. ويمتنعون منه أشد الامتناع، خـوفًا على أنفسهم، واحتياطًا لدينهم، عكس ما عليه أهل هذا الزمان.

وقد ولى قاضى القـضاة الشيخ المحقق إسـماعيل بن محمـد الحضرمى اليمنى وولى بـعض أصهاره قـضاء زبيد ثم إنه دخل علـيه فى بعض الأيام، فرأى عنده ثيابًا لـم يكن يراها عنده قبل أن يوليه القضـاء، فقال له: من أين لك هذه؟ فـقال له: من بركـتك يا أبا الذبيح. فـقـال له: ذبحنى الله إن لم أعزلك فعزله، وفى تخويف القضاء وتحذيرهم قيل:

إذا خـــان الأمـــيـــر وكـــاتبـــاه وقاضى الأرض داهن فى القـضاء

فـــويل للأمـــيـــر وكـــاتبـــيـــه وقاضى الأرض من قاضـى السماء

روى الحاكم مرفـوعًا وقال صحيح الإسناد "من ولـى من أمر المسلمين شيئًـا فأمر عليهم واحدًا مـحاباة فعليه لعنه الله، لا يقـبل الله منه صرفًا ولا عدلا حتى يدخله جهنم"، وفى رواية "من استعـمل رجلا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسـوله والمؤمنين"، وفى التبصرة لابن فـرحون عن سـيـدنا عمـر بن الخطاب رضى الله عنه، قـال "مـا من أميـرًا واستقضى قاضيًا محاباة إلا كان عليه نصف ما اكتسب من الإثم، وإن أمره أو استقضاه نصـيحة للمسلمين كان شريكه فيمـا عمل من طاعة الله تعالى ولم يكن عليه شىء فيـما عمل من معصـية الله" انتهى، وفى الجامع الصـغير أن رسول الله ﷺ قال: "أيما راع استرعى رعية فلم يحصنها بالأمانة والنصيحة إلا ضاقت عليـه رحمة الله التى وسـعت كل شىء"، وقيل: بئس الزاد إلى المعاد، التعدى على العباد، ولقد أحسن من قال:

لـكـل ولاية لابـد عــــــــزل   وصــرف الدهر عــقــد ثم حل

وأحـــسن ســيـــرة تبــقى لوال   على الأيـام إحــســـان وعــدل

وروى الطبرانى "من ولى شيئًا من أمر المسلمين أتى به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم فإن كان محسنًا نجـا، وإن كان مسيئًا انخرقَ به الجسر فهوى به سبـعين خريفًا، وهى سوداء مظلمة"، وروى الإمـام أحمد "ما من رجل يلى أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله به مغلولا يوم القيامة يداه إلى عنقه فكه بره أو أوثقـه إثمه"، وروى ابن أبى الدنيا وغيـره "لا يلى أحد من أمر المسلمين شيئًا إلا أوقفـه الله على جسر جهنم فزلزل به الجسر زلزلة فناج أو غير ناج لا يـبقى منه عظم إلا فارق صاحبـه، فإن هو لم ينج به فى جب مظلم كالقبر فى جهنم لا يبلغ قعره سـبعين خريفًا"، وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال: "يجاء بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة العذاب ما يـود إن لم يكن قضى بين اثنين قط". وقال ابن جعـفر فى سلوة الأنفاس من ترجمة الإمام الفشتالى: وسئل عن خطة القضاء، فأجاب: الذى يظهر لى أنه صـداع فى الرأس، وسم قاتل فى الجـوف، وسلسلة فى العنق، وسنارة فى الحلق، وقد علمت أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. قال فى كنز العلوم واللغة مـا نصه: لا يجوز شرعًا أن يولى الـقضاء من ليس من أهل الاجتهاد عند الإمام مالك والشافعى والإمام أحمد ا هـ.

قيل لبعضهـم كيف تجدك. قال بخير ما أقول شيـئًا من أمور المسلمين. وقـال ابن عبـاس رضى الله عنهـما: مـا ملك أحـد قط إلا شوطر عـقله، وضوعف بلاؤه وحزنه. أخرج الإمام أحـمد فى مسنده بسند حسن "من ولى من أمر المسلمـين شيئًا ثم أغلق بابه دون المسكين والمظلـوم وذى الحاجة أغلق الله تبارك وتعالى أبواب رحمته دون حاجته"، ولقد أحسن من قال:

obekandi.com

بلاء الناس مذ كانوا إلى أن نهض الساعة

طلاب الأمر والبهى وحب السمع والطاعة

كان عبد الملك بن مروان يسمى حمامة المسجد، للزومه المسجد الحرام، فلما أتاه الخبر بخلافته كان المصحف فى حجره فوضعه وقال: هذا فراق بينى وبينك. وقال إنى كنت أتحرج أن أطأ نملة، وإن الحجاج يكتب إلى فى قتل[1] فئام الناس فما أحفل بذلك. وقال له الزهرى يومًا بلغنى أنك شربت الطلاء. فقال إى والله والدماء، ولقد أحسن من قال:

تحكموا ظلموا جاروا فما عدلوا فعن قريب كأن الأمر لم يكن

لو أنصفوا نصفوا لكن طغوا فبغى عليهم الدهر بالآفات والمحن

فأصبحوا ولسان الحال ينشدهم هذا بذاك ولا عتبى على الزمن

وقد ورد عن سيدنا على كرم الله وجهه: أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليس من قاض ولا وال إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدى الله عز وجل على الصراط ثم تنشر صحيفة سيرته فتقرأ على رءوس الخلائق، فإن كان عدلا نجاه الله بعدله، وإن كان غير ذلك انتفض به الجسر انتفاضة فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا ثم ينخرق به الجسر إلى جهنم"، وقال مكحول: لو خيرت بين القضاء وضرب عنقى لاخترت ضرب عنقى ولم أختر القضاء، فالقاضى إذا لم يحكم بحق فقد وقع فى خطر عظيم. قال الله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون). وقال أيضًا" (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون).

(١) فئام ككتاب: الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه اهـ قاموس.

وقال أو وائل: سمعت عمارًا يقول: فى بعض القضاء: كان كافرًا. فقلت ما نقول؟ قال إن الله تعالى يقول: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون).

(غريبة): قيل إذا رأيت الرجل على باب القاضى من غير حاجة فاتهمه. وكتب بعض الملوك إلى عامل له ابعث إلى بمائة رجل كلهم يستحقون القتل لأجرب عليهم سيوفًا ابتعتها فإن لم تجدهم فى حسبك فتمم من أصحاب القاضى فإنهم يستحقون القتل.

شروط الحسبة وفضلها

فقال له أبو زيد، وما رأيك فى الحسبة. قال هى أعظم أسباب صلاح الزمان وفساده، فإذا صلحت صلح الزمان، وإذا فسدت فسد الزمان، ولا تعطى إلا لمن توفرت فيه شروط: منها أن يكون من أبر الناس بالإسلام، ومن أكثرهم علمًا به، كبير السن، عالمًا، ورعًا، زاهدًا، ضابطًا للأمور، يعتنى بالمصلحة العامة، قد حبس نفسه لخدمة البشرية والإنسانية بجميع الوجوه التى تراها الأمة إحسانًا وخدمة، وهذا نظر السلف الصالح فى هذه الرتبة، وكذا مبلغ غاية الخلف.

فقال عبد الباسط: لو أعربت لك عن أحوال القائمين بها اليوم لعجبت كل العجب، ولتحقق عندك أن الدهر دار دورته حتى انعكست الأمور، وأصبح الحال فى كل شىء على خطأ وخطر، ولكن الله يمهل الظالم حتى يأخذه.

وهذا أحد الأسباب التى تقلقنا بهذا القطر المراكشى: بل وكذا غيره من أقطار المغرب، وهذه إحدى الوظائف الدينية التى فقدت من هذه الحضرة المراكشية منذ أزمان، وخصوصًا زماننا هذا والأمر كله لله.

فقال له الشيخ عبد الهادى: وإن لم تعرب لنا عن أحوالهم فالحركات الوقتية تعرب عن أحوالهم لأنها لا تستقيم إلا باستقامة الحسبة. ولا تعوج إلا باعوجاجها، وما دام الغش والتدليس فى جميع الحرف المتداولة فى الوقت شرقًا وغربًا دل ذلك على أن الحسبة تطوقها من ليس من أهلها. وصار يتخللها من كان لا يطمع فى لمس مروطها، وبذلك أدى الحال إلى تعطيل شروطها، وقد وجدنا فى الصناعات والحرف والتجارات من حيث هى، والبيوعات والعطارات والصياغات والمصارفات من صور الغش والتدليس والخيانة والمكر والتحيل بالحيل الكاذبة ما تنفر عنه الطباع، وتمجه الأسماع وقد كشفنا الغطاء عن هذا فى كتابنا: "الكشف والتباين عن حال أهل الزمان" وسبب هذا كله خيانة المحتسب فى حسبته التى هى أحد الأركان الدينية، وبها فساد الزمان وصلاحه كما قدمنا، ولو اعتبرت غاية الاعتبار، بأن كان أهلها من ذوى الكفاءة والاقتدار، لما حصل هذا الخلل المؤدى إلى السخط فى السر والجهار.

حكم البسملة جهراً فى الصلاة الفرضية

ثم أن أبا زيد عبد الرحمن التفت إلى الشيخ عبد الهادى. وقال له يا سيدى بقى لنا عليك سؤالات. قال قل. قال ما حكم البسملة جهرًا أول الفاتحة فى الصلاة الفرضية؟ قال حكمها الكراهة مطلقًا فى مذهب الإمام مالك رضى الله عنه، وحجته فى ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما "كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين"، وكذا ما رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك أيضًا "قال صليت مع رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان

رضى الله عنهم فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم"، وفيه عن قتادة أنه كتب إليه بخبره عن أنس بن مالك أنه حدثه "قال صليت خلف النبى ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم فى أول قراءة ولا فى آخرها" ومعلوم حال سيدنا أنس رضى الله عنه وشدة حرصه على اتباع رسول الله ﷺ وملازمته له سنين عديدة حضرًا وسفرًا، وكيف يخفى عليه حاله حتى يقال يحتمل أنهم كانوا يسرونها.

ثم قال الشيخ بعد هذا: فانظر لحال غالب أهل العصر من إضرابهم عن المذهل المالكى التى أجمعت الأمة المحمدية على أن مالكًا هو القدوة فى الحديث ومذهبه أسد المذاهب وأولاها بالاتباع، وهو أعرف الناس بالمعمول به من الحديث والمتروك وسيرة الرجال، وأيضًا فالمروى عن الخلفاء الأربعة، وجماعة من الصحابة هو ترك البسملة فى صلاة الفريضة مطلقًا على أننا على يقين من أنه وردت أحاديث صحيحة فى ذكر بسم الله الرحمن الرحيم أول قراءة الفاتحة، ولكن أحاديث الترك أصح من أحاديث الإثبات، فلهذا عدل الإمام رضى الله عنه إلى ما هو أصح، ويكفى فى مذهبه أن عددًا من أفراد هذه الأمة تمذهب بمذهبه بعد ما كان مقلدًا غيره احياطًا لدينه، منهم حجة الإسلام الإمام الغزالى رضى الله عنه وغيره.

ثم قال وغر هؤلاء المدنية العصرية حتى قالوا: بل نأخذ علمنا من الحديث والقرآن مباشرة على جهلهم بالمعقول والمنقول، وتالله أن الرجل منهم ليجهل أحكام وضوئه وغسله، فالأمر لله وحده.

ما نقل ذلك عن الأئمة الذين هم أمراء العلم بل كانوا مقلدين لسلفهم

فيما أخـذوه، مسلمين لهم فيما نقلوه، وما سـمعنا أن أحدًا منهم عارض أو راجع فيـما نقل عنهم، وهؤلاء القـوم خبثت طواياهم، وسـاءت سرائرهم، واتخذوا الشيطان وليًا دون الله ورسوله وصالحى المؤمنين (ومن يتخذ الشيطان وليًا من دون الله فـقد خسر خـسرانًا مبينًا)، وفى الحـديث الشريف "عليكم بالسواد الأعظم فإن الله مع الجماعة". وقال ﷺ "يد الله مع الجماعة" وقال ﷺ "من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجمـاعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعـد"، وهؤلاء لا يفرقـون بين الحق والباطل مع دعـواهم العلم والتحقـيق وليس لهم فيه سهـم ولا طريق، بل هم والله من أحط من جهلوا دين الله.

فعلى العـاقل أن يهرب منهم بدينه، فإنهم هم المضلون الذين يتـخيلون لمن يجهل الأمر أنهم على شىء وليسوا على شىء.

حكم قبض اليد فى الصلاة وإرسالهما

وسألـه عن قبض اليـدين فى صلاة الفـريضة. فـقال له الشـيخ، ومن إمامك من هؤلاء الأربـع. فقال أبو زيد: مـالكى المذهب. فقـال الشيخ: إن كنت مالكى المذهب فـالسدل هو المعمـول به فى مذهبه، وعليه مـضى عمل أهل المدينة المقدم على ما فى الصحيح من لدن توفى ﷺ إلى هذا الحين، ولا ريب أن المدينة المشـرفة هى ينبوع العلم، ومنهـا تفرقت مـشاربه، ولا يمكن جـهل الصحـابة الذين توفى رسول الله ﷺ بـين أظهرهم بآخـر فعله عليـه الصـلاة والسلام، ولا يجـوز لنا أن نظن مخـالفتـهم لفعله، وكـذلك الذين أدركوا الصحابة من التابعين إلى الإمام مالك الذى أخذ بعلمهم، وعليه أدرك الناس من أهل بلده إذا لم يزل يتداول الناس فعله ﷺ جيلا بعد جيل إلى أن

كان جيل الإمام الذى أخذ به، ولو كان القبض معمولا به عند أهل المدينة وكان هو آخر فعل النبى ﷺ لتبعهم الإمام رضى الله عنه على القبض، وأيضًا لا يمكننا أن نقول: أن أحاديث القبض لم تبلغه لأنه رواه فى موطئه، وعنه رواه أهل الصحيح، وما ترك العمل به إلا لأن السدل عنده أقوى، وهو المجتهد على الإطلاق فلا يمكننا الرد عليه، ولا الأخذ من الحديث اجتهاد الوجود القول بالمنع فى القبض، ولا يلزم من القول بالمنع فى القبض القول بالوجوب فى السدل كما هو مقرر فى محله، فلم يبق إلا التقليد الصرف، كيف والإمام رضى الله عنه هو القائل: لا أعرف القبض، أى جريان عمل الصحابة والتابعين عليه، وما كرهه على ما رواه ابن القاسم عنه إلا لأنه منسوخ بالسدل الذى هو آخر فعل النبى ﷺ وآله وسلم.

فعند هذا قال الشيخ عبد الصمد المصرى، وكان حاضراً فى هذه الجلسة: كيف يكون حديث القبض منسوخًا بالسدل، والقبض أخذ به الأئمة أهل المذاهب المتبوعة ما عدا الإمام مالكًا رضى الله عنه، ورواه أصحاب الكتب الستة وغيرها: بل رواه عن النبى ﷺ نحو ثمنية عشر صحابيًا.

فقال الشيخ عبد الهادى: أما قولك فقد رواه أصحاب الكتب الستة وغيرها، فهذه الروايات مع كثرتها لم يوجد فيها حديث صحيح سالم من الطعن. فقال عبد الصمد: حتى روايتى البخارى ومسلم له، قال نعم:

فقال عبد الصمد: أظهر لنا رأيك فى هذا، فقال الشيخ عبد الهادى رضى الله عنه: اعلم أنه روى الشيخان فيه حديثين ولا يوجد لهما ثالث، وكل واحد منهما روى حديثًا غير الآخر، وما هذا إلا لكون كل واحد منهما اطلع على علة حديث الآخر، لكن البخارى اطلع على علة حديثه الذى

خرج أيضًا كما يأتى إيضاحه لكم، وأما مسلم فلم يذكر علة لحديثه، ولعله اغتفرها لكونه لم يجد فى الباب حديثًا أصح عنده منه، أو لم يطلع عليها.

وها أنا أبدأ بالكلام على الذى أخرجه مسلم. لكونه أقل من الكلام على حديث البخارى. فأقول حديث مسلم أخرجه عن وائل ابن حجر، ولفظه: حدثنى زهير بن حرب حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا محمد بن جحادة حدثنى عبد الجبار بن وائل عن ملقمة بن وائل ومولى لهم أنهما حدثاه عن أبيه وائل بن حجر أنه رأى النبى ﷺ "رفع يديه حين دخل فى الصلاة كبر، وصف همام حيال أذنيه ثم التحف بثوبه ثم وضع يده اليمنى على اليسرى، فلما أراد أن يركع أخرج يديه من الثوب ثم رفعهما ثم كبر فركع، فلما قال سمع الله لمن حمده رفع يديه فلما سجد سجد بين كفيه" ا هـ لفظه، وهذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه. اثنان من جهة السند، وواحد من جهة المتن، فالأول من الحاصلين من جهة الإسناد هو الانقطاع، وإيضاح ذلك هو أن هذا الحديث رواه عبد الجبار بن وائل عن أخيه علقمة ومولى لهم، والمعتبر رواية علقمة، وأما المولى فهو مجهول لا عبرة به، وعلقمة بن وائل قال النووى فى تهذيب الأسماء. قال يحيى بن معين رواية علقمة بن وائل وأخيه عبد الجبار عن أبيهما مرسلة لأنهما لم يدركاه، وكذا فى تهذيب التهذيب، وقد صرح أبو داود فى سننه بأن عبد الجبار لم يدرك أباه، ونصه فى باب رفع اليدين: حدثنى محمد بن جحادة حدثنى عبد الجبار بن وائل بن حجر، قال كنت غلامًا لا أعقل صلاة أبى الخ، ثم حدث عنه أو داود بعد ذلك عن أبيه كما يأتى قريبًا * قلت قد قال المازرى فى شرح مسلم: أن مسلمًا روى فى الصحيح أربعة عشر حديثًا منقطعة فلعل هذا الحديث منها فما

قيل به فيه من الانقطاع أقل أحواله نفى الصحة عنه، الوجه الثانى الاضطراب الواقع فى سنده، وذلك أن الحديث عند مسلم رواه عبد الجبار عن أخيه علقمة ومولى لهم عن أبيه كما رأيت، ورواه أبو داود فى باب رفع اليدين عن عبد الجبار بن وائل. قال كنت غلامًا لا أعقل صلاة أبى فحدثنى وائل بن علقمة عن أبى وائل بن حجر. قال صليت مع رسول الله ﷺ الخ، وهذا مخالف لما مر عن مسلم. ووائل بن علقمة قال الذهبى فى الميزان: لا يعرف، ثم رواه بعد ذلك عن عبد الجبار عن أبيه أنه أبصر النبى ﷺ يرفع يديه مع الكبيرة، فانظر هذا مع ما مر قريبًا من قول عبد الجبار كنت غلامًا لا أعقل صلاة أبى، وهنا حدث عن أبيه بدون واسطة: ثم رواه بعد ذلك عن عبد الجبار. قال حدثنى أهل بيتى عن أبى أنه حدثهم الخ، ثم رواه بعد ذلك عن عاصم ابن كليب عن أبيه وائل بن حجر، قال قلت: لأنظرن إلى صلاة رسول الله ﷺ كيف يصلى الخ، وعاصم بن كليب هذا كان مرجئًا ووثقه ابن معين. وقال ابن المدينى لا يحتج بما انفرد به ا هـ، هذا ما فيه من الاضطراب، وهو اضطراب شديد موجب للضعف الشديد كما هو مسطر فى كتب أصول الحديث. الوجع الثالث الذى فى المتن هو أن هذا الحديث روى عن وائل بن حجر بالروايات المتقدمة من غير الزيادة الآتية، ورواه أبو داود عن عاصم بن كليب الذى مرت الرواية عنه، وفيها "ثم أخذ شماله بيمينه". وقال فى هذه الرواية الأخيرة "ثم وضع يده اليمنى على ظهر كفه اليسرى". وقال فيه: "ثم جئت بعد ذلك فى زمان فيه برد شديد فرأيت الناس عليهم جل الثياب تحرك أيديهم تحت الثياب" ا هـ.

ففى رواية عاصم الأولى لم يذكر "ثم جئت بعد ذلك فى زمان فيه برد

شديد الخ" ولم يذكرها غيره ممن روى هذا الحديث عن وائل بن حجر، وذكرها عاصم بن كليب فى هذه الرواية، وهذه الزيادة إما أن تكون مقبولة أو غير مقبولة، فإن كانت مقبولة كانت دالة واضحة على نسخ ما رواه فى المرة الأولى من القبض، لأن قوله: تحرك أيديهم تحت الثياب ظاهرى فى الإرسال لأن تحرك الأيدى حالة القبض غير ممكن بدون حركة الجسم جميعًا كما هو ظاهر بالمشاهدة والتجربة لمن شك فى ذلك، وما هى دالة عليه من النسخ للقبض هو الذى نقول به نحن معاشر المالكية غير من شذ منا، وقال بالقبض كما يأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى. وقوله: ثم جئت بعد ذلك متصلا بقوله: ثم وضع يده اليمنى على ظهر كفه اليسرى صريح فى أن ما رآه فى المرة الثانية مخالف لما رآه فى المرة الأولى، وإلا لما احتاج إلى ذكر ذلك، وإن كانت غير مقبولة لكونها مخالفة لما رواه الأكثر عن وائل بن حجر كانت موجبة لاضطراب حديث عاصم بن كليب عنه ا هـ والله تعالى الموفق للصواب، فهذه هى أوجه الأعلال الثلاثة الحاصلة فى حديث مسلم.

وأما حديث البخارى: فقد أخرجه من رواية عبد الله بن مسلمة القعنبى، ولفظه: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن أبى حازم عن سهل بن سعد. قال كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى فى الصلاة. قال أبو حازم لا أعلمه إلا ينمى ذلك إلى النبى ﷺ. قال إسماعيل ينمى ذلك ولم يقل ينمى ا هـ، وحديث البخارى هذا معلول من وجهين: أحدهما أجيب عنه بجواب مخدوش فيه، والثانى لم يجب عنه. الوجه الأول قال الدانى فى أطراف الموطأ: هذا الحديث معلول لأنه ظن من أبى حازم. وأجاب عنه ابن حجر بأن أبا حازم لو لم يقل لا أعلمه الخ

لكان فى حكم المرفوع لأن قول الصحابى كنا نؤمر بكذا يصرف بظاهره إلى من له الأمر وهو النبى ﷺ لأن الصحابى فى مقام تعريف الشرع فيحمل على من بدر عنه الشرع، ومثله قول عائشة "كنا نؤمر بقضاء الصوم" فإنه محمول على أن الأمر بذلك النبى ﷺ، وأطلق البيهقى أنه لا خلاف فى ذلك بين أهل العلم، ورد بأنه لو كان مرفوعًا ما احتاج أبو حازم إلى قوله لا أعلمه، والجواب أنه أراد الانتقال إلى التصريح، فالأول لا يقال له مرفوع، وإنما يقال له حكم الرفع، هذا ما قاله ابن حجر فى فتح البارى، ولا يخفاك أنه شافعى، ومذهبه القبض، والعالم ينتصر لمذهبه طبيعة، وفيما قاله اعتراض من وجهين: الأول هو أن قوله أن قول الصحابى كنا نؤمر بكذا فى حكم المرفوع غير متفق عليه يأتى قريبًا إن شاء الله تعالى، فيمكن أن يكون الدانى اعتمد شطر الخلاف الآخر فلا يرد عليه بشطر الخلاف الذى لم يعتمده، وقول البيهقى أنه لا خلاف فى ذلك بين أهل العلم رده ابن حجر بما مر، وهو كقول ابن عبد البر: إن قول الصحابى من السنة كذا له حكم الرفع اتفاقًا، وما قالاه مردود بوجود الخلاف منصوصًا فى المسألتين. فقد قال ابن حجر بنفسه فى نخبة الفكر، بعد نقل حكاية ابن عبد البر للاتفاق ما نصه: وفى نقل الاتفاق نظر، فعن الشافعى فى أصل المسألة قولان، وذهب إلى أنه غير مرفوع أبو بكر الصيرفى من الشافعية، وأبو بكر الرازى من الحنفية، وابن حزم من الظاهرية. ثم قال: ومما هو فى حكم المرفوع قول الصحابى: أمرنا بكذا، أو نهينا عن كذا، فالخلاف فى الذى قبله. قال شارحه المناوى: والتصحيح فيه كالتصحيح فى الذى قبله. قال لأن ذلك ينصرف بظاهره إلى من له الأمر والنهى، وهو النبى ﷺ. وتمسك المخالفون باحتمال أن يكون المراد غيره كأمر القرآن أو الإجماع أو بعض الخلفاء أو الولاة أو الاستنباط،

ولذا قال على القارى الحنفى فى شرح موطأ محمد فى قول سهل " كان الناس يؤمرون" الخ ما نصه، يعنى يأمرهم الخلفاء الأربعة أو الأمراء أو النبى ﷺ، يعنى أنه يحتمل لذلك، وقد نص أبو عمر بن عبد البر فى التقصى على أن هذا الأثر موقوف على سهل ليس إلا، ويدل لما قاله المخالفون ما أخرجه ابن أبى شيبة كما فى تدريب الراوى عن حنظلة السدوسى. قال سمعت أنس بن مالك يقول كان يؤمر بالسوط فتقطع ثمرته ثم يدق بين حجرين ثم يضرب به. فقلت فى زمن من كان هذا؟ قال فى زمن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ا هـ. فهذا دلالة صريحة على الاحتمال الذى ذكره المخالفون، فبان من هذا أن المسألة خلافية وإن كان الصحيح فيها أن له حكم الرفع فالحديث المرى بذلك لم يقطع بنسبته للنبى ﷺ، ولذلك لم يقطع أبو حازم التابعى بنسبته إلى النبى ﷺ، وهذا القدر كاف فى ثبوت إعلاله. الوجه الثانى من وجهى الرد على جواب ابن حجر هو أن قوله: أن أبا حازم أراد الانتقال إلى التصريح فيه أن ما قاله ليس فيه تصريح لأن أبا حازم لم يقطع بأن الصحابى نمى ذلك للنبى ﷺ وإنما أتى بكلمة غير مفيدة للقطع إذ لو كان جازمًا قاصدًا التصريح لقال بدل هذه العبارة نمى ذلك للنبى ﷺ فبقى كلامه على ما قاله الدانى سابقًا من أنه ظن منه، الوجه الثانى الذى لم يجب عنه من وجهى الإعلال هو أن قول البخارى السابق وقال إسماعيل ينمى ذلك ولم يقل ينمى ذلك قصد به تبيين أن رواية إسماعيل بن أبى أويس للحديث عن شيخه وخاله وابن عمه الإمام مالك رحمه الله تعالى مفيدة لكون الحديث مرسلا لا متصلا. قال فى الفتح قول إسماعيل ينمى ذلك هو بضم أوله وفتح الميم بلفظ المجهول، والثانى وهو المنفى رواية القعنبى وهى بفتح أوله وسكون النون وكسر الميم، فعلى رواية إسماعيل الهاء فى لا أعمله ضمير الشأن

فيكون مرسلا لأن أبا حازم لم يعين من نماه له، وعلى رواية القعنبى الضمير لسهل شيخه فهو متصل. قال وقدوافق إسماعيل بن أبى أويس على هذه الرواية عن مالك سويد بن سعيد فيما أخرجه الدارقطنى فى الغرائب ا هـ. فهذا تصريح من ابن حجر الذى مذهبه القبض بأن إحدى روايتى الحديث مرسلة، وهذا كاف فى إعلاله، فإن الدليل إذا تطرقه الاحتمال سقط به الاستدلال، وإذا قيل أن رواية القعنبى مقدمة على رواية إسماعيل لكونه أوثق منه، فالجواب هو أن رواية إسماعيل اعتضدت برواية سويد بن سعيد، وعلى كل حال احتمال الإرسال لا يزله تقديم رواية القعنبى على رواية إسماعيل. قلت وبما ظهر لك من اطلاع البخارى على إعلال الحديث الذى لم يرو حديثًا فى القبض سواه تعلم أنه لو اطلع على حديث صحيح فى القبض سالم من الإعلال الذى ذكره فى الحديث المروى من طريق الإمام مالك لأورده واقتصر عليه، وترك حديث مالك الذى صرح فيه بالإعلال، وحيث أنه لم يو غير حديث مالك مع تبحره وشدة اطلاعه على الحديث علم أنه لم يجد حديثًا أقوى عنده منه، وهذا دل دليل على ما قدمناه من أن القبض لم يوجد فيه حديث صريح سالم من الطعن والله الموفق للصواب.

الكلام على حديث: إذا لم تستح فاصنع ما شئت

ووضع اليدين إحداهما على الأخرى فى الصلاة، وتعجيل الفطر وتأخير السحور

فقال له الشيخ عبد الصمد: وما قولك فيما رواه مالك فى موطئه عن عبد الكريم بن أبى المخارق البصرى: أنه قال "من كلام النبوة: إذا لم تستح فاصنع ما شئت" ووضع اليدين إحداهما على الأخرى فى الصلاة يضع

اليمنى على اليسرى، وتعجيل الفطر وتأخير السهور؟ فقال الحديث الأول مرسل، والمرسل وإن كان معمولا به عند مالك لكنه بشرط أن يكون المرسل ثقه، والمرسل هنا متروك منكر الحديث لأنه عبد الكريم ابن أبى المخارق، وقد قال النسائى لم يرو مالك عن ضعيف إلا عبد الكريم فإنه منكر الحديث، وكذا قال ابن معين. وقال ابن عبد البر معتذراً عن مالك فى روايته عنه غر مالكًا منه سمته، ولم يكن من أهل بلده فيعرفه، كما غر الشافعى إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى حذفه ونباهته، وهو أيضًا مجمع على ضعفه. وقال غير أبن عبد البر قال مالك غرنى عبد الكريم بكثرة بكائه فى المسجد. ثم قال له: وما تقول فى الحديث الذى أخرجه الإمام أحمد فى مسنده، والبيهقى والدارقطنى من رواية ابن أبى شيبة عن عبد الرحمن بن اسحاق الواسطى عن على (رضى الله عنه) قال "من السنة فى الصلاة وضع الأكف على الأكف تحت السرة". قال: قال النووى فى شرح مسلم عبد الرحمن بن اسحاق الواسطى ضعيف باتفاق. قال: وما تقول فى الحديث الذى أخرجه أبو داود والدارقكنى من رواية عبد الرحمن بن اسحاق عن أبى هريرة أنه قال: "أخذ الكف على الكف فى الصلاة تحت السرة". قال هذا فيه عبد الرحمن بن اسحاق وقد مر الآن أنه ضعيف باتفاق، وقد قال أبو داود بنفسه سمعت أحمد بن حنبل يضعف عبد الرحمن بن اسحاق، وهذا كاف فى تضعيفه.

فقال له وما تقول فى الحديث الذى أخرجه البيهقى عن ابن عباس وابن عمر بلفظ: "إنا معاشر الأنبياء أمرنا بثلاث: تعجيل الإفطار، وتأخير السحور، وأخذ اليمين على الشمال" قال: قال البيهقى تفرد به عبد الحميد وإنما يعرف بطلحة بن عمر عن عطاء عن ابن عباس، وطلحة هو ابن عمر بن

عثمان بن على الحضرمى المكى. قال فى تهذيب التهذيب: قال عمرو بن على: كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عنه. وقال أحمد بن حنبل لا شىء، متروك الحديث. وقال ابن معين ليس بشىء.

وقد قال الشوكانى أيضًا فى "نيل الأوطار" أن حديث ابن عباس هذا ضعيف، وما ذكرناه فى ضعفه أو نكارته.

فقال له: وما تقول فى الحديث الآخر الذى أخرجه البيهقى أيضًا عن ابن عباس فى قوله تعالى (فصل لربك وانحر) فقد رواه روح بن المسيب عن عمرو بن مالك النكرى عن ابن الجوزاء عن ابن عباس. قال "وضع اليمين على الشمال فى الصلاة".

قال الشيخ عبد الهادى: وروح بن المسيب الراوى للحديث قال فيه ابن عدى يروى أحاديث غير محفوظة. وقال ابن حبان يروى الموضوعات لا تحل الرواية عنه، وعمر بن مالك النكرى قال فيه ابن عدى: منكر الحديث عن الثقات يسرق الحديث، وضعفه أبو يعلى الموصلى، فإن لك غاية ضعف هذا الحديث أو نكره لنكارة راوييه.

فقال عبد الصمد: وما نقول فى الحديث الذى أخرجه البيهقى أيضًا من رواية يحيى ابن أبى طالب عن ابن الزبير. قال أمرنى عطاء أن أسأل سعيد ابن جبير: أين تكون اليدان فى الصلاة: فوق السرة، أو أسفل السرة؟ فسألته. فقال: فوق السرة. ثم قال البيهقى: أصح أثر روى فى هذا الباب أثر ابن جبير ا هـ.

قال عبد الهادى: تعقبه مؤلف الجوهر النقى، فى الرد على البيهقى، وقال كيف يكون هذا أصح شىء فى الباب، وفى سنده يحيى بن أبى طالب

وقد قال فيه موسى بن هارون أشهد على يحيى بن أبى طالب أنه يكذب فى كلامه، ولم يعن بالحديث. وقال أبو أحمد: محمد بن اسحاق ليس بالمتين، وقال أبو عبيد الآجرى خط أبو داود سليمان بن الأشعث على حديث يحيى بن أبى طالب. قلت بما ذكره البيهقى هنا من كون هذا الأثر هو أصح أثر فى الباب، والأثر قد بينا لك ما فيه من الضعف يظهر لك أن الباب ليس فيه حديث صحيح لأن البيهقى من القائلين بالقبض المتصرين له جامعًا فيه أحاديث كثيرة، فإذا اعترف هو مع تبحره فى الحديث وانتصاره للقبض بأن أثر التابعى لم يروه عن صاحبى، وفيه من الضعف ما فيه هو أصح ما فى الباب علم بديهة أن الباب فيه حديث صحيح، والله الموفق للصواب.

وقد علمت مما مر أن الأحاديث المذكورة لم يسلم منا واحد من الطعن الموجب لضعفه حتى حديثا الصحيحين.

فقال عبد الصمد: إن الأحاديث الضعيفة ترتقى إلى درجة الحسن أو الصحة فيجب العمل بها.

فقال عبد الهادى: هذا محله ما لم يعارض المجموع الضعيف ما هو أقوى منه كالصحيح لذاته والحسن لذاته. وهذه الأحاديث الضعيفة قد عارضها ما هو أقوى منها من الأحاديث وعمل أهل المدينة كما سترى إن شاء الله تعالى، مع أنا معاشر المالكية ل تقول: إن القبض لم يثبت عن النبى ﷺ: بل نعترف بأنه ثبت عنه عليه الصلاة والسلام لكثرة رواته عنه ﷺ وإن كان ضعيفة، ولكنا نقول أنه منسوح بالإرسال كما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى.

فقال له عبد الصمد: اذكر لى أدلة القائلين بالإرسال. فقال أدلتهم فيه

أمران: الأول الأحاديث الدالة عليه، والثانى عمل أهل المدينة أما الأحاديث الدالة عليه فأبدأ بحديث أبى حميد الساعدى لصحته الصحة التامة، ودلالته على الإرسال دلالة صريحة، وقد قال فى فتح البارى: إنه أخرجه البخارى وأبو داود والترمذى وأحمد وابن خزيمة، وأسوق هنا رواية أبى داود لما فيها من الزيادة الدالة على الإرسال صريحًا، ولفظه حدثنا أحمد حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ح وحدثنا مسدد حدثنا يحيى، وهذا حديث أحمد. أنبأنا عبد الحميد يعنى ابن جعفر أخبرنى محمد بن عمرو بن عطاء. قال سمعت أبا حميد الساعدى فى عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم أو قتادة. قال أبو حميد: أنا أعلمكم بصلاة رسول الله ﷺ قالوا فلم؟ فوالله ما كنت بأكثرنا له تبعًا، ولا أقدمنا له صحبة قال بلى؟ قالوا فاعرض. قال "كان لرسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم يكبر حتى يقر كل عظم فى موضعه معتدلا ثم يقرأ ثم يكبر فيرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه ثم يعتدل فلا يصوب رأسه ولا يقنع ثم يرفع رأسه فيقول سمع الله لمن حمده، ثم يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه معتدلا رأسه ويثنى رجله اليسرى فيقعد عليها ويفتح أصابع رجليه إذا سجد ويسجد ثم يقول: الله أكبر ويرفع ويثنى رجله اليسرى فيقعد عليها حتى يرجع كل عظم إلى موضعه ثم يصنع فى الأخرى مثل ذلك ثم إذا قام من الركعتين ورفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه كما كبر عند افتتاح الصلاة. ثم يصنع ذلك فى بقية صلاته حتى إذا كانت السجدة التى فيها التسليم أخرج رجله اليسرى وقعد متوركًا على شقه الأيسر". قالوا صدقت هكذا كان يصلى ﷺ اهـ.

فانظر هذا الحديث الذى رجاله رجال الصحيحين إلا عبد الحميد بن جعفر أخرج له مسلم دون البخارى تكلم فيه بالقدر. وقال ابن المدينى كان يقول بالقدر، وكان عندنا ثقة. وقال ابن معين ثقة، وقد نقم عليه الثورى خروجه مع محمد بن عبد الله، وقد قال النسائى وأحمد لا بأس به، وهؤلاء الثقات الموثقون له يرد توثيقهم تضعيف سفيان الثورى له بسبب خروجه مع محمد بن عبد الله، فحجته فى الخروج لم يطلع عليها سفيان، ولا يقدح ذلك فى توثيقه مع أنه لم ينفرد برواية الحديث عن محمد بن عمرو بن عطاء، فقد أخرجه البخارى فى صحيحه عن محمد بن عمرو بن حلحلة عن محمد بن عمرو بن عطاء، وكذا أخرجه أبو داود من طريق أخرى عن محمد بن عمرو بن حلحلة، وهذا كاف فى ثبوت روايته.

فإذا علمت صحة الحديث سندًا ومتنا الصحة التامة فأوضح لك موضع الدلالة منه والاستدلال به على الإرسال، وهو قوله إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم يكبر حتى يقر كل عظم فى موضعه معتدلا. قال فى الفتح، وفى رواية هشيم عن عبد الحميد ثم يمكث قائمًا حتى يقع كل عظم موقعه ثم يقرأ الخ.

فغير خاف على عامى فضلا عن عالم، أن معنى يقر ويقع فى الروايتين يثبت ويستقر فى محله. ولا شك أن محل اليدين من الإنسان جنباه، وذاك هو الإرسال بعينه لا ينازع فى ذلك إلا مجنون أو مكابر فى المحسوس إذا لا يمكن أن يقول عاقل أن وضع اليدين على الصدر أو تحت السرة وضع لهما فى محلهما لأنه إنكار للمحسوس، فالروايتان صريحتان فى الإرسال لا يمكن تأويلهما، ولأجل هذا لم يذكر راوى الحديث القبض اكتفاء عما عبر به عن

الإرسال مع أنه معرض فى وصفه لكل مستحب من مستحبات الصلاة مستوعبًا لها لم يترك منها واحدًا.

فقال عبد الصمد: إن الحديث المذكور دل على الإرسال أولا ولكن يمكن أن يكون بعد الإرسال يقبض.

فقال عبد الهادى: إن هذا الجمال فى محل البيان والتفصيل يحتاج إلى وحى يسفر عنه، ولم يقل أحد من أهل المذاهب الأربعة بالإرسال أولا حتى يقر كل عضو محله ثم يقبض بعد ذلك، ولو كان كما قلت كان هو أولى شىء بالبيان لما فيه من الغرابة، فبينه الصحابى المتعرض لبيان وصف صلاته ﷺ وكشف حقيقتها لأصحابه، ولو كان الصحابى تاركًا له لبينوه له، وقالوا له أخطأت، تركت كذا، ولم يقروا له بأنه هو أعلمهم بصلاته ﷺ، وقد نص العلماء على أن السكون فى معرض البيان يفيد الحصر، والعشرة الذين مع أبى حميد راوى الحديث المقرون له بأنه هو أعلمهم بصلاة رسول الله ﷺ منهم أبو العباس سهل بن سعد الذى روى عنه مالك فى الموطأ حديث القبض السابق، ومنهم أبو هريرة كما عند أبى داود، ومنهم أبو أسيد الساعدى ومحمد بن مسلمة كما عند الإمام أحمد، وأبو قتادة كما عند الترمذى وأبى داود. قال فى النفح ولم أقف على تسمية الباقين ا هـ، فكون الصحابى الراوى لحديث القبض الذى هو سهل بن سعد حاضرًا فى الجماعة المقرين لأبى حامد مقرًا له معهم بأنه هو أعلمهم بصلاة رسول الله ﷺ دليل واضح على نسخ حديث القبض لأنه لو لم ينسخه ما صدق أبا حميد ورد عليه تركه له، وما صدقه أبو هريرة الجامع لحديث النبى ﷺ الشاهد له عمر وغيره من أكابر الصحابة على أنه هو أعلمهم بحديث النبى ﷺ فما وقع لمالك فى ترك

العمل به مع روايته له لظهور نسخة عنده وقع للصحابى له هو عنه، ويأتى مزيد لتقرير النسخ فى آخر الآثار الواردة فيه، وفى بحث عمل أهل المدينة. هذا إذا رجعنا إلى النسخ كما هو الحق، وإذا رجعنا إلى الترجيح وسلمنا جدليًا أن حديث القبض لا علة له فحديث اتفقت عليه عشرة من الصحابة زيادة على راويه أو براويه كما ف الفتح دفعة فى وقت واحد فى مجلس واحد لا شك أنه أرجح من حديث روى عن آحاد من الصحابة متفرقين لم يعلم ما طرأ لكل واحد منهم بعد الرواية عنه فهل وقعت هذه الموافقة على هذا الشكل فى حديث القبض، وأهل الحديث يعجبهم كون الصحابى الراوى للحديث متأخر الإسلام ليكون حديثه آمنًا من النسخ، وهؤلاء النفر فيهم أبو هريرة وهو متأخر الإسلام ما قدم إلا فى غزوة خيبر* ومن الأحاديث الدالة على الإرسال كل حديث وصفت فيه صلاة النبى ﷺ وتعرض فيه لذكر المستحبات، ولم يذكر فيها القبض لأن الإرسال هو الأصل كما لا يخفى، والقبض وصف زائد، فإذا لم يذكر بقى الحال على الأصل الذى هو الإرسال، ولأن السكوت عن الوصف فى معرض البيان مؤذن بالحصر كما مر، ولذا قال حفيد بان رشيد فى [بداية المجتهد] اختلف العلماء فى وضع اليدين إحداهما على الأخرى فى الصلاة فكره مالك ذلك فى الفرض وأجازه فى النفل، ورأى قوم أن هذا الفعل من سنن الصلاة وهم الجمهور، والسبب فى اختلافهم أنه قد جاءت آثار ثابتة نقلت فيها صفة صلاته ﷺ ولم ينقل فيها أنه كان يضع يده اليمنى على اليسرى، وثبت أيضًا أن الناس كانوا يؤمرون بذلك، وورد ذلك أيضًا من صفة صلاته ﷺ فى حديث أبى حميد، ورأى قوم أن الآثار التى أثبتت اقتضت زيادة على الآثار التى لم تنقل فيها هذه الزيادة وأن الزيادة يجب أن يصار إليها، ورأى قوم أن الأوجب المصير

إلى الآثار التى ليست فيها هذه الزيادة لأنهـا أكثر، ولكون هذه ليست مناسبة لأفعال الصلاة، وإنما هى من باب الاستـعانة، ولذلك أجازها مالك فى النقل ولم يجزها فى الفرض، وقـد يظهر من أمرها أنها هيئة تقـتضى الخضوع وهو الأولى بها ا هـ بحروفه.

ثم قال عـبد الهادى: وقوله أن فى حـديث أبى حميـد وضع اليد على الأخرى فى الـصلاة غلط منه غـير صـحيح، فإن أبـا حميـد هو الذى روى الإرسال كـما مر تقـريره، ولم يأت عنه فى رواية من رواياته التى رواها أهل الكتب الصـحـاح أنه روى القبـض، وقد مـر لك جل من روى القـبض من الصحابة.

ونقل ابن عربى فى [الفتوحات المكية] مثل كلام ابن رشد. فقال اختلف الناس فى وضع اليد على الأخرى فكرهه قوم فى الفرض وأجازوه فى النقل، ورأى قوم أنه من سنن الصلاة، وهذا النقل مروى عن النبى ﷺ كما روى فى صفـة صلاته ﷺ أنه لم يفعل ذلك ا هـ. فكلام هذين العـالمين صريح فيـما قلته من أن كل حديث فـيه وصف صلاته ﷺ لم يذكر فـيه القبض دال على الإرسال، وهذا النوع من الأحاديث كثير لا ينحصر، وها أنا أذكر منها جملة مختصرة: منها حديث ابن عمـرو أن مالكًا أخرجه فى الموطأ ورواه الشيخان، ولفظه: كان النبى ﷺ إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتَى يكونا بحذو منكبيه، ثم يكبـر فإذا أراد أن يركع رفـعهـما مـثل ذلك، وإذا رفع رأسه من الركـوع رفعهما كذلك أيضًا وقال سمع لله لمن حمده ربنا ولك الحمد. وللبخارى ولا يفعل ذلك حين يسـجد ولا حين يرفع رأسه من السـجود، ولمسلم ولا يفعله حين يرفع رأسـه من السجود، وله أيضًا ولا يرفـعهما بين السـجدتين ا هـ،

ومنها حديث أبى هريرة رواه الخمسة إلا ابن ماجه، ولفظه: قال "كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة رفع يديه مدا" الخ، ومنها ما رواه أحمد وأبو داود والترمذى وصححه النسائى وابن ماجه عن على بن أبى طالب عن رسول الله ﷺ "أنه كان إذا قام إلى الصلاة المكتوبة كبر ورفع يديه حذو منكبيه ويصنع مثل ذلك إذا قضى قراءته، وإذا أراد أن يركع، ويصنعه إذا رفع من الركوع، ولا يرفع يديه فى شىء من صلاته وهو قاعد وإذا قام من السجدتين رفع يديه كذلك وكبر"، ومنها ما رواه الشيخان عن أبى قلابة "أنه رأى مالك بن الحويرث إذا صلى كبر ورفع يديه وإذا أراد أن يركع رفع يديه وإذا رفع رأسه رفع يديه، وحدث أن رسول الله ﷺ صنع هكذا"، وفى رواية عند أحمد ومسلم أن رسول الله ﷺ "كان إذا كبر رفع يديه حتى يحاذى بهما أذنيه، وإذا ركع رفع يديه حتى يحاذى بهما أذنيه، وإذا رفع رأسه من الركوع فقال سمع الله لمن حمده فعل مثل ذلك"، ومنها ما رواه أبو داود عن سالم البراد، قال أتينا عقبة ابن عامر الأنصارى أبا موسى، فقلنا له: حدثنا عن صلاة رسول الله ﷺ فقام بين أيدينا فى المسجد فكبر فلما ركع وضع يديه على ركبتيه وجعل أصابعه أسفل من ذلك، وجافى بين مرفقيه حتى استقر كل شىء منه، ثم قال سمع الله لمن حمده فقام حتى استقر كل شىء منه، ثم كبر وسجد ووضع كفيه على الأرض ثم جافى بين مرفقيه حتى استقر كل شىء منه، ثم رفع رأسه فجلس حتى استقر كل شىء منه ففعل ذلك أيضًا ثم صلى أربع ركعات مثل هذه الركعة فصلى صلاته، ثم قال هكذا رأينا رسول الله ﷺ صلى ا هـ.

فهل ترى هذا الصحابى الجليل المطلوب منه تعليم صلاته ﷺ كان يفعله، والموضع موضع تعليم وبيان للجاهل، وذلك يقتضى الانحصار كما

نص عليه ابن دقيق العيد وغيره. ومنها ما أخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير عن معاذ بن جبل. قال "كان رسول الله ﷺ إذا كان فى صلاته رفع يديه قبال أذنيه فإذا كبر أرسلهما، ثم سكت، وربما رأيته يضع يمينه على يساره ا هـ، ومن الآثار المصرحة بالإرسال ما أخرجه ابن أبى شيبة عن الحسن وإبراهيم وابن المسيب وابن سيرين وسعيد بن جبير أنهم كانوا يرسلوه. وقال الإمام النووى فى مجموعه قال الليث بن سعد يرسلهما فإن طال ذلك عليه وضع اليمنى على اليسرى. وقال الأوزاعى مخيرين الوضع والإرسال.

قال عبد الهادى: كلام الليث صريح فى أن القبض عنده ليس من السنة، وإنما هو من باب الاستراحة، وهذا هو عين ما علل به مالك كراهيته لما فيه من الاعتماد، وأخرج ابن أبى شيبة عن ابن سيرين أنه. قال حين سئل عن الرجل يمسك بيمينه شماله، فقال إنما ذلك من أجل الروم، وروى عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ كأنى أنظر إلى أحبار بنى إسرائيل واضعى أيمانهم على شمائلهم فى الصلاة، وهكذا أخرج عن أبى مجلز وأبى عثمان النهدى وأبى الجوزاء، وهؤلاء كلهم من كبار التابعين، وما نقل عن جميعهم يفهم منه النسخ لأن نسبته لأحبار بنى إسرائيل أو الروم دال دلالة صريحة على أنه ليس من سننه ﷺ لأنه لا يقتدى بأحبار الروم، ولا يأمر بالاقتداء لهم، ولا ينسب إليهم شىء من السنة: بل قد نهى ﷺ عن سؤالهم والاقتداء بهم، وعن النظر فى كتبهم.

فيما ذكر يعلم أن عزو القبض لأحبار بنى إسرائيل دال على الذم ويكون هذا بعد نسخه، فكأن النبى ﷺ كان أولا يقبض موافقة لبنى إسرائيل لما ثبت فى الأحاديث الصحاح من أنه عليه الصلاة والسلام كان يحب موافقة أهل

الكتاب فيما لم ينزل عليه فيه شيء، ثم لما نزل عليه الإرسال ترك القبض وعز لأحبار بنى إسرائيل على وجه الذم.

ثم قال عبد الهادى: وقد روى ابن المنذر عن ابن الزبير والحسن البصرى والنخعى أنه يرسلهما، ولا يع اليمنى على اليسرى.

وأخرج أبو بكر بن أبى شيبة عن يزيد بن إبراهيم قال: سمعت عمرو ابن دينار قال: كان ابن الزبير إذا صلى يرسل يديه.

الأمر الثانى من أدلة الاستدلال: هو أن عليه عمل أهل المدينة، وعمل أهل المدينة عند مالك مقدم على خبر الآحاد، وجاعلا له كالناسخ لما عارضه من خبر الآحاد.

وذلك لأن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يأخذون بالمتأخرين من أقواله وأفعاله ﷺ ولا يمكن أن يخفى عليهم المتأخر منها، فإذا وجد مالك رضى الله عنه عمل أهل المدينة المشحونة من التابعين على خلاف ذلك الخبر عمل بعمل أهل المدينة وترك الخبر عهده ﷺ وعهد الصحابة الذى تلقوا منه الشريعة وتلقاها منهم التابعون، فلا يمكن للتابعين أن يجدوا الصحابة على عمل ويعملوا بخلافه، فعلم أن هذا العمل مستند إلى خبر متأخر ناسخ للخبر الذى قبله، فصار عمل أهل المدينة لهذا المعنى كالمتواتر، والمتواتر مقدم قطعًا على خبر الآحاد.

وحاصل تحرير القول فى حجة عمل أهل المدينة عند مالك رحمه الله تعالى وتقديمه على خبر الآحاد: هو أن عمل المدينة نوعان: أحدهما عملهم فيما لا مجال للرأى فيه من الشرع: كالعبادات. والثانى إجماعهم على عمل من طريق الاجتهاد والاستدلال.

أما النوع الأول فعملهم فيه حجة عند المانكية اتفاقًا مقدم على خبر الآحاد بلا خلاف، وهو الذى أوجب عدول مالك رحمه الله عن القبض الذى روى حديثه فى موطئه إلى الإرسال، ولو لم يستند فى الإرسال إلى موجب أقوى من حديث القبض ما عدل عنه.

وقد قال ابن عبد البر: أن الأئمة أعاذهم الله تعالى من أن يثبت عند أحد منهم حديث صحيح ويرده إلا بادعاء نسخ، أو معارضة أثر غيره.

ومعلوم أن مالكًا (رضى الله عنه) من أجل العلماء وأشدهم اتباعًا للسنة.

فقال عبد الصمد: ما رأيك فى أن يصلى إن فعل القبض على وجه السنة لم يكن فعل مكروهًا؟

فقال الشيخ: هذا كلام غير معقول، وكيف يعقل أن محل كراهية القبض عند مالك، ومن قال بقوله من العلماء إذا كان فعله على وجه العبث بالاعتماد؟ فهذا أمر لا يختص به القبض، فكل نهو فى الصلاة اعتمادًا كان أو غيره مكروه، فأى معنى بتنصيص مالك على كراهية القبض مع دخوله فى عموم العبث، وإذا كان إنما كره القبض عند قصد اللهو به والاعتماد، كيف يخالفه العلماء فى كراهيته، وأيضًا كيف يحكم على الشىء بأنه مكروه ويقال أن النية تصيره مندوبًا؟ فيلزم على هذا أن كل مكروه تحوله النية إلى القربة، وإذا كان المكروه كذلك يكون الحرام أيضًا كذلك يتحول إلى القربة بالنية:

وهذا كله باطل، لأن النية لا تصح إلا بموافقة السنة، قال ابن أبى زيد فى رسالته: ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السنة.

فمالك إنما قال بكراهية القبض لمخالفته عنده للسنة، فكيف يقال على مذهبه أن قصد به السنة كان مندوبًا، وهو عنده مناف للسنة.

الكلام على رفع اليدين فى الصلاة

فقال له عبد الصمد: وما قولك فى رفع اليدين؟

فقال عبد الهادى: أما حديث رفع اليدين فى الصلاة، فقد رواه مالك فى موطئه، ولم يعمل به فى مشهور مذهبه.

ومع كثرة من رواه من الصحابة لم يعمل به أو حنيفة (رضى الله عنه) وكثير من الأئمة: كالثورى والنخعى وابن أبى ليلى والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس وعامر الشعبى وأبى اسحاق السبيعى وجميع أهل الكوفة، وإنما اعتمد مالك الذى رواه فى ترك العمل به، وجميع من ذكره على أنه منسوخ، واحتجوا على نسخه بما رواه أحمد وأبو داود والترمذى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: لأصلين لكم صلاة رسول الله ﷺ فصلى فلم يرفع يديه إلا مرة واحدة، وروى ابن عدى والدارقطنى والبيهقى من حديث محمد بن جابر عن حماد بن إبراهيم عن علقمة عنه بلفظ "صليت مع النبى ﷺ وأبى بكر وعمر، فلم يرفعوا أيديهم إلا عند الاستفتاح"، وهذا الحديث حسنه الترمذى وصححه ابن حزم. وقد قال إبراهيم النخعى للمغيرة حين قال له: إن وائلا حدث أنه رأى رسول الله ﷺ يرفع يديه إذا فتح الصلاة وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع. إن كان وائل رآه مرة يفعل ذلك، فقد رآه عبد الله خمسين مرة لا يفعل ذلك. وقد قال العينى: وفى البدائع عن ابن عباس أنه قال: العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة ما كانوا يرفعون أيديهم إلا فى افتتاح الصلاة، وأخرج الطحاوى بإسناد صحيح عن مجاهد قال: صليت

خلف عمر، فلم يكن يرفع يديه إلا فى التكبيرة الأولى من الصلاة. وأخرج ابن أبى شيبة فى مصنفة عن مجاهد قال: ما رأيت ابن عمر يرفع يديه إلا فى أول ما يفتتح إلى غير ذلك مما ذكره العينى وغيره، وقد قال ابن عبد البر: كل من روى عنه ترك الرفع فى الركوع والرفع منه روى عنه فعله إلا ابن مسعود.

فأنت قد علمت أن القائلين بترك الرفع فى الركوع والرفع منه ما اعتمدوا إلا على أن الأحاديث الكثيرة الواردة فى الرفع عند الركوع والرفع منه منسوخة.

قال عبد الصمد للشيخ عبد الهادى: بقى فى قلبى من القبض شىء. قال ما هو؟ قال إن الإمام مالكًا (رضى الله عنه) رواه فى موطئه كما ذكرت، ونحن نتمسك بما رواه ونعمل به ولا نلتفت بعد ذلك لا لكراهيته ولاستحبابه.

فقال الشيخ: هذا التمسك فى غاية البطلان، فلو كان الإمام لم يروه، واحتمل كونه لم يطلع عليه كان التمسك به وجه من النظر.

وأما بعد أن علمت أن الإمام اطلع عليه وعدل عنه فى الإرسال، وصرح بأنه يكرهه فى الفرض.

فلما أن تعلم أن عدول الإمام عنه لعد اطلاعه عليه كان لأمر أقوى عنده منه، فيقلده من هذا راض بتقليده من غير احتياج إلى التفتيش عن الدليل الذى استند إليه إمامه لعلمه بأنه يطلع على ما لم يطلع هو عليه. ولأن نصوص المجتهد فى حق مقلده كنصوص الشارع فى حق المجتهد، ويفتش عنه من ليس راضيًا بتقليده إلا فيما ظهر له دليله عليه، وهذا فى الحقيقة غير مقلد ولا حاجة له فى التعلق بإمام كغالب أهل هذا العصر اليوم.

وأما أن تقول إن عدوله لم يكن لأمر أقوى عنده اقتضى العدول.

والقائل بهذا قائل بفسق الإمام (رضى الله عنه). حاشاه من ذلك، فيلزمه أن لا يقبل روايته لحديث، لسقوط عدالته، فضلا عن أن يقلده فى غير القبض. ومالك رحمه الله لم يرو عن فاضل من جميع الأمة قدح فيه.

ثم قال: ومما ينبغى ذكره والتذكر به أن كل مالكى معترف بأنه على مذهب مالك لا يسوغ له القبض، هو أن القبض فى مذهب مالك فيه أربعة أقوال: الجواز، والندب، والكراهة، والمنع، ولم يقل أحد من المالكية ولا غيرهم بكراهية الإرسال ولا منعه، فهو إما مندوب وإما جائز، فكيف يسع العاقل التورع أن يرتكب الخلاف، ويذر ما اتفق على جوازه؟

فإن ما اختلف العلماء فى منعه وجوازه هو الشبهة التى قال فيها ﷺ "إن من تركها استبرأ لدينه، ومن وقع فيها كان كالراتع حول الحمى يوشك أن يوقعه" وهذا وحده كاف للمالكى المنصف المتورع فى ترك القبض.

ثم قال الشيخ عبد الهادى: وقد أملينا على سؤالاتك فى القبض ملخص ما كتبه الإمام المحدث الشهير الشيخ محمد الخضرى الشنقيطى المالكى حفظه الله فى تأليف له سماه [إبرام النقض. لما قيل من أرجحية القبض].

فقال عبد الصمد المصرى: لقد أسعدنى الحظ فى هذه الأيام باللقى بك والاجتماع بك، والتمتع بجواهر علومك، وأدركنا معك فى برهة قصيرة من الزمان من هاتيك العلوم العالية، وقلائد الآداب الراقية، التى قل أن توجد لغيرك من أبناء هذا العصر ما لم ندركه مع طول الأزمنة التى قطعناها فى البحث عن صحبة نظيرك.

ولكن من كان قصده الأهم، وغرضه الوحيد هو خدمة الإنسانية بكل ما فى وسعه وطاقته شأن المحسنين المصلحين، فكيف لا يكون هكذا؟

فعسى الله أن يحقق لك الرجاء، ويعمل الناس على تحقيق ما توده لهم، ولمدينتهم المحترمة، حتى تصبح هى أكبر محل دينى، وأغزر مورد علمى.

وبتنا على هذا النمط نتجاذب أطراف الحديث فى كثير من المواضع الدينية والأدبية حسبما تقدم بعض ذلك، ويقينًا على هذا إلى أن طوى بساط الغسق، وافترق ناديه، ونور الفلق وثوب مناديه، وبعد أداء المكتوبة، والاشتغال بأذكار هى لكل عاقل محبوبة، آوى كل منا إلى مضجعه، فاستراح ميلا، ولما طلعت شمس النهار استيقظنا وأدينا سنة الضحى، وتناولنا ما تيسر من الطعام. وحمدنا الله فى المسير والمقام. وبعد برهة من الزمان تأهبا لصلاة الجمعة. فنزلنا من الصومعة. وقصدنا بعض الحمامات لأجل غسل الجمعة. عملا بقوله ﷺ كما فى صحيح الإمام البخارى من رواية ابن سعيد الخدرى (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال "الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم" وفى رواية أخرى عنه قال: أشهد على رسول الله ﷺ قال الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وأن يستن وأن يمس طيبًا إن وجد، ومن رواية أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح من الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يسمعون الذكر".

هل فى ترك غسل الجمعة رخصة

فبينما نحن فى الطريق. إذ قال أبو زيد مخاطبًا للشيخ: هل تعلم رخصة فى ترك غسل يوم الجمعة. قال: نعم: قال ما دليلك فيها؟ قال ما أخرجه الحافظ أبو داود فى سننه، وبوب له بقوله: باب فى الرخصة فى ترك الغسل يوم الجمعة. حدثنا مسدد حدثنا حماد بن زيد عن يحيى عن سعد عن عمرة عن عائشة قالت "كان الناس مهان أنفسهم فيروحون إلى الجمعة بهيئتهم فقيل لهم لو اغتسلتم". حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا عبد العزيز يعنى ابن محمد عن عمرو بن أبى عمرو عن عكرمة "أن أناسًا من أهل العراق جاءوا فقالوا يا ابن عباس أترى الغسل يوم الجمعة واجبًا. قال لا، ولكنه أطهر وخير لمن اغتسل، ومن لم يغتسل فليس عليه بواجب، وسأخبركم كيف بدء الغسل، كان الناس مجهودين يلبسون الصوف ويعملون على ظهورهم، وكان مسجدهم ضيقًا مقارب السقف، إنما هو عريش، فخرج رسول الله ﷺ فى يوم حار وعرق الناس فى ذلك الصوف حتى ثارت منهم رياح آذى بذلك بعضهم بعضًا، فلما وجد رسول الله ﷺ تلك الريح قال أيها الناس إذا كان هذا اليوم فاغتسلوا وليمس أحدكم أفضل ما يجد من دهنه طيبه". قال ابن عباس ثم جاء الله بالخير ولبسوا غير الصوف وكفوا العمل ووسع مسجدهم وذهب بعض الذى كان يؤذى بعضهم بعضًا من العرق ا هـ لفظه.

فلما دخلنا الحمام وجدنا من فيه مكشوف العورة ينظر هذا إلى عورة هذا، وهذا إلى عورة هذا.

فقال الشيخ: أهؤلاء مسلمون وآباؤهم مسلمون. فقلنا كذلك يزعمون. فقال بئست الحالة والله، أليس عار على الإنسان كشف كورته، أليس قبيح

بالإنسان إبداء سوأته، أليس اتفاق أمة أو جماعة على فعل حرام مما يعجل الله به العذاب، أليس الفاعل للمحرم والمقر عليه والساكت عنه مشتركين فى الإثم، ومستحقين للعقاب؟ كلا: إن هذا من أعظم الكبائر والمصائب فى هذه الأزمنة التى توجب غضب الجبار، فى السر والجهار، وهذا الفعل لا يصدر إلا من سفيه بإجماع الأمة المحمدية، وحسبهم أنها خصلة يهودية، ألم يبلغهم قوله ﷺ "إذا دخل لعبد الحمام بغير مئزر لعنه الملكان" وقوله ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخلن الحمام إلا بمئزر" أيظنون أن العلماء سكتوا عن هذا الفعل المحرم بالإجماع أو غضوا عنه الطرف وصرفوا عنه الأسماع؟ كلا بل قاموا مرارًا متعددة بالتشديد على فاعل ذلك وبينوا ما يجره فعله والسكوت عنه فى المهالك، كما أبان الخطباء فى خطبهم تحريم ما ذكر، وخوفوا مرتكبيه، فهل من مزدجر! وأشاع الجميع تقبيح فعل ذلك فى الفتاوى والمؤلفات، وبينوا معايبه فى المنتديات والمجتمعات، وبذلك أدوا واجبهم وفعلوا ما أمر الله به، فلم يبق إلا التشديد والزجر ومنع تلك المصائب بالتأديب المناسب صونًا للآداب، وامتثالا لرب الأرباب، فإلى من ولاه الله فى الوقت أمور المسلمين، وكلفه بأحوالهم لا فرق فيها بين أمور الدنيا والدين، أن يردوا بالهم لهذه الداهية الدهياء، والمصيبة الدهماء، وأن يقوموا بإزالة هذا المنكر الوخيم، والفعل الذميم، ويختاروا لهذا الداء أنجع الأدواء، قبل أن ينزل غضب رب البرية، ويعم البلاء الطائع والعاصى وتعظم الرزية، وما ذاك على همة الولاة ببعيد.

ثم إن الشيخ أمسك عن الكلام وانتحى كل منا ناحية، هذا لا يعرف هذا، فلما فرغنا انصرفنا جميعًا.

حقيقة السعادة

فبينما نحن فى الطريق بعد أن خطونا خطوات، إذ لمحنا شيخين يمشيان على مهل، فدنونا منهما علنًا نظفر بفائدة جديدة، فإذا أحدهما يقول للآخر، لقد أفاض الفلاسفة فى تعريف السعادة وتفننوا فى تصوير اللذة، ولكنى لم أجد فيهم من نفذ فهمه إلى حقيقة ذلك التعريف، جهلوا أن السعادة كل السعادة هى ادعاء المشيخة بين هؤلاء الأغمار والجلوس فوق السجادة، وأن أسعد الناس حالا وأرخاهم بالأمن ادعاها، وثبتت قدمه فيها، يجرى رزقه من تحتها: فهى الجبة التى تجرى من تحتها الأنهار، نهر من نذور الدراهم، ونه من نذور الذبائح، ونهر من اعتقادهم فيه أنه يعطى ويمنع ويضر وينفع، فهى كالكنز الذى لا نفنى ذخائره أمد الدهر، وأسعد من هذا الحى: ميت يسخر الله له من يبنى على قبره قبة عالية. ثم يدعو الناس التبرك بتلك العظام البالية، فتجىء سعادته فى مماته على قدر شقائه فى حياته، وتطير بذكر كراماته الأنباء، وتحسده على تلك النعمة الأحياء، حتى يقول فى ذلك قائلهم.

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم ... وبألف ألف ترزق الأموات

من لى بحظ النائمين بحفرة ... قدمت على أحجارها الصلوات

يسعى الأنام لها ويجرى حولها ... بحر النذور وتقرأ الآيات

ويقال هذا القطب باب المصطفى ... ووسيلة تقضى بها الحاجات

فقال الثانى: لقد صدقت فى تعريفك، وأنصفت فى وصفك، ولكنى أعرف للسعادة منهجًا آخر، قد سلك فيه بعض الأقوام، فأصبحوا أسعد

الأنام، ألم تعلم وفقك الله أن السعادة كل السعادة فى الوصاية على ليتيم، وفى النظارة على وقف حبس على العظم الرميم، يأكل الأول ما شاء ولا محاسبة، ويلتهم الثانى ما أراد ولا مراقبة، وإنى أعرف فى قطرنا هذا قومًا قد احترفوا الوصاية على الأيتام، فهم كلما وجد يتيم بالبلد رشحوا أنفسهم لتلك الوصاية، وعملوا جهدهم للوصول إلى هذه الغاية.

قال صاحبه: صدقت يا أخى، فقضينا منهم العجب ومررنا.

ذم التقليد بالإفرنج

فبينما نحن فى الطريق إذ فجأنا شاب أبيض اللون أزرق العينين قد حلق لحيته وليس بذلة أوروبية: يسب الدين، فبقى الشيخ عبد الهادى حائرا فى شغله. فقال له عبد الباسط: هذا أحد من نبغ فى هذه المدارس الوقتية. فقال الشيخ: أما المسلمون اليوم فلا يهمهم كفر الشبان أو إسلامهم، وإنما يهمهم أن يتقدموا فى الدنيا الفانية، وما عليهم أأسلموا أم كفروا، ولقد تشعبت الأهواء بالناس اليوم حتى جرهم فساد البواطن وظلامها إلى تقليد الكافر فى عوائده حتى حذوا حذوه فى كل حركاته وسكناته، ولقد طغت مدنيتهم الكاذبة عليهم حتى اعتقدوا أن الخير فيما هم فيه، وكادوا يصرحون بهمجية الشرائع الدينية، ورأوا أن وجود اللحية من الوساخة، وأن النظافة إزالتها حتى مسخت صورهم وغيروا خلق الله، والله يقول (لا تبديل لخلق الله) ولو سألوا أطباءهم عن منافع وجود الشعر طبيا لحرص الكثير منهم على وجود، وفى الإحياء للإمام الغزالى عن كعب الأحبار (رضى الله عنه). قال: "يكون فى آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة، ويعرقبون نعالهم كالمناجل أولئك لا خلاق لهم"، وعن أبى هريرة أن أصحاب الدجال عليهم

السيجان شواربهم كالصياصى، ونعالهم مخرطمة، أى نعالهم لها أعناق طوال مفرقة كالخراطيم. [والسيجان]: جمع ساج، الطيالس. [والصياصى]: القرون، وقد ارتكب غالب أهل هذا العصر أمرين شنيعين: أحدهما حلق اللحى أو جزها، والثانى توقير الشوارب حتى تغطى الفم أو أكثره، والكل حرام، وفى الصحيحين "خالفوا المشركين ووفروا اللحى وأحفوا الشوارب"، وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح "قصوا الشوارب واعفوا اللحى"، وفيه أيضا "إن آل كسرى يحلقون لحاهم ويبقون شواربهم. خالفوا المجوس"، وفى مسند الإمام أحمد أيضا عن ميمون بن مهران عن ابن عمر. قال ذكر رسول ﷺ المجوس "فقال أنهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم"، وأخرجه أيضًا ابن حبان فى صحيحه والبيهقى والطبرانى. وأخرج الترمذى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ. قال "أحفوا الشوارب واعفوا اللحى ولا تشبهوا باليهود"، وقد ذكر العلماء فى حلقها من أنه دين الفرس وزيهم. قالوا وقد صار اليوم صنيع كثير من الإفرنج واليهود ومن لا خلاق لهم من المسلمين. قال الحافظ العراقى: وفى قص الشارب أمر دينى وهو مخالفة دين المجوس، ودنيوى، وهو تحسين الهيئة والتنظيف مما يغلق به من الدهن، وكل ما يلصق بالمحل كالعسل. وقد يرجع تحسين الهيئة إلى الدين أيضًا لأنه يؤدى إلى قبول قول صاحبه وامتثال أمره من دلالة الأمور ونحوها، والجمهور على أن ذلك مندوب، ومن العلماء من قال بوجوبه للأمر به فى قوله "قصوا"، ويدل له من حيث الجملة أحاديث كحديث "من لم من يأخذ شاربه فليس منا" أخرجه الإمام أحمد والترمذى والنسائى والضياء عن زيد بن أرقم. وقال الترمذى حسن صحيح، وحديث "من لم يحلق عانته ويقلم أظفاره ويجز شاربه فليس منا" أخرجه الإمام وحسنه.

فالتفت الشيخ عبد الصمد: إلى الشيخ عبد الهادى: وقال له يا سيدى لو رأيت حال قطرنا المصرى اليوم كيف انقلبت حقيقته لرأيت العجب، ولقد فارقه بسبب ما حل فيه من المناكر المجمع عليها: منها أن عدداً من علمائه قد حلقوا لحاهم، وهم يعلمون أن ذلك حرام بإجماع المذاهب الأربعة، ولكن جعلوا وجهتهم تقليد الكافرين، ومنها قط الشارب، وهو أنهم يحلقون من الشارب نصفه أو أكثر يمينا وشمالا على صورة تذهب بهجة الآدمية، وتمسخ كمال الإنسانية، ولقد هرع إلى هذا الفعل كثير من أبناء المسلمين حتى رأينا من يدعى الانتساب إلى طلب العلم والقرآن يرتكبه، ومها لبس عدد منهم القبعات، وهى ما يسمونه [البرنيطة] التى تسمونها أنتم بالشمرير، وهو علامة الكافرين وميزتهم وإذا كلموا فى ذلك يقولون نضعها على رءوسنا من الشمس، وما هو إلا تقليد الكافر ليس إلا، ومنها ترك تحية الإسلام بتحية الفرنج، ومنها تغيير اللباس كهذا الشباب الذى واجهنا الساعة، ولقد عمد الكثيرون من الذين سرقت قلوبهم بفتنها مدينة الغربيين فغيروا الميزة الإسلامية واختاروا عوضًا منها الميزة الكفرية. وذلك لبعد أرواحهم عن ذوق المؤمنين، واستبدل فريق من أهل العلم العمامة بالطربوش استرذالا لأمر العمامة وتسترا فى ظل الطربوش، فلعمرى كيف هان على نفوسهم ذلك رسول الله ﷺ يقول كما رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى الدرداء "إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة". وروى الديلمى عن جابر أن رسول ﷺ قال "ركعتان بعمامة خير من سبعين ركعة بلا عمامة"، وذكر صاحب محاضرة الأوائل تبعًا للسيوطى أن أول من كور رأسه بالعمامة أبونا آدم عليه الصلاة والسلام، كوره جبريل بن السنى لما خرج من الجنة إلى الدنيا، وكان متوجًا فى الجنة، وأخرج ابن السنى والديلمى عن ابن عباس مرفوعًا "العمائم

تيجان العرب فإذا وضعوا العمائم وضعوا عزهم"، وأخرج ابن أبى شيبة وأبو داود والبيهقى فى السنن عن على (رضى الله عنه). قال: "عممنى النبى ﷺ بعمامة سدل طرفها على منكبى، وقال أن الله أمدنى يوم بدر ويوم حنين بملائكة معممين هذه العمامة، وقال إن العمامة حاجزة بين الكفر والإيمان"، وفى رواية "بين المسلمين والمشركين"، وأخرج الترمذى وأبو داود عن ركانة بن عبد يزيد المطلبى رفعه "فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس" وأخرج الديلمى مرفوعا "لا تزال أمتى على الفطرة ما لبسوا العمائم على القلانس".

وبالجملة فقد رأينا فى بلادنا وفى كثير من البلاد الشرقية ترك الشباب وكثير من الكهول لهذه السنة المكرمة التى هى سنة العمامة المحترمة تركًا باتًا، ويستحى أحدهم أن يستعملها ويخرج بها إلى السوق ونحوه فضلا عن المحافل والمجامع، وإذا فعل التفت إليه، وربما تضاحك منه بعض أبناء جنسه وأكثروا من اللغط عليه والهزء به.

وأما الزوجات: فمنهن من لا تقبل اللفة بحال، ولا تقدر أن تنظر إلى زوجها وهو بها فى حال، حتى أن بعضهن يقلن على سبيل المبالغة: الدفة خير من اللفة، يعنين أن دخول الدفة أى المغسل الذى يغسل عليه الموتى على إحداهن لغسل زوجها خير من دخوله عليها وهو متلفف متعمم، فبلغت عندهم هذه السنة تلك الدرجة من الاستبشاع والقبح، وكيف يستهجن سىء استحسنه سيد الكائنات؟ ومن لأجله خلقت الأرضون والسموات، هذا شين وعار على صاحبه ونقص فى دينه، بل ترك الكثير من الناس اليوم من الثياب ما أصبح ميزة أهل الإسلام إلى ما هو ميزة المنافقين والكافرين. ثم بعد أن

استبـدلوا العمامة بالطربوش جـرهم الأمر إلى استبـدال الطربوش بالبرنيطة، ووجدوا من أهل العلم من يؤيد رأيهم، وما هو إلا جهل وعناد وزور وفساد، ولا حـول ولا قوة إلى بالله العـلى العظيم. ومنهـا أن مدارس أمـريكا عندنا اليوم حتمت عـلى أولاد المسلمين أن يصلوا معهم صلاتهم للمسـيح فيصلون معهم، ويقولون يا إلهنا المسيح افعل كذا وكذا كما يقول الكافرين، وأقبح من هذا إدخال الأطفال الصغار المدارس التى تحـت إدارة النصارى، فعندنا مدرسة مديرتها نصرانيـة، بلغنى أنها جعلتهم مسيحـيين كنهم بحيث لو سألت الولد الذى اسمـه محـمد مثـلا لقال اسـمى المسيح لما بثـته فى قلوبهم من عـقائد الكافرين، وليس ذلك ببعـيد. فإن ولد استلمته لا يعـرف الأرض من السماء وربته فليس من الصعب عـليها أن ترسم فى ذهنه دينها وعقـيدتها، إذ الفطرة قابلة لأن يرسم عليها الهدى أو الضـلال، ومتى علم ولى الصبى ذلك وفعل كفر حيث رضى بالكفر، والرضى بالكفر كـفر: كما هو معلوم عند العلماء، ولا يخفى على كل عالم بأحوال الوقت أن المدارس التى تنشر فى سائر البلاد الإسلامية يفترى فيهـا على الله الكذب، ويتقول فيها على الإسلام الأقاويل: منها أن الـقرآن من عمل الرسـول ﷺ، لا من عند الله إلى غـير ذلك مما لا يحصى كثرة، ومنـها سفور المرأة، ولو رأيت اليوم ما حل بأرضـا عجبا؟ كنا نعيب على المرأة فى تبرجها بالزينة لزوجهـا حتى رأيناها تكشف عورتها راغبة فى أن يراها من يحـرم عليـها النظر إلى وجـهه، قـد اتخـذت لباسًـا يصف محاسنها، ويأليتها أرسلته على كل البدن، ولكنها رأت الأكمام عيبًا، والخمار ذنبًا، قـد كشـفت الساق، وطافت بالأسـواق وزججت الحـاجب، وأرسلت العيـن فجرت لأهلـها كل عار وشـين، وأعانهـا على ذلك الرجـال الأوغاد الأنذال، وقالوا ذلك مدنيـة، وإن حرمته الملة الحنيفية، آثروا كـفر الكافرين،

على شرع رب العالمين، ومنها إصلاح المرأة وشعرها بيد الحلاق، فيا ليت شعرى أبن غيرة الرجل إذا سمع أن امرأته الجميلة قام عليها فى خلوتها رجل بدعوى أنه يصلح شعرها، وأن يكون إبليس الساعة، وكيف هان الأمر على الرجل، والغيرة من أخلاق الرجال، وكيف ساغ له بعد ذلك طعام أو شراب، أن ذلك لما تضل فيه الأفكار، وتحار فيه العقول، ومن العجب إقرارها على ذلك وصدوره من مؤمن يعلم أن دينه القويم يحرم ذلك، إلى غير ذلك مما يطول بى ذكره لك فى هذه الساعة.

فقال له الشيخ عبد الهادى: لا عجب فى ارتكاب ما ذكرت، وإنما العجب فى الانسلاخ منه: ألم تسمع قوله ﷺ كما رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) "لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر، ودراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى. قال فمن"؟ والمعنى أنكم لابد وأن يأتى عليكم وقت تهجرون سنتى وتتبعون اليهود والنصارى فى مخالفتهم حتى لو دخلوا مدخلا رديئًا كجحر الضب لدخلتموه مثلهم. فصلى الله وسلم على من أطلعه الله عل مخبئات المستقبل، معجزة لحضرته ﷺ.

فانظر بعينك كيف سلك المسلمون المسالك الرديئة مقلدين للكفرة فى هتك أعراضهم وغيروا معالم دينهم بضلالات حاكوا فيها اليهود والنصارى: كالاستنشاق بالدخان وشربه، وشرب الخمور، وتغيير الزى الإسلامى وحلق اللحى، وكل ما دخل على المسلمين اليوم من المفاسد فمنشؤه تقليد هاتين الملتين، ولذلك لما قال الصحابة (رضى الله عنهم) "اليهود والنصارى قال فمن" أى فمن غيرهم: أى هم الذين يدخل عليكم منهم فساد دينكم، وفى

الصحيح عن حذيفة (رضى الله عنه) أنه قال "لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، ولتطؤن نساءكم وهن حيض، ولتسلكن طريق من كان قبلكم حذو القذة[1] بالقذة، وحذو النعل بالنعل لا تخطئون طريقهم ولا تخطىء بكم".

فقال عبد الباسط: إن الشباب اليوم قد ضرب بينه وبين الإنسانية سورًا منيعًا، وأقام حاجزًا كثيفًا فصار لا يرى حقائق الإنسان ولا ما يجب أن ينطبع عليه من فضيلة ونيل، فليست الإنسانية أن يتزيا بزى أعداء الدين بل الإنسانية أن يتزيا بزى سبل المتقين، إن المدنية الأوروبية التى انغمس فيها الشبان حتى انحطت أخلاقهم واضطربت عقولهم، وانعكس قانون منطقهم حتى أرادوا أن تكون الأرض غير الأرض، وأن تتبدل السماء غير السماء، غيرت أحوال تلك المدنية وغمرتها بفضائح وعلل باطلة باهتة من صنوف الأخلاق الضعيفة حتى استولى عليها سلطان كل رذيلة، وحازت أعظم نصيب من كل خسة، ولو كنت أعجب من شىء فى هذه الحياة لعجبت من أمر هؤلاء المتزيين نرى الأجانب يدعون أنهم مسلمون وآباءهم مسلمون، فكيف يرضون إذا وصفوا بغير الإسلام، ألا ترى كيف تهافتوا على هذه الحضارة الغربية فتفرنجوا واندمجوا وأسرفوا فى التفرنج والاندماج، حتى غمر التفرنج والاندماج منهم كل شىء، وحتى لا تبقى عليه سمة من سمات الإسلام، ولا يبقى ما يصح أن يتسموا به مسلمين.

وتأملوا فى هذه الحضارة الغربية كيف مسختهم فى أعين المسلمين حتى فى أنفسهم، أى خلق حسن اليوم للشباب يكتب عنه الإنسان؟ وها هى الجيوش الجرارة منهم تسير شراذم فى الطرقات. وقد لونوا وجوههم وأزالوا لحاهم وشواربهم، وارتدوا ملابس ليس فيها شىء من الحشمة والوقار، وزد

(١) القذة بالضم ريش السهم. اهـ قاموس..

على هذا أنهم يباشرون شعر رأسهم ووجوههم بالأدهان الرومية التى تقتضى الصقالة كما تباشر النساء رءوسهن ووجوههن بذلك، فلو رأيت وجوههم عند استيقاظهم من النوم لحكمت عليها بتمكن علة من العلل بها. ثم بعد استعمالهم تلك الأدهان الأوروبية تراها فى شكل آخر من سريان الدم الصورى، وهذا دأبهم صباح مساء.

ولقد غرتهم المدنية الغربية فأقصتهم عن الإنسانية، وحببت إليهم زخرف الحياة حتى خرجوا عن قواعد الشرف والكرامة وأدخلت عليهم الغرور ثوبًا من النفاق بل ومن الكفر.

لقد انطبع أصحاب هذه المدنية اليوم على الكذب والخداع والغش والخيانة والمكر والفسوق، وكثير من أنواع الخسة والضعة والامتهان.

والدين بهذه المدنية التى أصبحت آية كبرى قد تقوضت دعائمه، وتداعت أركانه، وأصبح فى عصرنا تتناقله الألسن كأسطورة من أساطير التاريخ البائدة، ولم يعد يحافظ عليه محافظة عملية إلا فئات من الفقراء وأوساط الأمة حتى اللغة التى حفظها القرآن الكريم على تداول الأجيال المتعمقة فى القدم قد بدأت أوراقها تسقط، فلو دخل أحدنا منزل أحد العظماء فإنه لا تقرع أذنه كلمة عربية خالصة، لا من طفل ولا من شاب: بل ولا من شيخ: بل كلهم عاكف على خليط من الفرنسية والإنجليزية وغيرهما، وهذا عار شديد وعيب عظيم.

ثم أن أبا زيد قال للشيخ عبد الهادى: هل لهؤلاء الذين يحلقون بعض رءوسهم سند فى ذلك؟ قال لا ولكن الذى بلغنا عن الرسول ﷺ أنه كان يحلق رأسه كله أو يتركه كله، ولم يكن يحلق بعضه ويترك بعضه.

ثم إن الشيخ عبد الصمد المصرى التفت إلى عبد الباسط المراكشى وقال: لقد كشفت الغطاء عن مساوئ شبان قطرك المغربى. وأما شبابنا المصريون لو رأيت ما هم فيه لاستغربت وقوعه. قال وما ذالك؟ قال: الكثير منهم يقضى وقته فى اللهو واللعب، قليلو الإقبال على أداء الفرائض الدينية، فإذا دخلت مسجداً وقت الصلاة، قل أن تجد بين المصلين واحداً منهم.

وسبب ذلك عدم العناية بتعليم الدين، إذ لو تعلموا دينهم لأقبلوا على الصلوات فى أوقاتها، ولكان لذلك أثر جليل فى نجاحهم، وقوة فى أبدانهم، وصبرهم على المكاره، وإصرارهم على الفوز، واقتحام العقبات.

وبعض الشبان يسخرون من الصالحين ويؤلمونهم بما لا يليق صدوره إلا من فئة نشأت نشأة بعيدة عن الخلق الكريم، والصراط المستقيم، وأكثر إقبال الشبان على لعب النرد والشطرنج والرقص مع النساء على أنغام الموسيقى، ونحو ذلك مما يضع فيه الوقت ويتعب العقل.

وبالجملة لو شئت لكتبت كثيراً فى نقائص الشبان عندنا، ولأبنت ما هم فيه من تبرج وخروج عن جادة الاعتدال، والتورط فيما يكسب الوبال والنكال، ولو أن الشبان اكتفوا بذلك لهان الأمر، ولكنهم ساروا فى ميدان الإلحاد شوطًا بعيداً، واجتماع الإلحاد والتهاون بالدين خطر يجب دفعه بكل قوة.

وبينما نحن مارون فى الطريق. إذ دنا من عبد الباسط فى مقتبل العمر وريعان الشباب. وتبدو على محياة سيما الكآبة والأسى، فسلم عليه تسليم العارف له وقال: ألا تذكرنى؟ فشخص بصره إليه. ثم قال له: يا صاح أذكر أنى رأيت شخصك، ولكن لا أدرى أين ومتى رأيتك، وقد غاب عن ذاكرتى

اسمك، فلا تؤاخـذنى بما نسيت. قال أنا عبد الله بن عبـد الرحمن: قرينك فى التعليم الابتدائى، فذكره وأقبل يحييه تحية المشتاق إليه المرحب به. ثم قال له: ولكن مالى أراك فى تلك الهيئة الرثة والحـال المستنكرة؟ وقد عهدتك من بيت عـزة وثروة، فاغـرورقت عيناه بالدمـوع وأخذته رعـدة المحمـوم. وقال بصوت خافت مـتهدج: قد تبدلت عـزتى شقاء وثرائى فقرًا، فـسأله: وكيف تبدل حـالك، وساء مـآلك؟ قال قضى والدى رحـمه الله تعـالى، وقد كنت لذلك العهد ملازمًـا للتعليم: كما تعلم، وكنت مصادقًـا فئة من أبناء الأغنياء أمثالى، فزينوا لى أن أهجر قـراءة العلم، وأقطع حبل الدراسة، وقالوا مالك ولهذا العناء الوافر المتـواصل، أتبغى أن تحرز شهـادة أو منصبًا من المناصب، وعندك من المال ما تعيش به عـيشة الأمراء المترفين، ومـا زالوا يوسوسون فى صدرى، حتى جنحت إلى رأيهم وأجبت داعيهم، فأصبحت متعطلا لا عمل لى ولهم غير الاختلاف إلى القـهوات والمنتديات، ولا هم لنا سوى المرح فى ميادين الملاهى والملاذ، فمن حانة خمـره إلى مائدة قمار، إلى بيـت فجور، إلى مجلس غناء، إلى دار تمثـيل هزلى، وكل ما أعمل فـيه فكرى وأكد فـيه ذهنى، مظهـر بهى، ومنظر طلى، ومـأكل شهى، وملبس فـاخر، ومـركب باهر، وترف وافر، وهكذا طفـقت أبعثر أموالى ذات اليمـين وذات الشمال، وغفلت عن ضياعى وأمـلاكى، وتركت زمامها بيد وكيلى معتـقدًا فيه الأمانة والنزاهة، فجعل يختلس من دخلها ما شـاء، وشاء له طمعه الأشعبى، إذ لا رقيب يناقـشه الحسـاب، ولا مطلع يكشف عن جناياته النقـاب، وما هى إلا دورة الفلك حـتى استـيقظت من سـباتـى، فرأيتنى فى بحـار الديون غارقًـا وبأغـلال الحجـز مكبلا. ولـم يلبث الدائنون أن انتـزعوا منى كل مـا أملكه جميعًا. فـأصبحت صفرا اليدين لا أملك فتـيلا ولا قطميرًا، وظللت أتكفف

إخوانى الذين كنت أغدق عليهم بالأمس، فضنوا على اليوم بالبخس، وجعل متلطفهم يعتذر بضيق ذات يده ويعدنى إلى ميسرة مواعيد عرقوب، لولا أن قيض الله لى صديقا من أصدقاء والدى رق لما نابنى، فجعل يمدنى آونة أخرى بمنحة أسد بها وجوه فقرى وأصلح بها شأنى، وها هو ذا يسعى فى إيجاد عمل لى أقتات منه. وهنا عاوده البكاء ثانية، وقال صدق القائل: صنعة فى اليد أمان من الفقر.

فقال له عبد الباسط أكفف دموعك، ولا تيأس من روح الله ولا تقنط من فرجه - فإن مع العسر يسرا - وبعد الشدة فرجا، وخذ بأسباب أى عمل منه تعش، فلا عار فى عمل يصون صاحبه عن التبذل، وإراقة ماء المحيا على أعتاب المسألة.

ولعلك تستفيد من هذا الدرس القاسى موعظة تنتفع بها فى مستقبل حياتك إن قدر لك أن تعيش عيشة اليسر والرخاء. ثم تركناه، ومشينا.

وإذا بنيت أمامنا فى سن الرابعة عشر من عمرها متبرجة فى أكمل زينتها، متشامخة فى محاسنها، ضاربة الأرض برجليها، غامزة بعينها، بادية زينتها للحوزى والحضرى، ولقطاع الطريق، وللكافر والمسلم، وللقوادين والقوادات، ورأينا الأعين متجهة إليها من صوب وناحية، يشيرون إليها بالبنان.

فالتفت الشيخ عبد الهادى إلينا وقال: يا لله من هذه العادات التى مزقت معها ثياب الآداب، إنى لأخشى أن الزمن على توالية يحسن القبيح ويقبح الحسن، إن نساء زماننا هذا قد بلغن فى التهتك والتبرج أقصى غايتهن وغاض ماء الحياء من وجوههن، وكادت العفة تطير من قلوب جميعهن،

وإنى ليحـزننى أن أرى انتهـاك الحرمات والانغـماس فى الشهـوات مع وجود علماء الوقت بين أظهرنا.

ولا شك أن هذا الفـعل سـائق إلى مـهاوى الهـلاك، ومن الثـابت فى التـواريخ أن كل أمة فـشت فيـها الفحـشاء تضـمحل وتتـأخر، ثم تسـقط، والعكس بالعكس.

فالتفت إليـه عبد الباسط وقال: والله يا مـولاى لو أخبرتك بما يقع من هذا البـلاء فى كل يوم وليلة لسـمعت العـجب. قـال: وما ذاك؟ قـال: إن المومسات اليـم تكاثرن وانتشرن انتشـارًا عظيمًا فى جمـيع أقطار المغرب، بل وفى المشرق على ما بلغنا من الثقـات، يرتكبن الفاحشة على أى حالة كن فى البيوت والحدائق والأخبية، وكثر الاخـتلاط بهن، والمزاحمة معهن فى جميع الحركات، وهذا شىء لامناص لنا من رده.

ثم قال عبد الباسط: ومن العجـائب أن بين هؤلاء الزانيات نساء عجائز يصعبن وجوههن بأدهان أوروبية، ويلبسـن ثياب الرفاهية، ويخدعن من ليس له خبرة بحيلهن.

وقد أصبحـت اليوم الشوارع غاصة بالعاهرات والنسـاء اللائى يتعاطين هذه المهنة، حتى أن بعض هؤلاء النساء يتعلقن بالرجال من غير مطالبتهم لهن بذلك خصوصًا فى الأوقات الليلية، وقل أن تجد فى هذا القطر محلا للسكنى منعزلا عن المومسات.

ولعل الله تبارك وتعـالى يهىء فى المستقبل من تزول بسـببه هذه الرذيلة والعهارة، وينهزم أهل الكبائر والفـواحش والدعارة، وتخمد هذه النيران قبل أن يصل لهبها إلى البقية الباقية من أهل الإيمان.

ثم بعد هنيهة حللنا المسجد الجامع اليوسفى، وقصدنا الصف الأول، واشتغل كل منا بقراءة القرآن سرًا، وكذا الصلاة والسلام على سيد ولد عدنان ﷺ، ولما حان وقت الصلاة جاء قيم المسجد، وطلب من الشيخ عبد الهادى أن ينوب عن الإمام فى الخطبة والصلاة تبركًا به، فأجاب إلى ذلك وهذا نص الخطبة.

الخطبة التى ألقاها الشيخ عبد الهادى بالجامع الموسيقى

الحمد لله الذى ارتضى لعبادة الإسلام دينًا، ورفع قدر من تمسك بآدابه، ووقف عند حد وده، وأشهد أن لا إله إلا الله السميع البصير، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله البشير النذير. اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين قاموا بواجب ما أمرهم الله به، ولم يقدموا على ما نهاهم عنه، فأورثهم مشارق الأرض ومغاربها. والله ذو الفضل العظيم. قال الله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون).

عباد الله: قد آن للمسلمين أن يتدبروا أمرهم وينظروا بعين عقولهم إلى مصيرهم ويلتفتوا إلى دينهم الحنيف التفات المريض إلى دوائه، والغريق إلى ساحل نجاته، فقد كفانا ما صرنا إليه من هوان وذل، بعد ذلكم العز الأقعس والمنزلة الشماء.

يا عباد الله: كانت الأمة الإسلامية فى إبان شبابها وعنفوان مجدها متمسكة بدينها الحنيف، معتمدة عليه فيما تأتى وتدع، مهتدية بهديه،

مسترشدة بمناره، معتبرة بما خلا بين يديها من النذر، فكان الدين لها جنة واقية، وذخيرة باقية، فلم تطلب منالا إلا أدركته وإن عز، ولا غاية إلا وصلت إليها وإن بعدت، فلما قست القلوب بعد لينها، وانصرفت عن الدين بعد التمسك به، وقام حب الشهوات والميل مع الأهواء حاجزا بين المرء ودينه، وانصرف الناس إلى محارم الله، فاستباحوا حماها وصار المسلمون كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وفشت فيهم الأهواء، واستولت عليهم المطامع، وملكتهم محبة الملاذ، واستغرقت وجدانهم، وصار الواحد لاهيًا بذاته لا يشعر إلا بنفسه التى بين جنبيه، ولا يحس إلا بما نزل بشخصه، فلما فشت هذه النقائص صرف الله القلوب عن الخير، وحبب إليها الفساد فى الأرض. وباعد بين الأفراد وإن قربوا، فتنافرت قلوبهم، وتفرقت كلمتهم - وكان أمر الله قدرا مقدورا.

عباد الله: توعد الله عبادة الذين يخالفون عن أمره: ويعرضون عن مراقبته، وينصرفون عن ذكره، ويجترئون على معاصيه. بشديد غضبه، وعظيم سخطه، وحذرهم بأسه وانتقامه، فما بال المسلمين بعد القرون الأولى، ودخولهم فى هذه الأزمان المتأخرة عمدوا إلى محارم الله فارتكبوها وإلى منهياته فاستباحوها، ومأموراته فاجتنبوها، وقطعوا الأسباب بينهم وبين خالقهم ورازقهم، ثم عادوا بمر الشكوى من تغير الأحوال، وانتزاع البركة من الأرزاق والأموال، ليس هذا بغريب، فان الله يغار على أوامره أن تجتنب، ومحارمه أن ترتكب. كما يغار الحر الكريم على عرضه.

يا عباد الله: إن المحافظة على أوامر الله تعالى التى أمركم بها فى كتابه وأرشدكم إليها على لسان نبيه محمد ﷺ بمنزلة العهد والميثاق بينكم وبينه

تعالى أن يحوطكم برحمته، ويسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وآن يكون معكم بالعون والتوفيق، فإذا حاربتموه بارتكاب معاصيه وإهمال أوامره فقد حاربتم جبار السموات والأرض ذا القوة المتين، ولستم بمعجزيه فى الأرض أن يرسل عليكم عذابه فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى، فقد صرنا فى زمن نرى ارتكاب أمرًا عاديًا، وليتنا وقفنا عند هذا الحد: بل صار من يجاهر بالمعصية محمودا بالألسنة محببا إلى القلوب، والمتمسك بدينه ممقوتا فى أهله، بغيض الطلعة، ثقيلا على الأنفس، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عباد الله: إنا نرى من تسموا بالمسلمين الآن لم يحرزوا من الإسلام إلا اسمه، ولم يدركوا من الدين إلا رسمه، رفضوا جميع آداب الإسلام وابتعدوا عن كل خير أمرهم الله به.

عباد الله: اتقوا الله فى دينكم وأنفسكم وأهليكم (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)

الحديث: عن عبادة بن الصامت (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال "بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرفوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب فى الدنيا، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله عز وجل، فهو إلى الله: إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك" ا هـ.

ولما فرغنا من الصلاة جلسنا مدة بداخل المسجد نتأسف على الحالة التى عليها الناس اليوم، وقد أوجدت فى نفوسنا كدرًا ما عليه من مزيد وها نحن نرى السواد الأعظم من المسلمين وفيهم الأمراء والعلماء والأعيان كلهم

يدعى الصلابة فى دينه، والحمية لجنسه، ونراهم لا يبدون فى هذه السبيل ولا يعيدون: بل قصاراهم فيها أن يسألوا أنفسهم بأن هذه المفظعات كانت سابقًا، والحجة على السابق، وقد عدوا حملها ثقيلا على الجادين فى إصلاحها لكثرة اختلال شئونها، وهذا عذر غير مقبول. لكن لما انقلبت المدارك فى هذه الأمة الإسلامية أصبحت تحرص على العادات الضارة وتحافظ عليها. لو كانت لا نهاية لها فى درجة التهالك.

وأما الأخلاق الكريمة التى يخرج ينبوعها من معين الشرع الصحيح فهى لا تحافظ عليها إلا كما يحافظ الغربال على الماء.

العيوب التى يرتكبها الناس يوم الجمعة

فمما شاهدناه من مثالب الجمعة يوم: هو أن الناس لا يعرفون إلا إدراك الصلاة خلف الإمام، وإن فاتت فبدلها الظهر، لا يعرفون شيئا مما لها من الحقوق. فمن ذلك تغافلهم باللهو واللعب والبيع والشراء عنها حتى إذا حان وقتها دخلوا المسجد بقدر ما يدركون الصلاة ولو الركعة الأخيرة.

وقد ورد عن عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) أنه دخل المسجد يوم الجمعة فوجد ثلاثة سبقوه فتأسف على فوات فضله السبق لما كان يسمع من رسول الله ﷺ "إن الناس فى رؤية ربهم فى الجنة على حسب السبق يوم الجمعة" فقال متأسفا "رابع أربعة، وما رابع من الله ببعيد". فانظر ما حال من لا يجىء إلا والإمام أحرم، أوفى الثانية خصوصا؟ وقد روى الشيخان عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: "من اغتسل يوم الجمعة فسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنه ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن،

ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر".

فعندنا معشر المالكية محمول على ساعة الصلاة. والمراد تقسيمها أى من جاء فى القسم الأول من ساعة الصلاة فكأنما قرب كذا، أوفى القسم الثانى وهكذا، وقد ورد وعيد كبير فى التهاون بأمر الجمعة أو تركها أورده الديلمى وغيره. من ذلك قوله ﷺ "لا يزال العبد متهاونًا بالجمعة حتى يغضب الله عليه"، ومنها ما رواه مسلم فى صحيحة عن أبى هريرة وابن عمر رضى الله عنهم أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره "لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين" [والودع]: بفتح الواو وسكون الدال: الترك، ومنها ما رواه الطبرانى من حديث أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليسع إلى الجمعة، ومن استغنى عنها بلهو أو تجارة استغنى الله عنه والله غنى حميد"، ومنها ما رواه الإمام أحمد فى مسنده عن أبى قتادة أن رسول الله ﷺ قال "من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير ضرورة طبع الله على قلبه".

ومن مثالبهم: الغفلة عن فضائل الجمعة كالصلاة على النبى ﷺ، وما طلبت قراءته من القرآن يومها وليلتها كسورة الكهف. فقد ورد عن أنس كما روى البيهقى فى شعبة أن رسول الله ﷺ قال "أكثروا من الصلاة على فى يوم الجمعة وليلة الجمعة، فمن فعل ذلك كتب له شهيدًا وشافعًا يوم القيامة" وقال ﷺ "من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين" رواه النسائى عن أبى سعيد الخدرى، وفى كشف الغمة: فى آداب

اليوم والحضور. قال أبو هريرة (رضى الله عنه)، وكان رسول الله ﷺ يحث كثيراً على الصلاة والتسليم عليه يوم الجمعة وليتها، ويقول "أكثروا على من الصلاة فى الليلة الغراء واليوم الأزهر فإنه يوم مشهود، ما من عبد يصلى على فيه إلا عرضت صلاته على حين يفرغ منها، قالوا يا رسول الله كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت: يعنى بليت، فقال: إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" [وأرمت]: بفتح الراء وإسكان الميم وفتح لتاء المخففة: أى صرت رميمًا. قال وسيأتى فى الباب الجامع للأذكار أن أقل الأذكار سبعمائة مرة فى النهار انتهى منه بحروفه. وقد ذهب بعض العلماء إلى أفضلية الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ يوم الجمعة وليتها عن صلاة النافلة وقراءة القرآن إلا الكهف ويس.

ولكون إخوان العصر لا يعرفون إلا اللغو فى المساجد أو حديث الدنيا، والصالح فيهم يجلس ساكتًا لا يصلى على الرسول ولا يقرأ لأنه مشغول البال، إما بغير الله أو بغلبة النوم وقتئذ: بل لا يعرفون غسل الجمعة مع أن بعض العلماء أوجبه، ولا الطيب ولا السواك ولا غير ذلك من آدابها، ومع ذلك هى عندهم الفرض الأهم فيحضرونها، ويفرطون فى غيرها: فلا تجد جماعة أعظم منها يمتلئ المسجد من المصلين، وبعدها قد يصلى الإمام وحده أو بجماعة قليلة ليس فيهم من التجار ولا الأغنياء إلا القليل، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، اللهم أصلح حال أمة نبيك، وأزل عنهم حجاب العمى حتى يعرفوا ما عليهم من حقوق العبودية.

ومن مثالبهم: رفع الصوت فيه بتلاوة القرآن أو بالصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، ولا يخفى ما ورد من النهى فيه ما لم يشوش على نحو

مصل وإلا حرم، ومنهـا السؤال فيه بالقـراءة وبغيرها، ولا يخفى مـا فيه من الوعيد، ومنها دخول الصبيان فـيه والصبيان لا تحترز عن القذر، وذلك يؤدى إلى عدم تـنظيف المسجـد، وقد ورد الأمر بتـنظيفـها، وفى الحديث "جـنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم"، وكذا المؤذنون لا غيرة لهم على بيوت الله: بل إنما قصدهم التوصل إلى تلك الرواتب الشهـرية لا غير، وسيأتى لنا مزيد كلام فى هذا الموضوع فيما بعد بحول الله.

ومن مثـالبهم: التى أفسـدت عليهم صـلاتهم وأعمت بصائرهم كـثرة نومهم حـالة الخطبة فقد وجـدنا أكثر أهل المسجـد حالة خطبة الجمـعة الإمام نائمين، ولا شك أن النوم الثقـيل القصير من نواقض الوضوء، وعـلامته أن تنحل حبوته أو يسـيل لعابه أو تسقط السبحـة من يده أو لا يتفطن لشىء من الخطبة، وكل ذلك قد كان لعدد منهم، ولا شك أن الإنصات للخطبة واجب اتفاقًا وكذا الصمت ولو لغير سامع ولو بخارج المسجد، وبالجملة فحال الناس اليوم فى هذه القرية بئس الحال.

وبينما نحن جلوس على هذا الحـال: إذ وقف بإزائنا فصيلة الفـقيه أبى عبد الـله أحد المثرين بهذه الحـضرة المراكشيـة فسلم وجلس أمام الشيـخ عبد الهـادى وطلب منه أن يشـرفـه هو ومن مـعـه بالقـدوم لمحله، فلبى دعـوته واستصحبناه إلى أن وصلنا منزله، فتهلل وجهه سرورًا، وامتلأ طربًا وحبورًا. وأدخلنا إلى روض فسيح، ذى منظر بهيج وهواء صحيح، مملوء بطيور مطربة ينشيشها[1] رافلة فى الملابس المجددة من ريشها، وفيه من الأشجار التى أكلها دائم، وحملـها النفع المتعـدى لازم، وورقهـا على الدوام غيـر زائل، وقدود

(١) النشيش صوت الماء وغيره إذا غلى اهـ قاموس.

أغصانها تخجل كل رمح زابل، ولعمر الإنصاف لهو روض فى مطالع السرور عالى، وقدره فى المتنزهات غالى، وبدر إشراقه بالسعود متلالى، وبه الغريب عن أوطانه سالى.

وبالجملة فهو روض أمن وأمان، وحسن وإحسان، وأنهار وجنان، وفيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وتحار فى وصف حسنه الألسن، ولسعادة الحظ ما كاد يستقر بنا المجلس حتى دخل علينا حضرة العلامة اللوذعى صاحب الشمائل المرضية، أبى عبد الله سيدى محمد بن عبد الله المراكشى: فابتهج بمجيئنا ابتهاج الكرام، وأثنى على صاحب المنزل، لكونه السبب فى هذا الإكرام. ثم بعد هنيهة فاضت أنهار الأطعمة الفاخرة، فأكلنا مريئًا، وبعده تناول الجميع أكواب الشاى المعنبر.

بيان ما عليه المدعون للصلاح وانتسابهم لطريق الصوفية

وفى أثناء الاجتماع طلب الفقيه المذكور من الشيخ عبد الهادى أن يأخذ بيده فى طريق القوم، وقال منذ زمان وأنا أتطلب شيخًا عارفًا يأخذ بيدى، ولم أجد لمعرفته حيلة، وخفت من الوقوع فى حبائل هؤلاء المدعين فى الوقت، الكذابين الذين لا سبيل لهم سوى جمع الأموال، وادعاء حقيقة المعرفة والوصال، حتى تخيل العلمى من ذوى الحقيقة والأحوال، بل هم من ذوى السخط فى العاجل والمآل، ظهروا بأشكال مختلفة وألوان متنوعة، وبدع وأهواء، وكذب وافتراء، ظهروا بمظهر العلماء العاملين، وفى الحال انكشف النقاب، عما خفى من تلك التلبيسات التى اصطادوا بها الجاهلين.

رأيت أحوالهم اليوم كلها مناقضة لأحوال السلف الصالح أكلا وشربًا ولباسًا وإقبالا على الدنيا، ورغبة فى الرياسة، وتهافتًا على أبواب الظلمة إلى غير ذلك مما لا يسعهم إنكاره.

رأيت طرقهم متميزة عن بعضها امتياز النوع والجنس، وكل منهم يرى أخاه المسلم بالعين التى يرى بها الأجنبى عن الدين، وصار صاحب كل طريق يعمل على حدته، ساعيًا وراء خصوص مصاخه وإن أضر بمصالح غيره. حتى أننى أمعنت النظر وحققت الحال، فوجدت أنه لم يبق للوحدة الدينية وجود إلا فى الخيال، وهذا غاية مرمى الشيطان ورضاه، فلا يرضيه إلا أن يتظاهر أهل كل مذهب بما يوجب الاستيلاء على غيره بكل ما يستحق من الوسائل القولية أو الفعلية.

وما هذه الطوائف الوقتية إلا تلوينات عوجاء، بل أفاعى رقطاء، ابتكرتها مخيلة شيطانية، ومهما أردت التفاهم من أحد منهم والتعرف إلى شخصيته وما تنطوى عليه ضلوعه من الأمانى والرغبات، وقمت تبحث عنه فى ميادين جهاده، وساحات حروبه ونضاله، وقعت على أعمال تأباها شريعة خير المرسلين.

فقال له الشيخ عبد الهادى: لقد ظهر لى من حالك أنك رجل عاقل بحاث كبير، وغاية ما أقول لك فيهم: أنهم يلعبون بالشرع الشريف ويطبقون الدين على أهوائهم، ويفسرون القرآن بغير معناه، ويجعلون ذلك مصيدة للمال، ولا جدال فى أن كثيرين من هذه الطوائف جناة على الأمة الإسلامية أما بجهلهم وجمودهم، وإما بتلاعبهم بالشرع، ومحاولتهم اصطياد الدنيا بشكبة الدين، وإذا قرعهم إنسان بما جاء من الكتاب أو السنة أطلقوا فيه ألسنتهم بالسب: بل ربما كفروه أو فسقوه أو رموه بكل شنيعة.

وبالجملة فإن الجهل الذى عليه طوائف هذا الزمان جهل هائل لا دواء له إلا التعليم والإرشاد، ولو أن هذه الطوائف توقفت إلى أن تتربى بتربية الكتاب والسنة، وتتأدب بآدابهما لاستراحت مما هى فيه من إثم وفساد ومما تعانيه من شرور وموبقات، ولكن (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور).

ثم قال الفقيه المذكور: للشيخ عبد الهادى، ولقد قصدتك فى هذا لما اشتهر عندى وعند غيرى من أكابر علماء هذه الحضرة المراكشية بأنك رجل من أبر الناس بالإسلام، ومن أكثرهم علمًا به، وممن قدموا على المخاطر التى تفوق الحروب الدموية، فى التوصل للسنة المحمدية، وبهذه النظرة الواسعة، والصبغة المتسعة صرت عندى أكبر آية فى ذلك.

فقال له الشيخ عبد الهادى: إن كنت قصدتنى لأجل ما ذكرت فلست بصدده، وإنما مقصودى هو الرغبة فى العمل بالكتاب والسنة المحمدية اللذين عما روح الحياة الاجتماعية، وفيهما نجاح الأمة حالا واستقبالا كما لا يخفى، وغاية ما أوصيك به وأدلك عليه هو أن لا تهمل إصلاح دينك وإصلاح بدنك اللذين تبلغ بهما سعادة الدارين، أما إصلاح الذات فإن تبادر إلى رفع كل مرض تتوقعه بأى وجه من وجوه أسبابه، وإلى المحافظة على قوتك، وتجديد دمك باستعمال كل ما فيه صلاح لذلك، وأما إصلاح دينك فبمتابعة الكتاب والسنة المحمدية لا غير.

وأما التصوف فى عصرنا اليوم: فقد أصبح زيه حبالة الدنيا وشباكه يصطاد بها قلوب من لا يعرفون من الدين إلا اسمه، وما هو إلا اغترارات بأباطيل يختلقها الجاهل. وتمسكات بخزعبلات يفتريها المدعون بهذه الدعوة الفادحة.

وقديمًا كشفت علماء الشريعة الغطاء عن أمر هؤلاء المتصوفة، وبينوا مثالبهم ومخالفتهم للشرع القويم من كل وجهة، وأنهم أضل الناس من كل جهة، وليعلم كل واحد أن ليس المراد بقول الله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعًا) طريقة من هذه الطرق التى تمسك بها هؤلاء، وحملهم على التمسك بها متفقهة أهلها بالإتيان ببعض الأدلة من الكتاب والسنة فى غير محلها، واستعمالهم التقية فى دعاويهم المشقية. قال الإمام الحافظ الحجة أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى رحمه الله فى كتابه [نقد العلم والعلماء، أو تلبيس إبليس] ما نصه: قد بالغ إبليس فى تلبيسه على قدماء الصوفية، فأمرهم بتقليل المطعم وخشونته، ومنعهم شرب الماء البارد فلما بلغ المتأخرين استراح من التعب واشتغل بالتعجب من كثرة أكلهم، ورفاهية عيشهم.

ولقد زيف طرقهم من كل وجه بالنصوص الصحيحة الصريحة، وأبدى فى ذلك وأعاد، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

وقال الإمام الحافظ الحجة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية فى كتابه [إغاثة اللهفان، فى مصائد الشيطان] ما نصه: ومن كيده ما ألقاه إلى جهل المتصوفة من الشطح والطامات، وأبرزه لهم فى قالب الكشف من الخيالات، فأوقعهم فى أنواع الأباطيل والترهات، وفتح لهم أبواب الدعاوى الهائلات، وأوحى إليهم أن وراء العلم طريقًا إن سلكوه أفضى بهم إلى كشف العيان، وأغناهم عن التقييد بالسنة والقرآن، فحسن لهم رياضة النفوس وتهذيبها، وتصفية الأخلاق والتجافى عما عليه أهل الدنيا وأهل الرياسة، والفقهاء وأرباب العلوم، والعمل على تفريغ القلب وخلوه من كل شىء، حتى ينتقش فيه الحق بلا واسطة تعلم، فلما خلا من

صورة العلم الذى جاء به الرسول نقش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعد له من أنواع الباطل، وخيله للنفس حتى جعله كالمشاهد كشفًا وعيانًا.

فإذا أنكره عليهم ورثة الرسول. قالوا: لكم العلم الظاهر، ولنا الكشف الباطن، ولكم ظاهر الشريعة، وعندنا باطن الحقيقة، ولكم الفشور، ولنا اللباب، فلما تمكن هذا من قلوبهم سلخها من الكتاب والسنة والآثار كما ينسلخ الليل من النهار. ثم أحالهم فى سلوكهم على تلك الخيالات، وأوهمهم أنها من الآيات البينات، وأنها من قبل الله سبحانه إلهامات وتعريفات، فلا تعرض على السنة والقرآن، ولا تعامل إلا بالقبول والإذعان.

فلغير الله، لا له سبحانه ما يفتحه عليهم الشيطان من الخيالات والشطحات وأنواع الهذيان، وكلما ازدادوا بعدًا وإعراضًا عن القرآن وما جاء به الرسول كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم.

ثم قال ابن القيم: بعد كلام، ومن كيده أنه يحسن إلى أرباب التجمل والزهد والرياضة العمل بهواجسهم ووقائعهم دون تحكيم أمر الشارع، ويقولون: القلب إذا كان محفوظًا مع الله كانت هواجسه وخواطره معصومة من الخطأ. وهذا من أبلغ كيد العدو فيهم. فإن الخواطر والهواجس ثلاثة أنواع: رحمانية، وشيطانية، ونفسانية، كالرؤيا، فلو بلغ العبد من الزهد والعبادة ما بلغ فمعه شيطانه ونفسه لا يفارقانه إلى الموت والشيطان يجرى منه مجرى الدم، والعصمة: إنما هى للرسل صلوات الله وسلامه عليهم الذين هم وسائط بين الله عز وجل وبين خلقه فى تبليغ أمره ونهيه، ووعده ووعيده، ومن عداهم يصيب ويخطئ، وليس بحجة على الخلف.

وقد كان سيد المحدثين الملهمين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يقول

الشيء فيرده عليه من هو دونه، فتبين له الخطأ، فيرجع إليه، وكان يعرض هواجسه وخواطره على الكتاب والسنة، ولا يلتفت إليها، ولا يحكم بها ولا يعمل بها.

وهؤلاء الجهال يرى أحدهم أدنى شيء، فيحكم هواجسه وخواطره على الكتاب والسنة، ولا يلتفت إليهما، ويقول: حدثني قلبي عن ربي، ونحن أخذنا عن الحي الذي لا يموت، وأنتم أخذتم عن الوسائط، ونحن أخذنا بالحقائق، وأنتم اتبعتم الرسول، وأمثال ذلك من الكلام الذي هو كفر وإلحاد، وغاية صاحبه أن يكون جاهلا يعذر بجهله، حتى قيل لبعض هؤلاء: ألا تذهب فتسمع الحديث من عبد الرزاق؟ فقال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الملك الخلاق، وهذا غاية الجهل، فإن الذي سمع من الملك الخلاق: موسى بن عمران كليم الرحمن.

وأما هذا وأمثاله فلم يحصل لهم السماع من بعض ورثة الرسول، وهو يدعي أنه سمع الخطاب من مرسله، فيستغني به عن ظاهر العلم، ولعل الذي يخاطبهم هو الشيطان، أو نفسه الجاهلة، أو هما مجتمعين ومنفردين، ومن ظن أنه يستغني عما جاء به الرسول بما يلقى في قلبه من الخواطر والهواجس، فهو من أعظم الناس كفراً. انظر تمامه.

وقال الإمام الشعراني رحمه الله: في كتابه "موازين الرجال القاصرين" ما نصه: وسبب ترك العارفين فتح باب المشيخة والتسليك في هذا الزمان شهودهم كثرة البلايا النازلة على الخلق ليلا ونهاراً، وعلمهم بأن الأمر نازل إلى وراء، وقد اشتد الأمر، ولا يزيد الأشدة حتى تكمل الدورة وتقوم القيامة، فإذا علمت هذا علمت أن ترك العارفين فتح هذا الباب في هذا

الزمان هو الصـواب، فلا يفتحـه الآن إلا من أعمى الله بصيـرته وبصره من هؤلاء المدعين للمراتب والمتنازعين عليها انتهى بلفظه.

وبهذا يظهر لك أن الصوفـية الذين سلكوا على منهج السلف الصالح، فقدوا وماتت علومهـم، وطمست طرقهم، واندست أذواقهم، ولم يبق على منهاجهم اليوم أحد.

نعم بقى ذوو الأباطيل والغرور والدعاوى الكاذبة: كما ترى.

وقد نقل عن الشيخ أبى العباس الحـضرمى أنه قال: لو طفتم من أقصى المغرب فى طلب مريد مـستقيم الإرادة ظاهرًا وباطنًا وكل وجـه ما وجدتموه، فكيف بالعارف الكامل؟ انتهى كلامه.

ومعلوم أن الشيخ لا يصل لرتبة المشيخة غالبًا إلا بعد رتبة المريدية. وها أنت ترى أنه لا توجد مريدية على حقيقتها.

ذلك فى وقت الشيخ الحضرمى، فكيف فى وقتنا هذا الذى التبست فيه الطرق، وطمست آثارها على المريد والمراد حـتى آل الأمر إلى أن من لم يكن مريدًا قط لا حقيـقة ولا مجازًا يدعى الشيخـوخة ويخبر بالشيخـوخة الجهال والضلال من جـهالته وضلالتـه، حرصًا على انتشـار ذكره وشهرته، وكـثرة مريديه.

وقد جعلوا اليـوم هذا الشأن العظيم لعب الصبيـان، وضحكة الشيطان حتى يتوارثـونه كلما مات واحد منهم يجلسـون ابنه مقامه صـغيرًا[1] كان أو

(١) كما حـدث بمصر القاهرة: أنه منذ ٣ سنين توفى المثرى الشهـير السيد عبـد الرحيم باشا الدمرداش شـيخ طريقة السادة المحـمدية الدمرداشيـة فجلس مكانه بأمـر مشيخـة السادة الصوفية حفيده السيد مصطفى منير. البالغ من العمر ٦ سنين.

كبيراً، وينزلونه منزلة المشايخ: كما ترى فى وقتك هذا وقبله بأزمنة كثيرة. فهذه مصيبة قد عمت، والطريقة من أزمان قد تمت، فاندرست آثارها، وانمحت أنوارها.

قال أبو العباس الحضرمى: قد ارتفعت التربية بالاصطلاح فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة من جميع الأرض ولم يبق إلا الإفادة بالهمة، فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان.

قال الشيخ زروق عقب هذا الكلام: ثم بعد كلامه هذا، يعنى الإمام الحضرمى تتبعت الطرق التى بأيدى الناس اصطلاحية، فلم أجد مع أحد منهم حقيقة ولا طريقة إلا مجرد النسبة، يعرف ذلك من تأمله معتنيًا انتهى كلامه. والشيخ رزوق هذا تلميذ للشيخ الحضرمى رحمه الله.

وقال الإمام اليوسى رحمه الله: قد نص شيوخ الطريق على انقطاع التربية المصطلح عليها من أزمان، وكرهوا السلوك عليها والتسليك انتهى.

وقد نص الأئمة الأعيان رضوان الله عليهم: على أن التربية الاصطلاحية مطموسة لا يمكن لأحد الأخذ عليها كما قال الشيخ أبو مدين رحمه الله:

واعلم بأن طريق القوم اليوم دراسة، وحال من يدعيها اليوم كما ترى.

وذلك فى زمن أبى مدين، وكان فى المائة السادسة، لأن وفاته كانت سنة أربع وتسعين وخمسمائة، فأحرى اليوم الذى هو سنة إحدى وخمسين وثلثمائة وألف وقبله بأزمان.

فمن ادعاها اليوم، فالحال يكذبه، لأن أحوال السلف الصالح رضوان الله عليهم غير خفية، فنحن نرى من ادعى ذلك أحوالهم كلها مناقضة

لأحوال السلف الصالح أكلا وشربًا ولباسًا وإقبالا على الدنيا، ورغبة فى الرياسة وتهافتًا على أبواب الظلمة إلى غير ذلك مما لا يسعهم إنكاره.

فلذلك قال الشيخ أبو مدين: من يدعيها، وسمى ذلك دعوى لا غير وقال حال من يدعيها يكذب فى دعواه، فلو كان عاقلا ما ادعى أمرًا وهو يحمل منه شاهدًا عليه.

وبالجملة فمسالك هذه المطالب اليوم مجاهل ليس فيها أعلام ولا موارد ولا مناهل، هيهات قد اضمحلت تلك الرسوم وخلت من الأرواح هاتيك الجسوم. فلا دليل لطالبها ولا رفيق، ولا مساعد ولا معين ولا شفيق:

ما فى الديار أخو وجد تطارحه حديث نجد ولا خل تجاريه

بل لا تجد إلا متعاصيًا للحق، مطاوعًا للهوى، متظاهرًا بالوفاق، وأنت بالعدوة الدنيا وهو بالعدوة القصوى، إذا استنصرته انخذل، وإذا ناصحته جادل، أو جالد[1] وعذل، وإذا استتبعته ذهب على غير سبيل، وانتسبت لأدنى قبيل، وإلى الله سبحانه المشتكى، وإلى جنابه العزيز الاستناد وعليه الاتكاء.

وذكرت لك هذا يا فقيه كى لا تغتر بى فى طلبك هذا منى، ولا بغيرى من المتغرين، وأزيدك على هذا ما ذكره الشيخ العلامة المؤرخ أبو العباس أحمد الناصرى السلاوى رحمه الله: فى كتابه الاستقصاء. ونصه: قد ظهر ببلاد المغرب وغيرها منذ أعصار متطاولة، لا سيما فى المائة العاشرة، وما بعدها بدعة قبيحة، وهى اجتماع طائفة من العامة على شيخ من الشيوخ

(١) أى تصلب ولم يمتثل.

الذين عاصروهم، أو تقدموهم ممن يشار إليه بالولاية والخصوصية ويخصونه بمزيد المحبة والتعظيم، ويتمسكون بخدمته، والتقرب إليه قدراً زائداً على غيره من الشيوخ بحيث يرتسم فى خيال جهلهم أن كل المشايخ أوجلهم دونه فى المنزلة عند الله، ويقولون نحن أتباع سيدى فلان، وخدم الدار الفلانية، لا يتحولون عن ذلك ولا يزولون خلفًا عن سلف، وينادون باسمه، ويستغيثون به، ويفزعون فى مهماتهم إليه معتقدين أن التقرب إليه نافع، والانحراف عنه قيد شبر ضار، مع أن النافع والضار هو الله وحده. وإذا ذكر لهم شيخ آخر ودعوا إليه حاصوا حيصة حمر الوحش من غير تبصر فى أحواله، هل يستحق ذلك التعظيم أم لا؟ فصار الأمر عصبيا، وصارت الأمة بذلك طرائق قددا، ففى كل بلد أو قرية عدة طوائف وهذا لم يكن معروفا فى سلف الأمة الذين هم القدوة لمن بعدهم انتهى كلامه. وزد على ما ذكره هذا الفقية المؤرخ أن كلا من هذه الطوائف يعتقد أن ما هو فيه هو الحق وغيره على الباطل. وذاك على دين، وهذا على دين. وهذا خروج بالمرة عما يأمر به الدين - إنما المؤمنون إخوة - والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا.

فعليك يا فقيه أن تقى نفسك وبنيك من شرك هؤلاء الأوغاد، وإلا تعرضت لأخطار جسام. واعتقادات فاسدة عظام.

ثم أن الشيخ عبد الهادى التفت إلى الشيخ عبد الباسط وقال له: ما عندك فى هذا الموضوع؟ فقال لو ذكرت ما عندى فيه لسمعت العجب العجاب: فقال له شنف أسماعنا بذلك يا عبد الباسط، فأنت بعيوب أهل زمانك أدرى. قال كنت من صغرى مشغوفا بمطالعة كتب القوم خصوصًا كتب الشعرانى رحمه الله، وغالب كلامه فيها التحريض على التعلق بالشيخ

المربى الحى، واشتد شغفى بذلك، وصرت أتطلبه إلى أن ظفرت به على زعمى، وغرنى سمته وقشقشة لسانه، وصاحبته زمنا طويلا وسفرا وحضرا واطلعت على مساوئ ظهرت عليه عديدة يأباها الشرع المحمدى وغضضت الطرف عنها، وكنت أقول: كل ذلك تلوين واختبار، وبعد مدة كتبت له مناقب نقلتها عن بعض جهلاء طريقته، وزدتها تنميقا كى يخلد ذكره فى عظماه الرجال. اغترارًا بظاهر الحال وادعائه على رءوس الأشهاد ما هو من قبيل المحال.

ومن أغرب ما يسمع أننى كنت أرى أن كل غضب ولو من الأم والأب لا شيء إذا رضى الشيخ، حسبما سمعته منه مرارا، ولذلك أعرف كثيرا من المغرورين بحبه عقوا آباءهم وتركوهم فى محبة طاعته مع سرورهم بذلك كل السرور، لأن عندهم طاعة شيخهم مقدمة على طاعة والديهم عملا بما يقرره هو فى غالب مجالسه الواهية العنكبوتية، وأخبرك يا سيدى بما رأيته فى هذا الرجل، ولك منى قسم بالله العظيم على صدق ما أقول:

رأيت منه الغش للمسلمين، والكذب على الحاضرين والغائبين، والعمل بدون دليل. واحتقاره المسلمين، وطعنه فى رؤساء الدين، وكل من تبعه إنما تبعه اغترارا بظاهره الجميل، ولقبه الفخيم، ودعواه الطويلة العريضة فى أنه قطب الزمان وغوثه، وكذا وكذا، ولكن فى أقرب مدة يظهر لك ما انطوت عليه سريرته، وكم من كبراء وعلماء ورؤساء أخذوا عنه. ولما تحققوا من حاله تركوه وتبرءوا منه، وكان يتفعل فى أمره كل التفعل، ويدخل على الناس بحيله الباطلة كل مدخل، ويغريهم بشأنه أنه تخلص من حظ النفوس، ودخل حضرة القدوس، وأنه من الأقطاب الواصلين، بلغ فى العرفان أعلى

عليين، وكم دخل على المرأة الباهرة الجمال وادعى أنها ابنته وزوجها ولده فى طريق الرجال، ويباسطها ويلاطفها، وهى فى أكمل زينتها وأبهر حليها متبرجة تبرج الزوج لزوجه، وهى تعتقد أنها نالت البركات، وكذلك زوجها يدخل عليه السرور لتشريف شيخه بمنزلة لزيارة زوجته. يود من منحه عوائده ويبغض من مل وقطع عنه فوائده. يدعى ظهور الكرامات ونفوذ السر فيمن أحبه، والغضب على من خالفه. يستهوى عقول الصغار. ويحارب الناصحين من الكبار. يتغالى فى إضافة الأفعال إليه والى الرجال. ولا تخطر بعقله ما فى ذلك من قبيح الضلال.

ولما رأيت آثاره هذه آثار مرض فى العقل لا آثار رجال عالم مرشد، وإن كل ما عليه بدع وضلالات، يجب على كل مؤمن أن يتوقاها، ويتوقى أهلها لئلا يصبح من عدادهم مبتدعا، تبرأت منه، وانسلخت من أفعاله وأقواله وأحواله: كانسلاخ الشهر من سننه، والرجل من ثيابه، والحية من قشرها، والنهار من الليل.

وأزيدك مما شاهدت مرارا: أنه مهما تكلم معه أحد كلمة تؤلمه، أو عامله معاملة لا يرتضيها، أو إهانة بأى نوع من أنواع الإهانات، أو انسلخ من طريقته يجعل حضرته يترقب الدواهى والمصائب من أجل ما فرط منه فى حقه، فإذا اتفق وحدث لذلك المهين لحضرته أى حادث من الحوادث التى تؤلمه، فهنا يوم العيد الأكبر عنده، ويوم السرور الذى لا يعادله سرور، والنعمة التى يعتقد أن الله لم ينعم عليه بمثلها، ويأخذ من فرحه وسروره يذكرها بين مريديه غروراً وفخراً وإعجاباً، ويقول: الأولياء عطابون، من تعرض لعم عطبوه، ويمثل بذلك الذى أهانه، ويقول انظروا ماذا حل بفلان،

وسترون ما يحصل له غير ذلك من أنواع البلايا والمصائب، ولا يسأل القارئ عما يحصل من حضرات المريدين بعد أن يسمعوا من فم حضرته تلك الحادثة، يحصل فى أوراق من زيادة ونقص وتصرفات يصل بها إلى حد المعجزة، كمعجزة عصى موسى وأمثالها، وقد يشافهون المصاب بأنه ما أصيب إلا من أجل سيدنا الشيخ، وهذا جهل عظيم، وغرور يأبى أن يعادل بغرور، وذلك أن هذا ينطق بأن حضرة الشيخ يفهم فى نفسه أنه عند الله تعالى عظيم وله مكانة بها ينتقم له، ممن يتعرض له بإيذاء، وهذا بعينه الرضا عن النفس الذى قالوا أنه لا يوجد فى مريد ويفلح بحال، وإذا كان هذا قولهم فى المريد، فليعجب القارئ من اتصاف جناب المرشد به الذى انتهى من التلمذة، وأصبح يتربع على سجادة المشيخة يأمر بلسان الشرع وينهى، وهو والله إنما يأمر عن هوى نفسه, ثم إن ذلك أيضًا نوع من الشماتة، بل أستطيع أن أقول أنه أقبح تظهر فيه الشماتة.

وقد ورد النهى عن إظهار الشماتة لئلا يعاف المصاب ويصاب بالبلاء الشامت فيه، ولكن حضرة المرشد لا يعرف هذا، ولو عرفه لا يعرف العمل به، على أن الذى يأمرنا به ديننا المحمدى أننا نحب لإخواننا ما نحب لأنفسنا من الخير، ونكره لهم ما نكره لأنفسنا من الشر.

وقد أشرت لك يا سيدى بهذا، واختصرت فى الإشارة لتزداد علمًا بأن زماننا فيه عجائب وغرائب تظهر على يد من يزعمون أنهم هداة الناس وأدلاء العباد.

فقال له الشيخ عبد الهادى: وأى شىء بلغنك منه ومن أصحابه بعد هذا. قال أما تناول الفحش ومنكر القول بحضرته، على رءوس الأشهاد فذاك

طبيعته وديدنه كل يوم خصوصًا عند المائدة، ولكن أعذره هو وأتباعه فى الكلام فى شأنى ومهما قالوا وكذبوا، فأنا لا ألومهم، لأنى كتبت ما جر عليهم تلك الولايات، وأسقطهم من أعين الناس: كسقوطهم من أعين الله، فأنا لا أغضب من شتائم رجل، وقد ذبحته بيدى، فهو يأكل الأرض بأسنانه ويحفرها بيده ورجليه، ومن ألم الذبح يشتم ويسب. ومن هذا حاله ظلم أن يغضب منه ذابحه، بل وأن يلتفت لطعنه وسبه. سيما والناس لا يتهيبون الزور من القول فيمن يخالف مشاربهم كائنًا من كان.

حكم من يدعى أنه من أكابر علماء الإسلام والمرشدين وهو مرتكب لما يخالف الشرع

ثم إن عبد الباسط التفت إلى الشيخ عبد الهادى وقال له: ما رأيك فيمن يزعم أنه من أكابر علماء الإسلام ومرشديه، وهو يتلذذ بسماع هذه الآلات الوقتية، ويقطع جل حياته لذة وطربًا بها حتى أداه شغفه به إلى أن وضع فيه مؤلفًا احتج فيه بدلائل عنكبوتية. وخرافات واهية تمجها الأسماع، وتنفر منها النفوس السليمة.

فقال الشيخ: لم يزل أنصار الإسلام وأئمة الهدى تصيح بهؤلاء من أقطار الأرض، وتحذر من سلوك سبيلهم. واقتفاء آثارهم من جميع طوائف الملة، ويكفى فيه قول الإمام مالك (رضى الله عنه) لما سئل عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء, فقال إنما يفعله عندنا الفساق.

وأما أبو حنيفة فإنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب، وكذلك مذهب أهل الكوفة: سفيان وحماد وإبراهيم والشعبى وغيرهم لا اختلاف بينهم فى ذلك، ومذهب أبى حنيفة فى ذلك أشد المذاهب، وقوله فيه أغلظ الأقوال،

وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهى كلها كالمزمار والدف حتى الضرب بالقضيب، وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق وترد به الشهادة، وأبلغ من ذلك ما قالوه: أن السماع فسق والتلذذ به كفر، هذا لفظهم.

وأما الشافعى فقال: إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته، وصرح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه، وأنكروا على من نسب إليه حله.

وقال الإمام أبو بكر الطرطوشى المالكى رحمه الله بعد كلام فى هذا الموضوع، ولا ينبغى لمن شم رائحة العلم أن يتوقف فى تحريم ذلك: فأقل ما فيه أنه من شعائر الفساق وشاربى الخمور، وكذلك قال أبو زكرياء النووى فى روضته.

وقد حكى أبو عمرو بن الصلاح الإجماع على تحريم السماع الذى جمع الدف والتشابه فقال فى فتاويه: وأما إباحة هذا السماع وتحليله فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين، ولم يثبت عن أحد ممن يعتد بقوله فى الإجماع والاختلاف أنه أباح هذا السماع، والخلاف المنقول عن بعض أصحاب الشافعى أنما نقل فى الشبابة مفردة والدف منفردًا، ومن يتبع ما اختلف فيه العلماء وأخذ بالرخص من أقاويلهم تزندق أو كاد.

قال: وقولهم فى السماع المذكور أنه من القربات والطاعات: قول مخالف لإجماع المسلمين ومن خالف إجماعهم فعليه ما فى قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع سبيل المؤمنين قوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا).

ورضى الله عن سفيان بن عيينة إذ يقول: احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل: فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، ومن تأمل الفساد الداخل على الأمة وجده من هذين المفتونين.

وقال فى "القول الوثيق" فى الرد على أدعياء الطريق" ما نصه: ذكر العلماء فى كتب الفقه: أن الطبل والزمر لا يسوغ فعلهما ولا استماعهما إلا فى بعض الولائم الشرعية كوليمة النكاح لمصلحة دينية، لا لمجرد اللهو واللعب: فلا يسوغ اتخاذهما فى الذكر الذى هو أفضل الأعمال والطاعات التى يتقرب بها إلى الله تعالى: على أنه مهما رخص فى استعمال آلات اللهو فى مواطنها المشروعة، فذلك إنما هو إذا استعملت منفردة فى مكان على حدة بعيدة عن مجالس الذكر والعبادة التى لا يسوغ للداخل فيها أن يتشاغل من مناجاة الحق سبحانه بأى نوع من أنواع السوء فضلا عن استعمال آلة الطبل والمزمار والتصفيق ورفع الأصوات بالألفاظ الساذجة ونحو ذلك مما لا يستطيع أحد أن يفعله بحضرة من له شوكة وبأس من الخلق، وإن فعله عد مستخفًا أو ماجنًا أو مجنونًا فكيف يفعل فى ساحة الذكر، والذاكر جليس الحق يناجيه بأسمائه الحسنى وصفاته المقدسة: إلى أن قال: وأما التصفيق بالأيدى كما يفعل هؤلاء الجهلة فى الذكر فهو من البدع المنكرة التى ليس لها أصل فى الدين، بل ذلك من بقايا الجاهلية الأولى. قال تعالى: (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) على أن مثل هذا الفعل إذا صدر من أحد فى غير حالة الذكر لام عليه الناس وعدوه مجاوزًا حد الكمال والأدب. فكيف به فى حالة الذكر التى ينبغى أن يكون الإنسان فيها على أكمل الحالات.

حكم الرقص فى حالة الذكر

فقال عبد الباسط: وما رأيك فيما عليه هؤلاء الطوائف من الرقص والتواجد.

فقال الشيخ: ألم يبلغك ما كتبه علامة زمانه، وأحد محدثيه، الشيخ محمد الخضر الشنقيطى فى هذا الموضوع، وسماه [تصوف السعادة والنجاح، والرد على متصوفه الرقص والصياح]. قال بلغنى: وكفى به حجة. قال هل تريد زيادة على ذلك. قال نعم: قال سئل الإمام أبو بكر الطرطوشى المالكى عن مذهب الصوفية واجتماعهم على الذكر والصلاة على النبى ﷺ ويوقعون بالقضيب على آلة، ويقوم بعضهم برقص ويتواجد حتى يقع مغشيًا عليه هل الحضور معهم جائز أم لا؟ أفتونا رحمكم الله.

فقال: مذهب هؤلاء بطالة وضلالة وجهالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسدًا له خوار. فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل، وأما التوقيع فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله، وكان النبى ﷺ يجلس مع أصحابه كأنما على رءوسهم الطير من الوقار ا هـ.

وقال الإمام الغزالى: الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول إلا بالتعب وقال ابن عقيل، وهل شىء يزرى بالعقل ويخرج عن سمت الحلم والأدب أقبح من ذى الحية يرقص: فكيف إذا كانت شيبة ترقص وتصفق على توقيع الألحان والقضبان.

فقال عبد الباسط عند هذا: وهذه إحدى المساوئ التى كنت أكرهها من

الشيخ المحدث عنه، وهو أنه كان يرقص على توقيع الألحان بجميع آلات الملاهى كلها، ويبغض من لا يوافقه على ذلك، وكان كثير الإنشاد بنينى وأنا أنا. وإنى والله فى عجب شديد من هذا الرجل لكونه يدعى أن له القدم الكبير فى متابعة السنة المحمدية، وحاله ما أرى.

فقال عبد الهادى: أما الذكر بنينى وأنا أنا فأقل مراتب هذه المقالة الشنيعة الحرمة لأنه إن أريد بها أن ذات القديم عين ذات الحادث: فذاك نوع من الاتحاد والحلول الذى ذهب إليه النصارى، وبعض غلاة الشيعة، وأن أريد غير هذا مما يصح به المعنى فلا يسوغ ذكره شرعًا ولذلك أفتى العلماء بقتل الحلاج، ولفى أبى يزيد البسطامى حينما صدر عنهما مثل هذه المقالة.

حكم تحريف أسمائه تعالى عند الذكر بها

ثم قال عبد الباسط للشيخ عبد الهادى: وما رأيك يا سيدى فى السماع عند هؤلاء القوم ومزجه بالذكر حسب الأوضاع الشعرية واختلال نظام الأذكار وقطع أوصالها.

فقال الشيخ: ومما يجب الالتفات إليه تصحيح ألفاظ الأذكار والإتيان بها على ما يطابق قانونها الشرعى من مد الممدود وقصر المقصود وغن ما تجب فيه الغنة وتوفية كل كلمة ما تستحقه من ذلك، فإن الإخلال بشىء من تلك الأحكام يؤدى إلى عدم اعتبارها شرعًا وعدم الإثابة عليها كذا قال علماء الدين المقتدى بهديهم. وفى "القول الوثيق، فى الرد على أدعياء الطريق" للشيخ محمد العدوى المالكى المصرى ما نصه:

أجمع المسلمون على حرمة الإلحاد فى أسمائه تعالى والتحريف فى آياته وعلى حرمة ذكره على وجه ينافى الإعظام والإجلال. قال تعالى (وذر الذين

يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) ولا ريب أن اللحن فى الكلمة المشرفة الحاد وتحريف فى الاسم الشريف وذكر له تعالى على وجه لا تسبيح فيه ولا تقديس، ولم يسمع عن أحد من الصحابة والتابعين ومن يعول عليه من أئمة الدين أنه ذكر الله تعالى أو قال بجواز الذكر على غير الوجه المشروع الوارد كتابًا أو سنة المتلقى من أفواه الرواة والشيوخ بالكيفية المعروفة بين أهل الأداء المضبوطة فى الكتب، وقد نصوا على أن أسماء الله تعالى توقيفية وضعًا وكيفية إلا بكتاب أو سنة صحيحة، وأن الكلمة المشرفة من القرآن والزيادة فيها كالنقص حرام، وممن نص على حرمة ذلك العلامة الأمير فى رسالته: [نتائج الفكر، فى آداب الذكر] عند ضبطه للكلمة الشريفة، والولى الشهير سيدى عبد الرحمن الأخضرى بقوله فى منظومته:

ومن شروط الذكر أن لا يسقطا ... بعض حروف الاسم أو يفرطا

فى البعض من مناسبات الشريعة ... عمدًا فتلك بدعة شنيعة

فواجب تنزيه ذكر الله ... على اللبيب الذاكر الأواه

عن كل ما يفعله أهل البدع ... ويقتدى بفعل أرباب الورع

لقد رأينا فرقة أن ذكروا ... تبدعوا وربما قد كفروا

وصنعوا فى الذكر صنعًا منكرا ... صعبًا فجاهدهم جهادًا أكبرا

خلوا من اسم الله حرف الهاء ... فألحدوا فى أعظم الأسماء

لقد أتوا والله شيئًا إدا ... تخر منه الشامخات هذا

وكذا نص على هذا العارف بالله السيد محمد الغمرى فى كتابه: [الجوهر الخاص، فى أجوبة مسائل كلمة الإخلاص] ومثله فى شرح الخريدة

لأبى البركات سيدى أحمد الدردير، ومثله فى [تحفة السالكين] ليسدى محمد المنير خليفة الشمس الحنفى، ومثله فى [النفحات القدسية] ولأبى المواهب الشعرانى وغير هؤلاء بكثرة.

وجملة القول أن هذا الحكم مما تضافرت عليه أكابر الصوفية وأهل السنة والجماعة، وكما لا يجوز اللحن فى أسمائه تعالى لا يجوز قصر لفظ الجلالة وهو نقصه عن المد الطبيعى الذى لا وجود للحرف إلا به لأنه من جملة اللحن، وقد نص الفقهاء على أن الإتيان به مقصوراً إلا يعد ذكراً ولا تنعقد به يمين وتفسد به الصلاة فى تكبيرة الإحرام، وذكره الفخر الرازى وأبو السعود فى تفسيرهما، والمحقق الأمير فى [نتائج الفكر].

ثم قال بعد كلام: وأسماء الله توقيفية ولم يرد فى الكتاب أو السنة قصرها هذا الاسم الشريف، وما يتعلل به بعض القاصرين لتجويز الذكر بالاسم الشريف مقصوراً، وبغيره على أى كيفية وقع من قوله عليه الصلاة والسلام "إنما الأعمال بالنيات"، ومما ينقله مشايخهم من أن هذا الذكر بهذه الهيئة كان فى عصر فلان وفلان من آبائهم وأسلافهم الغابرين فمردود بهذه النصوص الواضحة، وبأن النية لا تقترن بالعمل على الوجه المشار إليه فى الحديث إلا إذا تمت صورة العمل وهيئته المبنية فى الشرع، وإن تشبثهم بما أقره وأسلافهم وتركهم أوامر الدين فى ذلك كتشبث اليهود والنصارى بقولهم: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وما أحسن قول الأستاذ أبى المعارف فى نصيحة الذاكرين: وماذا علينا إذا وفقنا الله والرسول، وتركنا ما عليه الأسلاف والأصول. فإن الشرع حجة عليهم كما هو حجة علينا، وليسوا حجة على الشرع، فإنه يحتج به، لا عليه، فالاحتياج بالأسلاف، لا فائدة فيه ولا إسعاف، وإنما هو ذكر لمساويهم، وإظهار لمعاصيهم ا هـ.

قال الشيخ عبد الهادى: وقد فشا فى هؤلاء المتصوفة والمنتسبين لهم هذا الداء فترى الواحد منهم لا يمر على كلمة من الأذكار النبوية إلا وقد أخل بنظامها وقطع أوصالها خصوصًا كلمة التوحيد، واللحن فيها محرم بالنصوص الشرعية، فتفطن لهذه الدسائس والمهالك التى بهؤلاء الطوائف المحدثة خصوصًا فى حالة الذكر المعروفة عندهم بالعمارة، وحق لها أن تسمى بالخسرة، فليحذر الذاكر بلا إله إلا الله من قلب الهمزة ياء من إله فيقول: لا يلاه إلا الله، وما إشباع فتحة الهاء من إله أيضًا حتى تصير ألفا فيقول: لا إلها إلا الله، ومن إشباع ضمة الهاء من الاسم العظيم حتى تصير واوا فيقول لا إله إلا اللهو - قال الله سبحانه وتعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله) وبهذا جاءت الأحاديث من غير زيادة ولا نقص، وهذا التحريف المذكور فى كلمة التوحيد كله موجود على ما صورنا فى حال سماع هؤلاء المتصوفة، ولا يستقيم لهم السير على حسب الأوضاع الشعرية إلا بوجود هذا التحريف المذكور فى الكلمة المشرفة، ومن جهلهم المركب محافظتهم على قوانين الأطباع الشعرية، ولا عليهم فى ارتكاب هذا التحريف المؤدى إلى الانسلاخ عما جاءت به الشريعة المحمدية، وكذلك تحريفهم لقولهم: محمد رسول الله حالة سماعهم من إشباع ضمة الميم الأولى من محمد حتى تصير واوا فيقولون موحد، ومن إشباع فتحة الحاء حتى تصير ألفا فيقولون محامد. قال الله تعالى: (محمد رسول الله).

وبالجملة: الذكر إذا كان ممزوجًا بالسماع لا يخلو من فساد بل لابد من إخراجه عن قوانينه الشرعية كما ترى وتسمع فى جموعات هؤلاء القوم الليلة والنهارية، وهم ع هذا التلاعب يعتقدون أنهم على شىء، وليسوا على شىء.

وبهذا يتحقق لك ما نقله العلامة الشيخ الطالب ابن الحاج الفاسى فى حاشيته على الشيخ ميارة على شرح ابن عاشر عند ذكر السماع ما نصه.

قال الشيخ زروق فى شرح الرسالة وفى القواعد: أكثر من يعتذر به من مشايخ المتأخرين على منعه لفساد الزمان. حتى قال محى الدين بن العربى الحاتمى: السماع فى هذا الزمان لا يقول به مسلم، ولا يقتدى بشيخ يعمل به انتهى كلامه.

وقال فى النصيحة: الصواب فى هذا الزمان تركه لما فيه من الفساد إذ أهله اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا. قال الحسن بن سالم لا أنكر السماع، وإنما أنكر ما أحدث فيه ا هـ.

ومن جملة ما أحدث فيه تصيير الأذكار النبوية بل والقرآنية على مقتضى الأطباع الشعرية، ولا يصدر هذا إلا من ذوى العقول الساقطة السافلة، وبهذا الاعتبار صارت جموع هؤلاء تلعبانه ونفوسهم لهم قاتلة.

قال فى "القول الوثيق، فى الرد على أدعياء الطريق" ما نصه: استماع الأذكار المحرفة لا يختلف حكم الاستماع والفعل فى هذه الأذكار المحرفة لأن للسماع حكم المسموع كما أن للنظر حكم المنظور حسبما تقرر فى كتب الفروع إلى أن قال: فيحرم استماع هذه الأذكار المحرفة، ويجب على السامع إنكارها والنهى عنها وبذل المجهود فى نصح الذاكرين بها وإرشادهم إلى تصحيحها جهد المستطاع ا هـ.

وإذا أردنا أن نأتى على جميع المناكر التى تشبث بها هؤلاء القوم وما تولد منها لعجز القلم عن الإلمام بكنهها.

مقدار المد الشرعى الجائز فى كلمة التوحيد

وعند هذا التفت عبد الباسط إلى الشيخ عبد الهادى: وسأله عن قدر المد فى كلمة التوحيد. فأجابه بأن المد فى كلمة لا وهى أداة النفى التى بعدها همزة إله لا يجوز فى الأصح نقصه عن ثلاث حركات، وتجوز الزيادة فيه إلى ست حركات وما بين هذين أمر واسع أربع حركات أو خمس حركات كل جائز، هذا هو الذى تواتر عليه نقل كلام رب العالمين أفصح كلام وأشرفه، وتسميه القراء منفصلا لانفصال الهمزة عن كلمة حرف المد، والحركة مقدار ضم الإصبع أو فتحه بسرعة مثلا، ويكفى فى ذلك التقريب والتخمين، ولا يشترط فيه التحقيق والتعيين. أما مد كلمة الجلالة فلا يجوز نقصه عن حركتين، وهو المد الطبيعى الذى لا تتحقق طبيعة الحرف بدونه، وذلك أن الألف تقدر عندهم بحركتين. ثم إذا وصلت كلمة الجلالة بشىء: كأن تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أو تكرر كلمة التوحيد مرارًا متصلة من غير وقف على كلمة الجلالة فلا تزد على حركتى المد الطبيعى، وأما إذا سكنت هاء الجلالة ووقفت عليها فتجوز لك الزيادة فى المد إلى ست حركات لأجل السكون العارض لأجل الوقف، ويجوز التوسط بين ذلك، هذا ما تواترت عليه أشرف العبادات الإسلامية.

وذكر بعض أهل العلم أنه إذا مد كلمة الجلالة فى تكبيرة الإحرام للتعظيم أو استحضار النية أو غير ذلك فلا تضره الزيادة إلى أربع عشرة حركة، وهى أقصى ما نقل عن القراء: أى ولو فى الوجوه الشاذة.

فضل لا إله إلا الله

وأحببت أن أزيدك على هذا الجواب بيان فضها اعتناء بهذه الكلمة الشريفة وتبركًا بخدمتها وتحذرًا لأهلها عما ابتدع فيها.

فاعلم أنه ﷺ قال: "أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله" وهو ﷺ أفصح الفصحاء، فلتقلها كما كان نبينا ﷺ يقولها بلسانه الفصيح، وذلك بمعرفة صفة النطق بها ومخارج حروفها، فيتحقق لك بالتوحيد كمال التسديد.

واعلم أن جميع حروف كلمة التشريف مرققة فلا يفخم منها إلا لام لفظ الجلالة فيها، وأما مخارج حروفها. فقد انحصرت حروفها فى أربعة: اللام والألف والهمزة والهاء، فمخرج اللام من طرف اللسان يوضع فى أصول الثنايا العليا، ومخرج الألف من أصل الجوف خارجة من محصن النفس، ومخرج الهمزة والهاء كلاهما من الحلق غير أن الهمزة أشد من الهاء وأيسر.

ونهى العلماء عن السكوت على لا إله لما فيه من إيهام التعطيل، بل يصله بالاستثناء والإثبات بقوله إلا الله بسرعة خلافًا لما سمعته من بعض هؤلاء الذين ينتسبون إلى الصوفية، وما هم منهم ولكنهم قوم لا يفقهون، بل ربما انقسموا فرقتين: فرقة تقول لا إله، والأخرى تقول إلا الله، ويتواجدون فى ذلك ويستفزهم الشيطان، وليحذر مما يقع لبعضهم من تفخيم النفى، وربما مال بألفها لجهة الشفتين فتصير كالواو ولجهة وسط اللسان وما فوقه فتصير كالياء، أو يبدل همزة إله ياء، أو يشبع الهمزة فتتولد منها ياء، أو يزيد فى ألف الله على الطبيعى، أو يسكت هناك سكتة، أو يشبع همزة إلا فتتولد

منها ياء، أو يثبت ألفها، فإنه لحن، بل يجب حذف الألف الأخير لالتقاء الساكنين.

وهؤلاء الجهلة يثبتونها ويمدونها ويفتنون فى مدها وبعضهم يمد هاء إله فيتولد من إشباعه ألف، بل سمعت بعضهم يثبت همزة الله ويمدها حتى تصير كالاستفهام، وكل هذا مخالف لما نطق به رسول الله ﷺ وأمر به.

إذا أحطت بهذا خبرًا ظهر لك بهذا خبرًا ظهر لك أن جموع هؤلاء المتسببين للطريق إذا كانت معمورة بالأذكار الممزوجة بأسماع على حسب الأوضاع الشعرية التى تقتضى الخلل فى الأذكار ولابد ليست على شىء. بل كلها مناكر وبدع يأباها الشرع المطاع، فاعلم هذا واعمل به تسلم بحول الله.

السبيل لمن أراد سلوك طريق الصوفية

ثم التفت الفقيه أبو عبد الله المراكشى المذكور إلى الشيخ. وقال: يا سيدى كيف السبيل لمن أراد طريق التصوف اليوم، والتوجه إلى الله تعالى بها.

فقال الشيخ: يدرك هذا بأمرين: الأول الصدق والإخلاص، فمن اتصف بهما، فقد أدرك غاية التصوف، وعلامة صدقه ملازمة ذكر الله والزهد فى الدنيا إلا الضرورات، وشاهد إخلاصه: رفض الجاه والصيت فمن وفق لهذا القدر لا يحتاج معه لشىء.

الأمر الثانى: إن الصلاة على النبى ﷺ تقوم مقام الشيخ الحى المربى، وذلك لما فيها من سر الاعتدال الجامع لكمال العبد وتكميله. ففى الصلاة

على رسول الله ﷺ ذكر الله ورسوله ﷺ، وليس كذلك عكسه، فلذلك يحصل الانحراف بالذكر دون الصلاة والسلام عليه ﷺ.

وقد قال العارفون: من أراد الوصول إلى شيخ فى هذا الوقت ولم يجد حيلة فى معرفته، وخاف من الوقوع فى حبائل الكذابين، فعليه بكثرة الصلاة والسلام على النبى ﷺ بالتأدب والحضور، واستحضار القلب أنه جالس بين يديه ﷺ وليداوم على ذلك، فإن من داوم على ذلك وكان اهتمامه بالوصول إلى الله تعالى اهتمام الظمآن بالماء أخذ الله بيده وجذبه إليه، لأن الصلاة على النبى ﷺ من أعظم الوسائل إلى الله تعالى فى الوصول إليه، وما لازمها أحد قط فى طلب الوصول إلى الله تعالى وخاب.

وقال الشعرانى فى العهود المحمدية: إن طريق الوصول إلى حضرة الله من طريق الصلاة على النبى ﷺ من أقرب الطرق.

وقال العارف العيدروس فى كتاب مرآة الشموس: يعدم المريون فى آخر الزمان. ويصير ما يوصل إلى الله تعالى إلا الصلاة على النبى ﷺ.

قلت: وهذا هو ذاك الزمان المشار إليه، ومن كانت له خبرة تامة بأهل زمانه تحقق له أن ادعاء المشيخة فى هذا الوقت محض كذب.

وقد قدمنا لك كلام الشعرانى أن ترك العارفين فتح هذا الباب فى هذا الزمان، يعنى باب ادعاء المشيخة هو الصواب، ولا يفتحه الآن إلا من أعمى الله بصيرته وبصره من هؤلاء المدعين للمراتب، والمتنازعين فيها.

بيان الطوائف المتصوفة بالمغرب على الترتيب

ثم إن الشيخ عبد الـهادى قال: لعبد الباسط: أحببت منك أن تخبرنى عن عدد الطـوائف التى بأرضكم هذه، وزمن كل طائفة منهم، ومـن السابق واللاحق، وصفة كل طائفة منهم كأنى أعاينها:

فقال عبد البـاسط: أول هذه الطوائف الطائفة القادرية، وتنسب للشيخ عبد القادر الجـيلى المتوفى بمدينة بغداد سنة إحدى وستين وخمـسمائة وكانت طريقته مـعانقة الكتاب والسنة، لكن أدخل فـيها اليوم ما ليـس منها وتغالب أتباعه فى محبته، حتى ألحقوا به مـا لا يستحقه، ونسبوا إليه من الكرامات ما كاد أن يعادل المعجزات. ثم إن هؤلاء الأتباع افتـرقوا على فرقتين. فرقة على الأسلوب المعتاد من كونهـم يجتمعون على الأذكار الممزوجـة بالسماع حسب الأطباع، وذلك بعـد فراغهم من قـراءة الأوراد بلسان واحد، وفرقـة اتخذت آلات اللهو والسمـاع، من تلك الآلات آلة يوقع بعضهم عليها بقـضبان. ثم يقوم البعـض الآخر ويرقص على حسب الأطباع ويتـواجد حتى يقع مغـشيًا عليه كـالذى يتخبطه الشيطان مـن المس، ويجتمع على هذه الفرقـة عدد من النساء فى كل عيشـة جمعة، وربما حضر بهذا المجتـمع من النساء ما كان من الجمال بمكان، ولو نظرت فى حلقة هذا الذكر على زعمهم الفاسد، كيف تهز النسـاء أعطافـهن، ويكشفن عن وجـوههن وصـدورهن بين هؤلاء الغـافلين لرأيت منكرًا عظيـمًا تقشـعر منه الجلود، ولا مـسند لهذه الفـرقة فى هذه إلا اتباع الهوى، والميل عن جادة الهدى، والتوصل لأكل أموال الناس بالباطل.

ثم الطائفة التـباغيـة: وتنسب للشيخ عبـد العزيز بن عبـد الحق الحرار المعروف بالتباغ المتوفى سنة أربع عشرة وتسعمائة، ولم يبق لهذه الطائفة اليوم أثر، إلا أن الذى يعمر زاويتها اليوم النساء خصوصًا عيشة الجمعة.

ثم الطائفة الغزوانية وتنسب للشيخ أبى محمد عبد الله بن أحمد الغزوانى المتوفى سنة خمس وثلاثين وتسعمائة، ولهذه الطائفة اصطلاحات وأعمال غريبة، وغاية القول أنهم يلعبون بتلك النسبة ويجعلونها مصيدة للمال، ومن قبيح مثالبهم قولهم: الفاتحة فى نظير ما يوهب لهم من الناس، وذلك عند جلوسهم للراحة، فكلما أعطى أحد من الناس شيئًا قالوا: الفاتحة، وهكذا حتى يمل الناس، ولا تسأل عن تلك الألفاظ الوحشية التى تصدر منهم حالة بيع ما تحصل فى أيديهم من الشمع والخبز، ودفع تلك النذور، ولكن هذا زمان أصم الفساد فيه أسماع أهله، وأعمى بصائرهم لا يفقهون عظة واعظ.

ومن هذه الطائفة قوم يعرفون بأصحاب الناقة. ,هى الناقة التى تضرب فى كل سنة على أصحاب الحرف وهم الدباغة والدلالة والكرازة، وقد جعلوا هذه الضريبة لأجلها فرضًا محتمًا حتى على الفقير والمسكين، وكل من أبى عن دفع ذلك القدر المرتب عليه من قبلها قوبل بأنواع من العذاب، وذلك لأجل النفع الحاصل لرؤساء هذه الحرف المذكورة بسببها، فإذا جاء أوانها. وهو العشرة الأولى من شهور ربيع الأول النبوى دفعوها للطائفة الغزوانية، ويعرفون بالعلامة بتشديد اللام الثانية لكون كل واحد منهم بيده علم. ثم إن هؤلاء يزينون الناقة بأحسن زينة ويدورون حولها، والنساء يطلقن أصواتهن بالزغاريت، ولا تسأل عن الازدحام الذى يقع فى هذا الموقف الهائل، والناس يصدونها من كل جهة، وكذا النساء والصبيان. ثم يخرجون بهذه الناقة على هذه الحالة المذكورة صباح الخامس عشر من ربيع الأول، ويستمرون فى المشى نحو اليوم أو اليومين لا يعرفون فرضً ولا سنة على ذلك الاختلاط الكثيف

من الرجال والنساء إلى أن يصلوا لأعلى الجبل الذى به الشيخ المولى إبراهيم بن أحمد أمغار فهناك تذبح، ولا تسأل عما يحل بالناقة فى نفسها من العذاب، وذلك بنتف وبرها من أول خروجها إلى أن تصل للجبل، وهى تقطر دمًا بسبب ما حل بها من النتف.

ولو رأيت النساء فى تفاخرهن حالة الظفر بشىء من وبرها لرأيت حمقًا فادحًا وخرقًا واضحًا، وكل هذه الأضاليل غاية إبليس اللعين، وذلك لبعد غالب أهل هذا العصر نساء ورجالا عن الدين، وماذا بعد الحق إلى الضلال.

وضف إلى هذه المناكر الشنيعة الداهية العظمى، ألا وهى اجتماع النساء بهذا الجبل الذى به الشيخ المذكور لأجل التزوح من هذا المحل، فترى الأجلاف من أهل البوادى، وممن لا إيمان لهم من أهل الحواضر يتسابقون لأجل هذه الرزية التى زينها لهم الشيطان الرجيم، فيمر الرجل منهم على النساء مع كثرتهن صغارًا وكبارًا، وهن فى أكمل زينتهن وأبهر حليهن متبرجة تبرج الجاهلية الأولى، بل أشد من ذلك من صدور عارية، وأيد مخضبة، ووجوه محسنة أ و مشوهة بالأصباغ والمساحيق، وسيقان عارية أو مستورة بتقاشير يزيدها جمالا، فيختار منهن ما أراد. ثم يأخذ بيدها فتتبعه، ويجعل لها قدرًا من المال ولو قميصًا باليًا عوضًا عن الصداق ومقصوده الأهم مها الزنى المحض، وهذا حال غالبهم، ومنهم من يعتقد أنه تزوجها بهذا المسلك الشيطانى الذى أسسه لهم الشيخ النجدى فى هذا العصر الذى هو شر العصور، وإن سموه عصر الحضارة والنور.

نعم إن أهل هذا الزمان بشر من أهل الجاهلية الأولى عبدة الأوثان والأصنام، فأهل الجاهلية بعث فيهم رسول الله ﷺ فقاوموه بكل أنواع

المقاومة، وبذلوا أنفسهم وما يملكون لصده عن دعوته، فإنه كان يقول باله واحد، وهم يعجبون من هذا، ويقولون (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب) فلذلك بذلوا لصده رقابهم وما يملكون.

أما أهل هذا العصر، فقد عاش بينهم من رفض الدين بالكلية واقتصر على خرافات وافتراضات ما أنزل الله بها من سلطان.

وبالجملة فغالب أهل هذا العصر بعيد أن يرجى صلاحهم، ولكن مثلنا معهم على حد قوله تعالى - وقالت أمة منهم لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا. قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون -.

أما اعتقادنا فى هؤلاء فهو أنهم لا يصلحون للمخاطبة لموت قلوبهم فإنها مقبورة فى غلاف غليظ من مقت الله وخذلانه ومن انغماسهم فى معاصيه وتعدى حدوده، والله يقول - وما أنت بمسمع من فى القبور. إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء.

هذا النفر لا تنفع فيهم موعظة، ولا يوفق المصلحون لهدايتهم - وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم - رجع، وغالب هؤلاء النساء أنهن لازلن تحت عصمة أزواجهن، وإنما فررن لهذا المحل المذكور لأجل أن تتوصل لشهواتها بأى وجع كان إلى غير ذلك من المساوئ التى تكدر صفو راحة قلوب أهل الإسلام.

وهذا الموسم أحد المواسم السبعة التى تقام فى هذا اليوم الثامن عشر من ربيع الأول، ولا تسأل عن المناكر الفظيعة الشنيعة التى تقع فى هذه المواسم على كثرة طرقها صباح مساء، وتجد غالب أهل هذه الأرض فى هذا اليوم كأنهم لم يبق معهم عقل، ولم يوهب نعمة التفكير والنظر.

وأشنع من هذا مـا يقع فى موسم الـشيخ الغـزوانى، ويكون فى الرابع والعشرين من شهـر ربيع الأول النبوى هذا، وهذا الموسم قل من يتخلف عنه من الرجال والنساء، وتعطل فيه الحـركات كلها، وتتنافس الأوباش فى تقريب القربات، فمنهم من نـذر له بدنة، ومنهم من نذر له بقرة أو ثورًا، ومنهم من نذر كبشًا أو معزًا، ومنهم من نذر دراهم كثـيرة خصوصًا رؤساء الوقت، فلا تجد واحـدًا منهم سالمًا من هذا، وربما سول له شـيطانه أنه ترك هذا النذر كان سببله فى الانسلاخ من تلك الرتبة المطوق بها.

فلهذا تجد غـالبهم إذا أراد سوق هدية لهذا الضـريح، أو غيره من تلك الأضرحـة يجعل بهرجـة عليه كبيـرة من تزيينه بلبس الحرير وضـرب الطبول والشـبـابات، ورفع الأعـلام على رأسـه، وغيـر ذلك من اخـتـلاط النسـاء بالرجال، ومما لا ينبغى ذكـره، وإن لم يكن هذا كفرًا فجـهل عظيم، وغباوة جسيـمة، وفى صحيح الإمـام مسلم عن على (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال "لعن الله من ذبح لغير الله".

قال بعض العلمـاء: كالذبح على أضـرحة الأولياء، وهذه الذبيـحة لا تؤكل لأنها مما أهل به لغير الله، ويتناول صاحبها اللعن.

ومما يفعله بعض الجهلة فى هذا اليوم عـرقة الحيوان عند باب الضريح، ثم بعد ذلك يذكى.

ولا شك فى منع ذلك لأنه تعذيب لغير منفعة، ولا وجه مصلحة.

فالتـفت أبو زيد إلى الشـيخ عبد الـهادى وقال له: مـا رأيك فى زيارة الأولياء. التمسح بأضـرحتهم، وأخذ التراب من قبـورهم؟ فقال قد نص ابن العربى المعافرى على أنه لا يزار قبر لينتفع به غير قبر نبينا ﷺ.

وذكر الشيخ زروق فى شرح المباحث ما نصه: وأما زيارة الولى، فذكر ابن ليون [فى اختصار الرسالة العلمية] أن ذلك ليس من طريق القوم. وقال غيره: لا يتمسح بالقبر لأنه من فعل النصارى، ولا يدهن بالماء الذى يكون عليه، ولا يرفع منه ترابًا لأنه حبس، وفى المطروح قصدا نظر.

ثم قال الشيخ: وهنا لأصحاب الرخص أقوال. لكنها ليست بشىء عند أكابر الرحال.

ثم قال عبد الباسط: ثم الطائفة الرحالية، وتنسب للشيخ رحال الكوشى المتوفى فى آخر العشرة الخامسة من القرن العاشر، ولهذه الطائفة عوائد كثيرة يأباها الشرع المطاع، ولا حاجة لنا للأعراب عنها.

ثم الطائفة العيسوية، وتنسب للشيخ ابن عبد الله محمد بن عيسى المكناسى فى آخر العشرة الرابعة من القرن العاشر، وهذه الطائفة جبناة على الأمة الإسلامية، ولا زالت مساويها تزداد فى كل سنة بسبب سكوت من بيدهم الحل والربط عن مثالبها.

ومن المناكر الشنيعة التى يخجل لها وجه الدين المحمدى، ويتبرأ منها الإسلام وسائر المسلمين اختلاط النساء بهذه الطائفة حالة اشتغالهم بضرب الطبول والشبابة وغيرهما.

ومن المناكر الفظيعة أيضًا أنك ترى الكثير منهم، بل كلهم ذكورًا وإناثًا يأكلون الجيفة، ويتطلخون بدمها المسفوح، وذلك أن بعض الأغمار رجالا ونساء يتقربون إليهم بالمعز فيفترسونها، وهى حية كافتراس الأسد لفريسته، ويسمون هذا الفعل الشيطانى بالحال، وأعانهم على هذا الافتراس الذى ليس من طاقة البشر جعلهم لأصابع أيديهم حلقًا من الحديد لها رءوس حادة

بحيث يمكن الذبح بها، فإذا كان يوم موسمهم، وهو اليوم الثالث عشر من شهر ربيع النبوى هيأ لهم أصحاب النذر تلك المعز التى هى من خاصة النذر المتعلق بهم ويقفون بها فوق الأسطحة التى يمرون عليها وهم على ما هم عليه من غضب الله وسخطه ومقته وبعده الذى أداهم إلى الانسلاخ من أوصاف البشرية والتحلى بالمسخ المعجل لهم فى الدنيا قبل الآخرة، وإذا أراد كل واحد من أصحاب تلك النذور أن يلقى إليهم تلك المعز من فوق السطح تراهم يرفعون رءوسهم نحوه وكادوا يطيرون نحو ذلك الحيوان المسكين الذى لا ذنب له حتى يستحق أن يمزق لحمه، وهو حى ويتمنى كل واحد منهم أن يكون صاحبه فلا يصل إلى الأرض الأوقد مزق شعره وجلده ولحمه وعظمه وصار أجزاء عديدة، فالرجل منهم من يظفر بذنبه أو بعه أو تلطيخ ثيابه بدمه، ولا مفهوم للرجال فى هذا، بل حتى النساء من هذه الطائفة على هذا الحال الخبيث، وهذا حالهم فى اليوم كله وكل حيوان فى شراء شىء منه بأى وجه كان خصوصًا الرأس إلى غير ذلك مما لهم من المناكر.

وسبب سكوت ولاة الوقت ومن قبلهم عن قبائحهم هذه حسن الظن بهم: إلا أن حسن الظن بهؤلاء الأوباش أضر بالإسلام إضرارا مبينًا خصوصًا فى هذه الأيام التى ظهر فيها سيطرة الأوروبيين على الإسلام حتى صاروا يأخذون ميزانية عقول أهله من هؤلاء الطوائف المبتدعة، ويقول بعضهم لبعض: انظروا لصلحائهم كيف حالهم، وهذا هو السبب الذى صيرهم إلى وراء، وقطعهم عن الوصول إلى المناصب الرفيعة التى منها الحرية والاستقلال، ولو لم تكن الأمة الإسلامية على مثل هذه الحالة لفازت بمثل ما فاز به غيرها من الأمم الشرقية، هذا قولهم. وما هذه الطوائف اليوم إلا رزايا

عظيمة فى الدين، وما هى إلا سبب انحطاطه، وحماقة هذه الطائفة كادت أن تفوق حماقة كل من فى معمور الأرض، وتليهم فى هذه العوائد الشيطانية الطائفة الحمدوشية. وسيأتى لنا الكلام عليها بحول الله وقد امتدت شوكة هاتين الطائفتين فى المغرب كله خصوصًا فى حواضره.

هذا ولو اهتم علماء الأمة الإسلامية بهذه المعضلة أيما اهتمام، وأمروا من بيده الحل والربط فى الوقت بقطع هذه الطائفة وقطع نظائرها لكان يستحسن الأمر فى الحال المستقبل، وقد خيل لنا الظن الحسن بهؤلاء الأئمة أنه سيكون ما أشرنا إليه مستوفى بحول الله وقوته.

ثم الطائفة الشرقاوية: وتنسب للشيخ أبى عبد الله محمد الشرقاوى المتوفى أوائل المحرم سنة عشر وألف، وأتباعه اليوم كادوا أن يكونوا فى حيز العدم.

ثم الطائفة الإبراهيمية: وتنسب للشيخ أبى اسحاق إبراهيم بن أحمد بن حسان المتوفى سنة اثنتين وسبعين وألف، وزايا هذين الشيخين اليوم تغمرها النساء فقط، ولا تسأل عما يصدر منهن من المناكر التى يعجز عن إحصائها القلم.

ثم الطائفة الصادقية: وتنسب للشيخ أبى العباس أحمد بن عبد الصادق السجلماسى المتوفى سنة خمس وستين وألف، وهذه الطائفة لها عوائد كثيرة، وأذكار جلها سقيمة، ومن مناكرهم أن بعضهم يقوم من وسطهم حالة الذكر فيصير ينطح الحوائط برأسه نطحًا كاد أن يمضى عليه، ويسمون ذلك التخبط وذلك الجنون القائم به بالحال. وبئس الحال.

وهذه القبائح مصادمة لطريق أهل الله الماضين، وإذا قيل لبعضهم فى

ذلك يقول: نحو أهل الحقيقة غير مقيدين برسوم الشريعة، وأن الشريعة للناقصين الذين لم يكملوا، وأما من كمل فقد خرج من التقيد إلى غير ذلك من ترهاتهم غيرهم من الطوائف المغربية والمشرقية.

ثم الطائفة الناصرية: وتنسب للشيخ أبى عبد الله محمد بن ناصر الدرعى المتوفى عام خمس وثمانين وألف، وهذه الطائفة أبعد الطوائف من البدع. غير أن فروعها ارتكبوا فيها مناكر شوهت وجهها وصيروها قنطرة لأكل أموال الناس بالباطل، ومع ذلك يدعون أنهم على شىء، وليسوا على شىء.

ثم الطائفة الحمدوشية: وتنسب للشيخ المجذوب أبى الحسن على بن حمدوش المتوفى فى العشر الرابعة من القرن الثانى عشر. وقد قدمنا أن هذه الطائفة مثل الطائفة العيسوية فى تلك المفاسد التى تظهر عليها، ومن جملتها اختلاط النساء بالرجال، والرقص على الدعدع والتشابه أى الغطا وتراهم فى هذه الحالة كأنهم سكارى. ومن عوائدهم الشيطانية أن يصبر عدد منهم يشدخ رأسه بالشواقر المهندة. ومنهم من يفعل ذلك بقضبان غليظة الرأس، ومنهم من يشدخ رأسه بعمود غليظ مطوق بمسامير من حديد، ومنهم من يرمى بكورة من حديد إلى أعلى ثم يتلقاها برأسه.

ولقد رأيت يوما فى بعض مواسمهم، وهو اليوم الثامن عشر من شهر ربيع الأول فى كل سنة أن واحداً منهم خرج من وسطهم وعليه جبة من ودع، ورمى بكورة من حديد إلى أعلى ولقبها برأسه فسقطت على أم رأسه فخرج دماغه من أنفه وسقط إلى الأرض فغطوه. وقالوا أنه غلبه الحال، والواقع أنه ليس هناك حال، وإنما ذهب التعس المجنون ضحية جهله وفريسة

فعله. فكان الأحمق قاتل نفسه، ولهم بهذه الأفعال الشنيعة شرف عظيم وفخريتهم، وجل هذه الطائفة بل كلها فساق وسفهاء وذوو عقوق لا يعرفون فرضًا ولا سنة، عليهم أثر الغضب والسخط والمسخ فى الدنيا قبل الآخرة.

وبالجملة: فقد ظهرت من هذه الطوائف أشياء لا يكاد يصدقها العقل لولا وجودها، وبهذه الأشياء التى ظهرت على أيدى هؤلاء المدعين للإسلام - وهو فى الحقيقة برىء منهم - استطاع أعداء الدين أو يقولوا فيه ما يقولون. وهذه إحدى المفاسد التى عم ضررها، وشاع شررها: ولا تجد نظائرها فى جميع الأمم الشرقية ولا تكاد تقبل: ولكنه دار الدهر دورته وانعكست الأمور فأصبح الحال كما ترى، وصير كل شىء إلى وراء.

ثم الطائفة القاسمية: وتنسب للشيخ أبى الحسن على بن أبى القاسم المعروف بأبى سجدة المتوفى أوائل العشرة الخامسة من القرن العاشر، وهذه الطائفة اليوم جلها نساء، ولها يوم مخصوص فى كل أسبوع وهو يوم الجمعة فيتطوفن ومن معهن من الرجال على صلحاء هذه الحضرة وهن فى جمع عظيم يزيد على المائتين عاريات الوجوه مع وجود مومسات فيهن.

ومن عاداتهن أن يقفن مهما وجدن ضريحًا من أضرحة الأولياء ويسدون الطرق على المارين بها إلى أن يفرغ شيخهم ورئيسهم من تلك الأدعية وأسماء الرجال التى أنتجت له تلك الأرزاق المتنوعة من خبز وشعير وقمح وحناء وتمر وشمع وسكر وفروخ حمام وفلوس وكتان وغير ذلك من قبائحها التى لا ينبغى تلطيخ القلم بها، لأن أهلها صم بكم عمى فهم لا يبصرون، قد أعملوا يد المضرة بالإسلام حتى سخر الكفار بعقول أهل مراكش.

ثم الطائفة الغازية، وتنسب للشيخ الغازى بن العربى السجلماسى،

المتوفى فى العشـرة الرابعة من القرن الثالث عشر، وهذه الطائفـة مثل الطائفة القـادرية التى ديدنها ارتكاب سـمـاع آلات اللهو والرقص واخـتلاط النسـاء بالرجال وتحريف الأذكار.

ثم الطائفـة البونية، وتنسب للـشيخ أبى الحسن على الـبونى الدرعى، وهذه الطائفة لها عوائد قـبيحة ومنكرات صريحة، منها أنهم يحـرفون أسماء الله خصوصًا عند اسـتفتاحاتهم واختتـاماتهم. فيقول فى الاستفـتاح: الحامد اللاهى رابى العـالامينا الراحـمانـى الراحيـمى، وهكذا، ولا مفـهوم لهـذه الطائفة، بل جل الطوائف اليـوم على هذا النمط بسبب فقـد العلماء من هذه الطرق المبتدعة، فلا تجد فى غالب هذه الطرق الأمن هو أصم أبكم أعمى، لا يفرق بين الأرض والسماء.

ولا يخـفى أن وجود التـحـريف فى الأذكار يمـنع من ورود النفحـات الإلهـية، ومن هذه الطائفـة من يصيـر يزعق ويبكى ويضـرب برأسه الحـائط ويدور على الحاضرين من طائفتـه واضعًا يده على رأس كل واحد منهم وهو يتكلم بألفاظ رواها عن شيطانه الذى حل بجـسده فى تلك الحالة، ومنهم من يغلب عليه هذا الجنون حـتى يطلع لأعلى رءوس النخل ويصير يتقـلب عليها يمينًا وشمالا، ومن عوائدهم المزورة أنه ما وصلت يد أجنبى منهم رأس واحد منهم إلا وقامت قـيامته وأخذ فـى الصياح وانعكست حقـيقته وصار يـتخبط كالمجنون إلى غير ذلك مما هم عليه.

ثم الطائفـة الطالبيـة: وتنسب للشيخ أبى العبـاس أحمـد بن الطالب السجلماسى المتـوفى فى العشرة الثالثة من القرن الثالـث عشر، وهذه الطائفة مثل الطائفة العيسوية والحمدوشية فى اختلاط الرجال والنساء واستعمال آلات

اللهو، غـير أن هذه الطائفة اختـصت بشيء آخر، وهو لعبهم بالنار وجـعلها تحت ثيابهم حـالة اشتـغالهم بتلك الملاهى الشيطـانية وإذا قوى ذلك التـخبط والجنون فى ذات أحدهم تراه يتكلم بكلام يوهم به السامع أنه يكاشف بأشياء غابت عنه: كـمثل الطائفـة الشيطانيـة المعروفة بأكناوا، والـناس ذكوراً وإناثًا يقصدون زاويتهم لأجل هذه الخـرافات، ومنهم من يقصدها لأجل أن يصطاد بها بـعل أو مومسـة من المومسـات إلى غيـر ذلك من التدنيـسات والمفـاسد والضلالات، وأمـثال هؤلاء لا يخاطبون (أن هم إلا كـالأنعام، بل هم أضل سبيلا).

وبالجملة فقـد تأخر الأمر ودان جل الطوائف التى أصـيب بها الإسلام بهمجيات خارجية عن الدين وانتصروا لأنفسهم وشياطينهم وحاربوا لأهوائهم أهل التقوى، ورأوا التمسك بالفساد أقوى.

ثم الطائفة الوزانية: وتنسب لأبى محمد بن عبد الله بن إبراهيم الحسنى الإدريسى المتوفى تسع وثمانين وألف، وكانت طريقته معاتقة الكتاب والسنة، لكن أدخل فيـها اليـوم ما ليس منهـا من المحدثات. من ذلك: حلقـة الذكر المعروفـة عندهم بالعمـارة. وقد نص العلمـاء على أنها من البـدع المحدثات المخالفة للسنة، وسيأتى لنا الكلام عليها مستوفى بحول الله.

ثم الطائفة التهامية: وتنسب للـشيخ مولاى التهامى الوزانى المتوفى سنة سبع وعشريـن ومائة وألف، وهذه الطريقة كانت سابقًا طريقـة مثلى إلا أنها صـارت منذ أزمان بارتـكاب المدعين الانتـسـاب إليهـا آلات اللهـو والطرب واختلاط النساء بهم ملعبة للشيطان.

والمرجو ممن بيـده الحل والربط اليوم أن يعين من يسعى فى إخـماد نار

بدع هؤلاء الطوائف التى قضت على الإسلام اليوم وفتحت للمفاسد الشيطانية أبوابًا.

ثم الطائفة التجانية: وتنسب للشيخ أبى العباس أحمد التجانى المتوفى سنة ثلاثين ومائتين وألف، وهذه الطائفة لها عادات صيرها كالعبادات، وقد تعالت فى شيخها هذا حتى ألحقته بما لا يستحقه.

فالمقصد منهم يزعم أنه مساو للنبى ﷺ إلا أنه لا يأتيه الوحى، ومن تغاليهم فى محبته ما تقوهوا به فى حقه ونقلوه عنه فى كتبهم المؤلفة فى سيرته وهو كما فى جيشهم وغيره. أنه قال: إن صلاة الفاتح لما أغلق تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن، فأى استخفاف وتحقير لكلام الله تعالى مثل هذا، أما كفاه نسبتها إلى الله تعالى وجعلها من القرآن حتى يجاوز إلى هذه البشاعة ولو صح ما قاله فأى فضل للقرآن معا؟ وأى فائدة فيه مع وجودها، فكيف يشتغل عاقل به ويختمه فى لياى عديدة، وهو يجد هذه الكلمات التى يمكنه قولها فى طرفة عين، ويحصل له من الأجر ما يعدل ستة آلاف مما لم يحصله إلا فى ليال عديدة: فاشتغال العاقل به حينئذٍ عبث لوجود ما هو أيسر وأفضل بشىء لا ينتهى.

فعلى كلامه لم يبقى للقرآن فضل مع صلاة الفاتح ألبته، أعاذنا الله من الخذلان والطغيان، والعلو فى الدين بما لم يرد به دليل ولا برهان، وإذا اعتبرنا تلك الزيادات التى زادها النظيفى المراكشى فى كتابه. [الطيب الفائح، على صلاة الفاتح]: فماذا يبلغ التعادل، وقد علمت سابقًا أن صلاة الفاتح على كلام شيخهم التجانى تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن: فإذا زدت عليها هذه الزيادات التى زادها الشيخ الظيفى وحض عليها جمعيته التجانيين

ورغبتهم فى قراءتها آناء الليل وأطراف النهار: فماذا يزيد على العدد السابق، ولعله تنتهى مراتب العدد من حيث هو، ولا يبلغ القدر الذى تزيد به صلاة الفاتح بسبب تلك الزيادات النظيفية.

وهاك صيغتين جامعتين من صيغ صلواته العجيبة الغريبة التى يختم بها صلاة الفاتح لما أغلق، ولعلك لو بحثت عن نظير هاتين الصيغتين فى المشرق والمغرب، بل فى المعمورة كلها ما وجدته، ونصه:

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادى إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، صلاة تطيب لنا بها المساكن، والملابس، والمآكل، والمشارب، والأخباز.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق، والهادى إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، صلاة تجعلها فى قلوبنا أحلى من الحلوى، وألذ من السلوى، وأشهى من كل شهوى، إلى غير ذلك من هذا النمط الغريب.

وقد ظهر سر هذه الزيادات فى الطائفة التجانية كظهور نار على علم، أو كالشمس فى وسط النهار حصوصًا بعض رؤساء الوقت وولاته.

وفى رواية أخرى عنه أن صلاة الفاتح خصنا الله بها كما خصنا بالنبى ﷺ، وأنها تسمو على كل العبادات، وأن المواظب عليها ينال الخير الرابح.

ومن زعمهم أن وردهم يغنى عن سائر الأوراد فى الدين والدنيا، وفى المعاد، ومن أشنع البدع التى ينسبها التجانيون إلى شيخهم من أن الشخص لو

دام على سائر الأذكار طول الدهر، وذكر صلاة الفاتح مرة واحدة كانت تلك المرة أعظم أجرًا من جميع الأذكار، ومن زعمهم أن صلاة الفاتح فيها أمان جميع الناس من عذاب لله لكل مصل بها، فعل غيرها من الطاعات أو لم يفعل، ومن زعمهم أن صلاتهم هذه حماية من الأغيار، ومن زعمهم أن صلاة الفاتح ترقى صاحبها حتى يصير موازنًا بها ورد فاطمة الزهراء، ومن زعمهم الشنيع المتعارف بينهم شر ثوب وسطهم حال التصلية. أسمعت أو علمت، أو روى لك شيخ من أصحاب الحديث أم جاء فى كتاب الله أو استنبط من فعل رسول الله ﷺ أن قارئ القرآن ينشر أمامه ثوبًا ليقرأ عليه فضلا عن قارئ الفاتح، ألها مزية عنه وفضل استوجب به هذا؟ ومن زعمهم أن نشر الثوب حالة قراءة الفاتح لما أغلق يأتى بالفتح المبين فى أسرع من لمح البصر، وانظر كتبهم تجد ما هو أقبح وأفظع: كقولهم فى شيخهم أن روحه خلقت مع روح النبى ﷺ فكان رسول الله خاتم النبيين، وكان الشيخ خاتم الأولياء. وهذه الجملة وحدها كافية فى القبح إذا لم تبقى مزية للنبى ﷺ على زعمهم الفاسد، ومن زعمهم أيضًا أن الشيخ التجانى ممد لمن مضى قبله، ومن يأتى بعده، ولا يخفى أن "من" من صيغ العموم كما هو معلوم، فيدخل النبى ﷺ وأصحابه وأهل القرون المشهود لهم بالخير.

فانظر رحمك الله هذا الحمق الفادح كيف يمد رجل فى القرن الثالث عشر أهل القرن الأول؟

فقال الشيخ عبد الهادى "لعبد الباسط: هل تعلم بداية أمره؟ قال نعم: ذكر المؤرخ العلامة الزيانى فى تاريخه المسمى [بالترجمان المعرب. عن دول المشرق والمغرب] ما نصه حرفًا بحرف:

وفى عام إحدى عشرة ومائتين وألف قدم الفقيه أحمد التجانى الذى نفاه الباى أحمد بن عثمان صاحب ولاية وهران من تلمسان لما بلغه من سوء عقيدته، واشتغاله بتدليس السكة، وإخراجه من إيالته، وقصد قربه ابن صمغون عش الخوارج من البربر ومحل أهل البدعة، وأخذوا عنه وأمر أمره فيهم، وشاع خبره فى تلك النواحى، واستمر على غواية الجهلة من العوام فاعتقدوه، وأقام بين ظهرهم مدة، ولما مات الباى أحمد وتولى الإمارة ولده عثمان، وبلغه ما هو عليه من البدعة، وجه لأهل قربة ابن صمغون فيه، وأقسم لهم إن بقى عندهم ليطأن بلادهم ويخربها عليهم، ولما سمع بذلك أحمد التجانى فر مع بعض تلامذته وأولاده إلى طريق الصحراء، وقدم لمدينة فاس، ولما بلغها وجه رسوله بكتابه لأمير المؤمنين مولانا سليمان يطلب منه القبول، وأنه هاجر إليه من جور التبرك وظلمهم وأنه استجار بأهل البيت منهم، فما وسعه إلا القبول، وأذن له فى القدوم عليه والدخول بمجلسه، ولما اجتمع به ورأى تقشفه ومهارته فى العلوم ظن به خيرًا، وأعطاه دارًا معتبرة من دوره كان أنفق فى عمارتها نحوًا من عشرين ألف مثقال، ورتب له ما يكفيه، واشتغل بما كان من إغواء الخلق، واجتمع عليه جهله الناس وطلاب الدنيا من التجار، ولقنهم أورادًا، وكان من يأتى إليه للأخذ عنه ينهاه عن ورد غيره، وصار ينهاهم عن زيارة الصالحين وعن قراءة دلائل الخيرات، وقال لأصحابه أنتم أفضل من الصحابة، وهذا الذى لقنتكم أخذته عن رسول الله ﷺ مشافهة من غير واسطة، وأمرنى أن أعين لكم تصلية إن قرأتموها فى حلقة يجلس رسول الله ﷺ فى وسطكم، ومن يسلك طريقتى دخل الجنة، ومن خالف طريقتى دخل النار، وطريقتى تدخل على كل طريقة، ولا تدخل عليها طريقة غيرى، ومن تمسك بطريقتى، فهو آمن فى الدنيا والآخرة،

وعلمهم سننًا بدعية ونوافل خارجية: إلى أن قال: ولما شاع عنه من هذه الأباطيل والأناجيل المؤذنة بزندقته، وانكشف حاله، وبلغ أمير المؤمنين مقالاته وكذباته لم يسمعه إلا الأعراض عنه، ووكل أمره إلى الله تعالى.

وقد ذكرنا جميع مقالاته التى بلغتنا فى رحلتنا المسماة "بالترجمانة" بأبسط من هذا. قال: وأشرت فيها أيضًا للمبتدع الذى خلفه بعد موته إلى أن قال وقد بلغنى أنه ألف كتابًا مشتملا على عقيدته، وتكلم فيه على صفات الذات العلية، ووجهه مع بعض تلامذته لمصر، فاتصل بيد الفقيه العلامة أبى الحسن على بن أحمد الميلى: فكنت عليه تأليفًا حسنًا حله عروة عروة وذندقه وكفره وفضحه بنصوص قرآنية، وأحاديث نبوية، وقوانين عقلية، وحجج سنية، ولم يترك له فيه مسألة يعتمد عليها إلا مجرد زندقته واعتزاله وكفره. نسأل الله السلامة والعافية.

وسمى هذا التأليف الذى رد به على التجانى [الصوارم والأسنة. فى نحر من تعنف على أهل السنة] إلى أن قال: ولا زالت هذه الطائفة التجانية معتكفة على ضلالها مستغرقة الأوقات فى وبالها. مكبين على ما خدعهم به ذلك الشيطان الرجيم الشقى الزنيم، إلى أن يكبهم ملك الموت فى الجحيم ا هـ حرفًا بحرف.

وانظر "مشتهى الخارف الجانى. فى رد زلقات التجانى الجانى" لعلامة زمانه الشيخ محمد الخضر الشنقيطى، "وانظر كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع" للعلامة المولى عبد الحفيظ العلوى: إلى غير ذلك من الكتب التى زيفت مفتريات أهل هذه الطريقة:

ثم اعلم أن هذه الطريقة اليوم افترقت فرقتين: فرقة تنزهت عن السماع

المعروف، وما يتعلق به. وفرقة لا زالت على ما هى عليه من الرقص على توقيع الألحان حسب الأوضاع الشعرية، وكل منهما يكفر الآخر ويزندقه كقضية اليهود مع النصارى.

فعند هذا التفت الشيخ عبد الهادى إلى عبد الباسط وقال: لقد زل بسبب الاعتماد على الرجال أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين - واتبعوا أهواءهم بغير علم فضلوا عن سواء السبيل - فمن ذلك رأى متأخرة هذا الزمان، فتراهم إذا أرادوا الدخول فى أى طريق من طرق هؤلاء المتصوفة يعمدون إلى ما نقل عنهم فى الكتب من الأحوال الجارية عليهم، أو الموزرة عنهم، أو الأقوال الصادرة منهم، فيتخذونها دينا وشريعة، وإن كانت مخالفة للنصوص الشرعية من الكتب، أو السنة، أو مخالفة لما جاء عن السلف الصالح لا يلتفتون معها إلى فتيامفت ولانظر عالم، بل يقولون أن صاحب هذا الكلام ثبت ولايته، فكل ما يفعله أو يقوله حق، وإن كان مخالفًا، فهو أيضًا ممن يقتدى به، فتراهم يحسنون الظن بتلك الأقوال والأفعال، ولا يحسنون الظن بشريعة مولانا محمد ﷺ، وهذا غاية الجهل والقبح.

ثم قال الشيخ عبد الهادى: هل بقى شىء عندكم من الطوائف غير ما ذكرت؟ قال نعم، قال أتمم، قال:

ثم الطائفة المختار له، وتنسب للشيخ أبى عبد الله المختار الكنتى المتوفى فى العشرة الخامسة بعد المائتين والألف، وهذه الطائفة أبعد الطوائف فى الجملة من البدع إلا أن منهم من تعالى فى محبته، ونسب له ما ليس من طريقته.

ثم الطائفة الدرقـوية، وتنسب للشيخ مولاى العربى بن أحـمد الدقوى المتوفى عـام تسع وثلاثين ومـائتين وألف، وطريقـته هذه تفرقت مـنها طرق عديدة، ولنذكر ما عندنا منها بهذه الحـضرة المراكشية، وهى الطريقة البدوية، وتنسب للشيخ أبى العباس أحمد البدرى المتـوفى عام خمس وسبعين ومائتين والألف.

ثم الطائفة العمرية: وتنسب للشيخ أبى حفص مولاى عمر بن البخارى المتوفى عام سبعين ومائتين وألف.

ثم الطائفة المهـدوية: وتنسب للشيخ مولاى المهـدى بن محمـد المتوفى سنة ثمانية بعد الثلاثمائة وألف.

ثم الطائفـة الفـركلية: وتنسب لـلشيخ أبى عـبـد الله بن على الدرعى الفركلى المتوفى عام ست وعشرين وثلاثمائة وألف.

ثم الطائفة السوسـية: وتنسب للشيخ أبى الحسن الحـاج على بن أحمد السوسى المتوفى عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف.

ثم الطائفة الفتحية: وتنسب للشيخ فتح الله البنانى، ولا زال بقيد الحياة وقته.

وهذه الطوائف كلهـا لو أردنا أن نأتى على جمـيع البدع والمفـاسد التى تشـبث بها عـدد منهم، وما تولد مـنها لاحـتاجت المجلدات. وبكثـرة هذه الطوائف وتباينها، انحط العرب فى أيامنا هذه وفيمـا قبلها بكثير، وسجل له على صفحات أيامه خرق وحمق ما بعده من خرق وحمق.

وقد عانى علمـاء الدين الدافعون لهذه الداهيـة الدهماء مشاق جسـيمة

عرفـها من عـرفهـا، وأنكرها من لم يقف عليهـا، ولكن تغلبـات الأحوال. اقتضت فساد الأعمال.

وإذا أمعنت النـظر فى تعدد طرق القوم، واخـتلاف أحوالـهم، وتباين بعضهم بعضًا، علمت أن سبب هذا الاختلاف، وكثرة المناكر، وتطرق البدع، إنما هو من جهة قـوم تأخرت أزمنتهم عن عهد ذلـك السلف الصالح وادعوا الدخول فيها من غير سلوك شرعى، ولا فـهم لمقاصد أهلها وتقولوا عليهم ما لم يقولوا به، حتى صـارت كل طريقة فى هذه الأزمنة الأخيرة كأنهـا شريعة أخرى غير ما أتى به، مولانا محمد ﷺ.

وأعظم من ذلك أن كل طريقـة من هذه الطرق نتساهل فـى اتباع السنة وترى اختراع العبادات طريقًا للتعبد صحيحًا.

من ذلك عمل هذه الطائفة الدرقوية حلقـة الذكر، وهى المسماة عندهم بالعـمارة، وهى عـبارة عن ذكـر اسم الجلالة باللسـان والصدر على حـسب المراتب الشـعـرية، وتشـبيك الأيدى، حـتى تكون كـسلسلة، ثم يـرسمـون لأنفسهم من يقوم وسطها، يسرون قوة وضعفًـا، ويرقصون ويتمايلون جميعًا يمينًا وشمالا، ومنهم من يحرف أسمـاء الله تعالى، فلا يسمع من لسانه فى هذه العمارة التى حـق لها أن تسمى بالخسارة، إلا اللهـو اللهو هكذا، أو هو هو، أو هبـلا هبـلا، أو حـوا حوا، أو أخ أخ أخ، أسـمـاء تجـدها إلا عند الشياطين، ومنهم من يزعق، ومنهم من يصـير يبكى إذا قوى شيطانه، ومنهم من يقفز قفزًا شديدًا كأنه يريد الطيران.

فبالله ويا للمسلمين ماذا يجنى المبتدع على نفسه مما لا يكون فى حسابه وما هذه والله طريقة الرسول ﷺ ولا طريقة السلف الصالح.

فيا ليت شعرى كيف قدم هؤلاء على مثل هذا العمل الذى يظنون أنهم به يتقربون إلى الله، ويدعون أنهم على جادة العرفان، ولهم القدم الكبير فى متابعة سيد ولد عدنان.

نعم: ولكنهم على قدم الشيطان.

قال الإمام الشاطبى: فى كتابه الاعتصام ما نصه: وقع سؤال عن قوم يتسمون بالفقراء يزعمون أنهم سلكوا طريق الصوفية، فيجتمعون فى بعض الليالى، ويأخذون فى الذكر الجهورى على صوت واحد. ثم فى الغناء والرقص إلى آخر الليل، ويحضر معهم بعض المتسمين بالفقهاء يترسمون برسم الشيوخ الهداة إلى سلوك ذلك الطريق هل هذا العمل صحيح فى الشرع أم لا؟

فوقع الجواب: بأن ذلك كله من البدع المحدثات المخالفة طريقة رسول الله ﷺ وطريقة أصحابه والتابعين لهم بإحسان ا هـ كلامه.

والحاصل من هؤلاء أنهم حسنوا الظن بأنهم فيما هم عليه مصيبون، وأساءوا الظن بالسلف الصالح، أهل العمل الراجح الصريح، وأهل الدين الصحيح، وهل سمعت أو رأيت من كلام النبى ﷺ أو عمله المنقول فى الصحاح أو عمل السلف الصالح أو أحد من الأئمة الأربعة فعل مثل فعلهم هذا، وكلا والله لا تسمعه.

فكل من تعبد بشىء لم يكن عليه ﷺ ولا عليه السلف الصالح ليس بشىء، وإنما هو غاية فى الجهالة وتلف فى تيه الضلالة.

وقد قال إمامنا مالك (رضى الله عنه): من أحدث فى هذه الأمة شيئًا لم يكن عليها سلفها، فقد زعم أن النبى ﷺ خان الرسالة.

فالواجب علينا أن نقف مع الاقتداء بمن يمتنع عليه الخطأ، وهو الرسول ﷺ أو السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وكان الصوفية فى القديم هم المشهورون باتباع السنة، المقتدون بأفعال السلف الصالح، المثابرون فى أقوالهم وأفعالهم على الاقتداء التام والفرار عما يخالف ذلك.

ولذلك جعلوا طريقتهم مبنية على أكل الحلال واتباع السنة والإخلاص وهذا هو الحق، لكن لما دار الدهر دورته وانعكست الأمور أصبح حال القوم كما ترى، ولو أن هذه الطوائف أذعنت لأن تتربى بتربية الكتاب والسنة وتتأدب بآدابهما لأراحت غيرها من هذه التزيفات والتقولات، واستراحت هى مما فيه إثم وفساد، ومما تعانيه من شرور وموبقات.

قال الإمام الشاطبى رحمه الله فى الاعتصام: السماع فى طريقة التصوف ليس منها لا بالباطل ولا بالتبع، ولا استعمله أحد من السلف من يشار إليه حاذيًا فى طريق الخير انتهى لفظه.

وفيه قال الجنيد: إذا رأيت المريد السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة اهـ.

وقد زاد شيخ الطائفة الفتحية فى الطين بله، وفى الطنبور نغمة: فلو رأيت حاله وتلامذته فى هذه العمارة التى قدمنا أن الأولى بها أن تسمى خسارة، ما هم فيه من ضرب الأقدام على الأرض على وزن إيقاع الكف حالة استعمال آلات اللهو كلها من صنج ذى أوتار وعود ورباب وجنك وكمنجة ومزمار وشبابة وموافقة رقصهم للنغمات خصوصًا الموالات ولو كانت من وضىء الوجه لرأيت حمقًا واضحًا وانحطاطًا فى النسبة وشناعة بينة، وهذا شىء لا يصدر من عاقل فضلا عن فقيه صوفى عامل.

وكان بعض الناس يظن به أن له إلماما بطريق القوم فإذا هو بعيد عنها، وأعظم من هذا أنك لا تجد مجلسًا من مجالسه سالمًا من مناكر وبدع، بل كل مجالسه مناكر إلا أنه بعض الأوقات يجمع بين خبز وقتل عثمان ومغفرة، من باب غسل الدم بالعذرة، وتغطية لطخ النجاسة بثوب حرير شفاف، ولو أردنا أن نذكر ما شهدناه من المناكر والبدع لطال بنا المقام، ولكن فى الإشارة ما يكفى عن العبارة.

مجالس الذكر عند السلف الصالح

قال الشاطبى فى الاعتصام: كانوا يجتمعون لتدارس القرآن فيما بينهم حتى يتعلم بعضهم من بعض. ويأخذ بعضهم من بعض فهو مجلس من مجالس الذكر الذى جاء فى مثلها حديث أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ "ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفت بهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"، وهو الذى فهمه الصحابة (رضى الله تعالى عنهم) من الاجتماع على تلاوة كلام الله. قال: وكذلك الاجتماع على الذكر فإنه اجتماع على ذكر الله.

وفى رواية أخرى أية قال "لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة" الحديث المذكور. لا الاجتماع للذكر على صوت واحد، وإذا اجتمع القوم على التذكر لنعم الله أو التذاكر فى العلم إن كانوا علماء أو كان فيهم فجلس إليه متعلمون، أو اجتمعوا يذكر بعضهم بعضًا بالعمل بطاعة الله، والبعد عن معصيته وما أشبه ذلك مما كان يعمل به رسول الله ﷺ فى أصحابه وعمل به الصحابة والتابعون.

فهذه المجالس كلها مجالس الذكر. وهى التى جاء فيها من الأجر ما جاء كما يحكى عن ابن ليلى أنه سئل عن القصص. فقال أدركت أصحاب محمد ﷺ يجلسون، ويحدث هذا بما سمع، وهذا بما سمع: فأما أن يجلسوا خطيبًا فلا. وكان كالذى نراه معمولا به فى المساجد من اجتماع الطلبة على معلم يقرئهم القرآن، أو علمًا من علوم الشريعة، أو تجتمع إليه العامة فيعلمهم أمر دينهم، ويذكرهم بأسه، ويبين لهم سنة نبيهم ليعلموا بها، ويبين لهم المحدثات التى هى ضلالة ليحذوا منها، ويتجنبوا مواطنها، والعمل بها.

فهذه مجالس الذكر على الحقيقة. وهى التى حرمها الله أهل البدع من هؤلاء الفقراء الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف، وقل ما تجد منهم من يحسن قراءة الفاتحة فى الصلاة إلا على اللحن فضلا عن غيرها، ولا يعرف كيف يتعبد ولا كيف يستنجى أو يتوضأ أو يغتسل من الجنابة، وكيف يعلمون ذلك، وهم قد حرموا مجالس الذكر التى تغشاها الرحمة وتنزل فيها السكينة، وتحف الملائكة، فبانطماس هذا النور عنهم ضلوا فاقتدروا بجهال أمثالهم، وأخذوا يقرأون الأحاديث النبوية والآيات القرآنية فينزلونها على آرائهم، لا على ما قال أهل العلم فيها، فخرجوا عن الصراط المستقيم إلى أن يجتمعوا ويقرأ أحدهم شيئًا من القرآن يكون حسن الصوت طيب النغمة جيد التلحين تشبه قراءته المذموم. ثم يقولون تعالوا نذكر الله فيرفعون أصواتهم، ويذكرون ذلك الذكر مداولة، طائفة فى جهة، وطائفة فى جهة أخرى على صوت واحد يشبه الغناء، ويزعمون أن هذا من مجالس الذكر المندوب إليها وكذبوا، فإنه لو كان حقًا لكان السلف الصالح أولى بإدراكه وفهمه والعمل به، وإلا فأين فى الكتاب أو فى السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد

جهـرًا عاليًـا، وقد قـال تعالى: (ادعـوا ربكم تضرعـا وخفيـة إنه لا يحب المعتدين)، وفى التـفسير المعتدون: هم الرافعـون أصواتهم بالدعاء، وعن أبى موسى قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فـجعل الناس يجهرون بالتكبير. فقـال النبى ﷺ: "اربعوا على أنفـسكم أنكم لا تدعون أصم لا غـائبًا إنكم تدعون سمـيعًا قريبًـا وهو معكم"، وهذا الحديث من تمام تفسـير الآية. ولم يكونوا (رضى الله عنهم) يكبـرون على صوت واحد، ولكنـه نهاهم عن رفع الصوت ليكونوا ممثلين للآية، وقد جاء عن السلف أيـضًا النهى عن الاجتماع على الذكر والدعـاء بالهيـئة التى يجتـمع عليها هؤلاء المـبتدعـون انتهى منه بالحروف.

والشاطبـى هذا كان فى القرن الثـامن. وقال فى مـوضع آخر: وفـقراء الوقت قد تخيروا بآيات، وتميزوا بأصـوات، هى إلى الاعتداء أقرب منها إلى الاقتداء، وطريقتهم إلى اتخاذها مأكلة وصناعة، أقرب منها إلى اعتدادها قربة وطاعة. وقـال فى موضع آخر: وأمـا إنشاد الشعـر فجائز للإنسـان أن ينشد الشعر الذى لا رفث فـيه، ولا يذكر معصـية، وأن يسمعه من غـيره إذا أنشد على الحـد الذى كان ينشـد بين يدى رسـول الله ﷺ أو عـمل به الصحـابة والتابعون ومن يقتدى به من العلماء ا هـ.

وها أنت ترى تصـميم هؤلاء على اتباع العـوائد وإن فسـدت أو كانت مخالفة للحق.

ذكر وجه مما كان عليه الصوفية فى القديم

ولنذكر لك وجهًا مما كان عليه الصوفية فى القديم.

قال الشاطبى فى الاعـتصام: يحكى عن محمـد بن حنيف قال دخلت

يومًا على القاضى على بن أحـمد فقال لى: يا أبا عبـد الله، قلت لبيك أيها القاضى قال ههنا أحكى لكم حكاية تحتاج أن تكتـبها بماء الذهب. فقلت أيها القاضى أما الذهب فلا أجده ولكنى أكتبها بالحبر الجيد. فقال: بلغنى أنه قال لأبى عبد الله أحمد بن حنبل: أن الحارث المحـاسبى يتكلم فى علوم الصوفية ويحتج عليـه بالآى. فقال أحمـد أحب أن أسمع كلامـه من حيث لا يعلم. فقال رجل أنا أجـمعك معه، فـاتخذوا دعوة ودعا الحارث وأصـحابه، ودعا أحمـد، فجلس بحيث يرى الحـارث، فحضـرت الصلاة فتـقدم وصلى بهم المغرب وأحضر الطعام فجل يأكل ويتحـدث معهم. فقال أحمد هذا من السنة فلما فرغـوا من الطعام وغسلوا أيديهم جلس الحارث وجلس أصحـابه. فقال من أراد منكم أن يسأل شيئًا فليسأل، فسئل عن الإخلاص وعن الرياء ومسائل كثيـرة فاستشهد بالآى والحـديث، وأحمد يسمع لا ينكر شيـئًا من ذلك فلما مضى هدى من الليل أمر الحـارث قارئًا يقرأ شيئًا من القـرآن على الحدو فقرأ فبكـى بعضهـم وانتحب آخـرون، ثم سكت القارئ فـدعا الحـارث بدعوات خفاف، ثم قاموا إلى الصلاة، فلما أصبـحوا قال أحمد قد كان بلغنى أن هنا مجالس للذكر يجـتمعون عليها فإن كان هـذا من تلك المجالس فلا أنكر منها شيئًا.

قال الشاطبى بعد هذا: ففى هذه الحكاية أن أحوال الصوفية توزن بميزان الشرع، وأن مـجالس الذكر ليست كـما زعم هؤلاء: بل ما تقـدم لنا ذكره، وأما ما سوى ذلك مما اعتادوه فهو مما ينكر.

والحارث المحاسبى من كبار الصوفية المقتدى بهم ا هـ.

ثم قال بعد كلام على الزوايا والربـط ما نصه: أن اتخاذ الزوايا والربط

لا يصح إلى أن قال: ويكفى المسكين المغتر بعمل الشيوخ المتأخرين أن صدور هذه الطائفة المتصفين بالصوفية لم يتخذوا رباطًا ولا زوايا، ولا بنوا بناء يضاهون به أهل الصفة للاجتماع على التعبد والانقطاع عن أسباب الدنيا كالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، والجنيد. وإبراهيم الخواص، والحارث المحاسبى، والشبلى وغيرهم ممن سابق فى هذا الميزان، وإنما محصول هؤلاء أنهم خالفوا رسول الله ﷺ وخالفوا السلف الصالح، وخالفوا شيوخ الطريقة التى انتسبوا إليها، ولا توفيق إلا بالله انتهى بلفظه.

ثم قال عبد الباسط: ثم الطائفة الكتانية: وتنسب للشيخ سيدى محمد ابن عبد الكبير الكتانى المتوفى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وألف.

وهذا الشيخ له دعوى عريضة فى مقام الولاية. منها أنه ختم الأولياء وأنه قطب الأقطاب، وغوث الأغواث، وأنه أخذ مشافهة عن رسول الله ﷺ من غير واسطة، وأنه يجتمع به ﷺ يقظة، ويتلقى منه مباشرة، وأن أصحابه هم المراد بالحديث "طوبى للغرباء من أمتى". وإن صلاته الأنموذجية تعدل "بدلائل الخيرات" للإمام الجزولى بثمانين ألف مرة، هذا مع ما فى دلائل الخيرات من الصيغ المروية عنه ﷺ، وعن الصحابة والتابعين وتابع التابعين، ولو لم تكن فيه إلا الصلاة الإبراهيمية لكفاه بذلك شرفًا، وكيف يتصور العقل أن تكون صلاة ملفقة من ألفاظ يقتضى ظاهرها الحلول والاتحاد والتجسيم أن تكون أعظم من أربعمائة صلاة وست وعشرين صلاة المحتوى عليها مؤلف الجزولى، وفيها من الصيغ الجامعة ما لا يخفى على من له مسكة من العقل والعلم، ومن أعظمها الصيغ الإبراهيمية على اختلاف رواتها، وكيف يقدر مؤمن متصف بالحياء يحب الله ورسوله ﷺ وبعظمه

فضلا عن صالح، فضلا عن عارف تصدر منه صلاة مثلا على أى وجه كان صدورها أن يجترئ فيقول صلاتى هذه قد تعدل ثمانين ألف صلاة من الصلاة الواردة عنه ﷺ ولو مرة واحدة. وكيف يمكن أن تكون أرجح منها وأكثر ثوابًا وفضلا، وهى حرجت من بين شفتى سيد المرسلين أنصح الناصحين الذى لم يأل جهدًا فى نصيحة أمته ﷺ ولم يدع طريقًا للرشد والفلاح إلا بلغها وبينها لهم: إذ لا أعز عنده من نجاتهم وفلاحهم مع أن الله تعالى أخبر بكمال الدين وإتمام النعمة وحصول رضاه بالإسلام دينًا فى حياته ﷺ. وفى المعيار عن ابن الماحبشون أنه سمع مالكًا يقول "من أحدث فى هذه الأمة شيئًا لم يكن علية سلفها فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الرسالة" لأن الله يقول: (اليوم أكملت لكم دينكم) فما لم يكن يومئذٍ دينًا فلا يكون اليوم دينًا ا هـ.

وبسبب هذه الدعوى إلتجأ إليه الناس وفقراء الطوائف وفزعوا إليه من كل جانب ومكان بهذه الأقطار المغربية: بل حتى المشرقية يستمطرون رحمته. ويرجون نعمته.

وهذا هو السبب الأعظم فى امتحانه أيام السلطان المولى عبد العزيز وكان ذلك سنة أربع عشرة وثلاثمائة وألف، وذلك أن السلطان مولاى عبد العزيز أمر بتوجيهه لمراكش لأجل امتحانه لما ادعى ما ادعى وجمع عليه أعيان علماء مراكش، وألقوا عليه مسائل عجز عن الجواب عنها، ولم ينفعه إذ ذاك إلا التبرى من دعوى المشيخة، وجميع ما كان عليه، وشهدوا عليه بذلك.

من فصول قضيته مع العلماء ما نصه: وأجاب سيدنا أعزه الله من إيصائك على ولدك الفقيه المذكور بأن الأمر كذلك: معناه أن والده البركة

سيدى عبد الكير الكتانى لما توجه ولده المذكور صار يستعطف حضرة السلطان فى الرفق به واحترامه. قال وقد أجبناك عنه بما تطيب به نفسًا، وأعلمناك بأنه اجتمع مع من عينوا معه للمذاكرة والمناظرة بأمر شريف من العلماء، وكان مثال ذلك الجمع إلى انتقاد أقوال صدرت منه لم يقبلها الشرع المطهر. فمنها أنهم احتجوا بأدلة عقلية وشرعية وذوقية على أن الله تعالى خلق عالم العلويات بغير بناء على الأسباب وخلق العالم السفلى مبنيًا على الأسباب فجعل عمارته منوطة بها والتكاليف الشرعية وأحكامها مؤسسة عليها، ولما سلمت هذه المقدمة ترتبت عليها مقدمة أخرى، وهى أن من سعى فى تعطيل الأسباب، وأوهم بناءه على الحقيقة فهو منازع له فى حكمته، وسعى فى خراب العالم وانقطاع عمارته من حيث أنه يستدعى الناس للتجريد مع إقامة الله إياهم فى الأسباب، وخارق لنظام الحكمة الإلهية، ولا يقال أن الاستدعاء لم يحصل تعميمه لأن عدم حصول التعميم غير مقصود، والعبرة بالقصد فلو فرضنا الانقياد من الجميع لتحقق الخرق المذكور، ولابد لهذا المستدعى للتجريد عمومًا من دليل. فقال ولدك المذكور: أن دليله الإذن الذى عنده بالإلقاء من الحق، والإذن من النبى ﷺ.

فهذه أول مقالة لم يوجد لها علاج لوجوه قررت له بضيق عنها المقام ولما احتج العلماء بالنصوص النبوية، والقواعد الدينية. والضوابط الشرعية، واللطائف الذوقية على أبطال هذه المقالة، وبينوا ما فيها وما يلزم عليه شرعًا وتحقق به الولد المذكور أجاب أن مراده بالإلقاء من الحق مجرد الإلهام، وإنما عبر عنه بمصطلح الصوفية: فاستدلوا عليه بالنصوص الواردة بالنهى عن ارتكاب الألفاظ الموهمة مطلقًا، لا سيما ما أوهم انتهاكًا لحرمة الربوبية أو

حرمة النبوة فأجاب بأنه اقتدى فى ذلك بمن نقلت عنهم مثل تلك الإلهامات من أصحاب الأحوال، واحتجوا عليه بأن الحال الذى سلم لصاحبه هو ما يكون به فاقدًا للتمييز الذى هو شرط جريان القلم التكليفى ومستغرقًا فى الغيبة حتى أنه إذا أفاق لا يدرى ما صدر عن لسانه وإذا ذكر له ربما ينكره، وأما فى حال الحضور فلا يسامح فيه، وإنما يعد جهلا أو فتنة، وكذلك ما عثر عليه بعض فى قصائده من الإيهامات فادعى أنه إنما نظمها على لسان حضرة النبوة، لا على لسان نفسه فأجيب بأنه لم يبين ذلك فى تراجمها، وعدم البيان دليل على قصده، وأيضًا فكلام صاحب الحضور على لسان النبى ﷺ هو غاية سوء الأدب إذ لا يتكلم بذلك حتى يتخيل تنزيل نفسه منزلة من تكلم على لسانه، والتخييل المذكور هو عين انتهاك الحرمة إلى غير ذلك من الأدلة الشرعية والنظرية فتبرأ حينئذٍ ولدك المذكر من العود لذلك، والتزم إحضار ما أبعد فى اصطلاحات القوم التعبيرية لتطالع بها علم مولانا أيده الله.

وفى أثناء ذلك وقعت بينهم وبينه مذاكرات فى بعض خواص أسرار التوحيد، ومن جملة ذلك ورقات أتى بها ولدك المذكور وسردها عليهم إلى أن قال فيها ما نصه: ومنها أن الله تعالى لا يريد الظلم إلى آخره، ومنها أن الله تعالى لا يخلق الباطل إلى آخره، فردوه عن ذلك الاعتقاد وبينوا له اعتقاد أهل السنة فى عموم الإرادة القديمة لسائر الممكنات وقرروا له محمل الآية التى أخذ المعتزلة بظاهرها، وأن المنفى هو الرضا دون الإرادة بدليل (ولا يرضى لعباده الكفر) إلى غير ذلك من الأدلة التى يضيق عنها المقام، ولما تبين له الحق، أجاب بأنه لم يقصد ذلك، فأجيب بأنه لا يجوز الإقدام على شىء

بدون قصد، لا سيما العقائد التوحيدية التى هى أول ما يظهر بها الموفق نفسه، فاعترف بذلك كله وتاب إلى الله توبة نصوحا مصرحًا فيها بأنه رجع عما كان عليه إلى عقائد أهل السنة المحررة، وأن ما كان يعتقده قبلها اعتقاد باطل، وأثنى على أهل العلم وحمد عاقبة الجمع المذكور وتبرأ جانبه من الالتباسات بالأشهاد عليه بذلك حسبما ما وجهنا نسخة منه لذلك على يد القضاة إظهارًا لبراءته وتعريفًا برشده وهدايته وتدارك توفيقه ووقايته وأعد سيدنا نصره الله أن براءته من مرضاة الله تعالى، وبعد ذلك وعد مولانا أيده الله بتوجيهه إليكم مجبور الخاطر طيب النفس كما تحب، وسيرد عليكم إن شاء الله على المحبة والسلام.

نسخة من الإشهاد الواقع على المذكور

الحمد لله، هذه نسخة من الأشهاد: الواقع على الشرف سيدى محمد بن عبد الكبير الكتانى، ونصه: الحمد لله بعد أن حضر الشريف سيدى محمد بن عبد الكبير الكتانى الفاسى لدى حضرة سيدنا الفقيه الأعظم الوزير الأعظم سيدى أحمد ابن الوزير سيدى موسى بن أحمد عن الأمر الشريف أسماه الله، وحضر معه جملة العلماء المعينين للحضور لأجل اختباره فيما كان يبلغ عنه من ادعاء ما ينافى الشرع والعقيدة.

كقوله فى أمور أنه وقع له فيها الإذن بالإلقاء من الحق سبحانه.

وكقوله فى ورقات جمعها - إن الله لا يخلق الباطل ولا يريد الظلم - كما قاله المعتز له، تعالى الله أن يكون فى ملكة مالك يريد.

وكقوله فى قصائد له ما يشعر بانتهاك حرمة الربوبية والنبوة.

ووقعت المناظرة بينهم وبين المدعى المذكور اختبارا له وتحذيرًا من إبقائه على زلته مما صرح به أئمة السنة بتكفير قائله.

وتكررت المناظرة بينهم، وبينه فى مجالس حتى تبين الحق وانجلى واعترف الشريف المذكور أن تصريحه بذلك محنة وبلاء حيث تبين له أنه يباين العقائد السنية المحررة، ويحرف الضوابط الشرعية المقررة، واعتبر واعتذر عن إقدامه على ذلك، وإنما اتبع فيه أناسًا من الصوفية فى ألفاظهم الإيهامية المصطلح عليها بينهم كابن عربى والحلاج. وأنه لم يقصد مداولتها الحقيقة، وإنما عبر بالإلقاء عن الحق عن الإلهام، وأن عبارته فى القصائد المصرحة بالإيهامات، والتشريك فى الخصائص النبوية، إنما نطق بها على لسان النبى ﷺ متبرئًا من نسبه مدلولاتها لنفسه، ورده العلماء عن ذلك بأدلة الكلام التفصيلية.

وأن الشرع المطهر لم يقبل العذر فى ذلك إلا بالتوبة منه بعد أن بينوا له ما ينبنى عليه من الفقيه والإضلال وإغواء العوم والجهال، وأن التفويض فيما يثبته ذلك، إنما يكون فيمن صدرت منه كلمات حال الغيبة بعد بلوغه مقامها، وتخلقه بحصول ثمراتها، ومع ذلك ينكرها قائلها حال صحوه، وأما تكلف استعمالها فى التعبير بطريق الاصطلاح، إنما هو إضلال وتلبيس واغترار من وساوس إبليس حتى ظهر له الحق وعاد على نفسه بالعتاب. ورجع إلى الله بالمتاب بعد أن ألقيت عليه مسائل من أصول الدين، ومن التفسير فلم يجب عنها، وكان مآل الحضور إلى أن أشهد على نفسه أنه برىء من كل ما ينافى الشرع، وأنه تاب إلى الله من الإقدام على الألفاظ الإيهامية، وادعاء ما ينافى الأحكام الشرعية والعقائد السنية، وأن ما صدر منه من ذلك لم يقصده،

وتاب منه ورجع عنه والتزم إحضار ما جمعه من التقاييد ودفعها لحضرة سيدنا الفقيه الوزير أبقاه الله ليظهر به العلم الشريف ويرى فيها رأيه إشهادًا تامًا عارفًا قدره شهد به عليه شهوده الموضوعة أسماؤهم عقب تاريخه، وهو بأتمه وعرفوه أتم معرفة، فى خامس شهر ربيع الثانى عام أربع عشرة وثلاثمائة وألف، عبد الواحد بن المواز، أحمد بن المواز، العربى بن داود، محمد بن محمد الحسن العلوى، العربى بن المقدم الأمنيعى، محمد بن العربى الدرعى، إبراهيم بن محمد الضرير، عبد الكريم بن سليمان، الهاشمى بن المزوار المكاسى، انتهت حرفًا بحرف.

وقد ساق نظير هذا معاصرنا الفقيه المؤرخ أبو عبد الله الحجوى فى خاتمة كتابه "الحق المتين" وزاد بعض زايادات على هذا. ونصه: ونقلت عنه مقالات منافية لأصول الدين، واستعمل تصلية جعلها ورد أصحابه إلى الآن يقتضى ظاهرها الحلول والاتحاد والتجسيم، وأنك عليه علماء الوقت إذ ذاك كخاله سيد جعفر، وابنه سيدى محمد بن جعفر الكتانى وغيرهما، كل ذلك بما يطول جلبه، وألفوا فى الرد عليه، وها هو أخوه سيدى عبد الحى الآن يضلله، وينكر عليه مقالات عظيمة، وتلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا غرض لى فى خوضها، فوجه إليه مولاى عبد العزيز إلى مراكش، وجمع له جمعًا من العلماء، واختبروه فى المعتقدات الدينية، والمسائل الفقهية والذوقية، وسجلوا عليه الخطأ الكثير فى ذلك كله، وألزموه بالتوبة فتاب، والتزم بعدم ذكر التصلية المتقدمة والوقوف عند حدود الشريعة المقدسة وإلا كتفاه بكلام الله القديم الذى تعبدنا الله به، وبقى بمراكش مدة إلى أن تشفع فيه الشيخ ماء العينين الشنقيطى، فعفا عنه السلطان ورده لفاس، وبيان هذا مسطر فى

كتاب وزيره إلى خليفة فاس مولاى عـرفة رحمه الله، وآخر إلى ولد المذكور مؤرخ فى شهر ربيع الثانى عام ١٣١٤ بإمضـاء الصدر أحمد بن موسى رحمه الله، من إنشاء صاحب حجـة المنذرين تحت أيدى ببيان أطول من هذا منقول فى كتـاب الصورة الجمـالية فى تاريخ أفريقـيا الشماليـة بلفظه، فلذلك يظن الناس أن هذا سبب تداخله فـى الثورة الحفيظيـة ضد المولى عبـد العزيز والله أعلم بما تخفى الصـدور، ولكن بعد ما تم خلع المذكـور وتولية أخيـه مولاى عبد الحفـيظ، وجهت إلى الشريف الكتانى تهمـة أنه يريد الملك لنفسه، وهذا عندى هذيان من القـول ولم يكن المذكور إلى هذه الدرجة مـن انحطاط حتى يفكر فـيمـا هو محـال عادة إن لم نقل عـقلا، ولما شـاع عنه ذلك لأسـباب أوغرت صدر مولاى عبـد الحفيظ، وكثرت الوشاية كاشتراطه فى عـقد البيعة إلغاء مـؤتمر الجزيرة الخـضراء الشـهيـر فى تاريخ المغرب مع أنه بـاتفاق دول أوروبا، فبـعد احـتلاله بفـاس أهمله، ولم يحن الشريـف الكتانى خـيرًا من ثمرات أعماله، ولا حصل على شىء من آماله، ولما أظلم الجو وبين السلطان وجه عـيالـه وأهله وخاصـة أصحـابه إلى أتباعـه من برابرة بنى مطيـر قرب مكناس، وخرج فارًا بنفسه، فوجه السلطان فى طلبه، ولم يبذل كثير عناء فى تحصيله بل كان أيسر من تحصيل عـصفور، وذلك خوفًا من إضرام ثورة ونشر راية العصيان فى تلك الجبال الوعرة فـقبض عليه وعلى جميع من معه، وأتى بهم مصـفدين، ودخلوا فـاس كذلك فى شـر حالة يتـفط لها قلب الجـماد، واشتد غضب السلطان وبطشه به وبوالده وأخيه سيدى عبد الحى ومن معهم، ثم بعد شفاعات عـفا عن الكل عدا الشريف سيدى محمـد الكتانى فإنه قتله صبرًا، وقيل مرض فمات رحمـه الله وعفا عنه وجعل كفارة له وطهورًا ا هـ منه.

هذا وحال هذه الطائفة فى العمرة واستغراقها جل الأوقات الليلية والنهارية غريب جدًا لا يكاد يصدقه العقل لولا وجوده، فلا تسمع منهم حالة الاستغراق والتخبط وقوة الجنون السارية فى تلك الأجساد سريان الدم فى العروق التى اقتضت أن ترفع بها الأقدام عن الأرض نحو الذراع إلا لفظ أح أأأح أح أح أأأح أو لفظه كخ كخ كخ فلا تسمع غير هذين اللفظتين، وقد استولى فى هذا الذكر الغريب العالم والجاهل، والعاقل والغافل، فانظر لهذه الأسرار التى ادخرت لهؤلاء المتصوفة من أهل القرن الرابع عشر ظنوا أن الاشتغال بهذه العمارة من أعظم القربات التى توصلهم لحضرة الحق.

نعم وصلوا لجحيم الانقطاع، وهاوية الانفصال، وسعير الحرمان، ونار البعد، فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور.

ثم الطائفة الشنقيطية، وتنسب للشيخ ماء العينين الشنقيطى المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف.

وهذه الطائفة متباعدة عن هذه المناكر التى أخذ بها هؤلاء الطوائف وجعلوا يدينون لمولاهم بها حتى كادت أن تخرجهم عن سبيل المؤمنين غير أنهم يحرفون كلمة التوحيد تحريفًا قبيحًا لا يكاد يسمع لغيرهم، وهو أنهم يقولونها بهذه الألفاظ. وهى ليله يلله بفتح اللام وسكون الياء وفتح اللام الثانية هذا فى أداة النفى، وهى لا إله، وأما الخلل الذى يصبرون عليه أداة الإثبات، وهى إلا الله، فيقولون يلله.

وهذه الصفة هى هجيراهم آناء الليل وأطراف النهار سواء كانوا بين يدى شيخهم، أو انفرادًا عنه، وقد خالطتهم أيامًا عديدة مع شيخهم وهذا حالهم لا يخرجون عنه، وينطقون بها على هذا الوصف جهرًا بسرعة، ولكن لا

ينطقون بهـا جماعة بلفظ واحـد، بل كل واحد يصيـر يذكرها على الوصف المذكـور من غيـر مـشقـة ولا تعب، ولا يخـفى أن الخلل فى الأذكـار الذى يخرجها عن قانونها الشرعى يعطى تخفيف المشقة والرغبة فى العمل، بخلاف ما إذا ولحظ فيها ما يطابق قانونهـا الشرعى من مد الممدود، وقصر المقصور، وغن ما تجب فيه الغنة إلى غير ذلك مما قدمناه على كلمة التوحيد، فإنه يعطى الكسل والمشقة ولابد.

ثم إن شيخ هذه الطائـفة امتـاز بأشياء لم تكن لغـيره: مهـا أنه كان لا يتـورع عن مخـالطة أهل الانقطـاع عن الله. وذلك لأجل اخـتلاس مـا فى جيوبهم إلى جيبه، ومنها فلنسوته طولا، يعهد به نظير كأنها سلة من قصب، ومنها لباسه للحرير الساذج، ومنها اشتغـاله باستخدامات روحانية أعانته على أمره، وكانت أكبر وسيلة إلى السيطرة على قلوب ملوك وقته، وذوى النفوس الأبية، ومنهم الصدر أحـمد بن موسى، وحسبك مـا كان يقابله به إذا دخل حضرة مراكش، فإنه يأمر أهل البلد، وأعـيانها بالخروج للاحتفال به، ويكون لدخوله أبهـة عظيمة لا تكون إلا للملك، وإذا حل بالبلد ضـربت الضرائب على اختلاف أنواعـها على أهل الحرف كلها، وأصـحاب الأملاك، ولا يسلم منهـا شريف ولا مـشروف، وترى الناس - حـينئذٍ من أجل هذه الصـواعق الأرضية التى حلت بها، والوباء الممدود من هذه الصحارى التى عم ضررها، وشاع شررهـا - سكارى وما هم بسكارى، وليس لهم إلا الابتهال والـتضرع إلى الله فى تنفيس هذه الـكربة التى زادت بها الأمة تعـقدها، وحين يستـقر قدمـه هو وأصحـابه بهذه الأرض تهيـأ له بغال عـديدة نحو المائتـين بسروج عجـيبة، وثياب فـاخرة، وغيـر تلك الضرائب زيادة على إلزام الرعيـة بمؤنته

اليومية مع كثرة ذلك الجيش المصحوب معه لأجل امتلاء بطنه. وستر سوأته، ولعله يزيد على الألف، وهكذا الحال معه مهما حل بهذه الحضرة، وتكرر مجيئه إليها مراراً بعد موت السلطان المقدس المولى حسن، وأما فى خال حياته، فكان لا يطمع فيها لعلم المقدس بترهاته.

وأما الصدر أحمد بن موسى، فكان يحتفل به هذا الاحتفال العظيم لأجل ما يعتقده فيه من المهارة فى علم الأسماء حتى إنه وضع له تميمة، وأمره بوضعها تحت قلنسوته، فكان كلما وضعها على رأسه يرى كل من واجهة كأنه يهودى بين يديه هكذا أخبر من كان له اتصال بالصدر المذكور، والله أعلم.

وبهذه المزية التى حصلت له منه بنى زاويته هذا البناء الهائل، وحيث علمت سبب البناء ما هو؟ فلا تستغرب ما حل فيها الآن. هذا وأصحابه كلهم أو جلهم على هذا النمط من المهارة فى الاستخدامات الروحانية، وكتبه تشهد بذلك، وكنت أرى أصحابه وبأعماقهم التمائم الكثيرة نحو العشرة فأزيد، وكان ممن يعظمه لهذا المعنى، وطمعًا فى الملك المولى عبد الحفيظ، فى إبان خلافته.

وبالجملة فهؤلاء القوم لا تستريح قلوبهم حتى يظهروا أسرارهم للناس ولو تصنعًا ليقبلوا عليهم بالدراهم، فهل تكون ولاية ورغبة فى الدنيا؟ لا يكون ذلك أبدًا. إذا أول قدم للمريد فى الطريق: التوبة والزهد، فإذا كان المدعى لم يحصل على أول قدم فى الطريق، فكيف يدعى النهاية، وأنه أصح من أهل القرب؟ نعوذ به من الخذلان.

ومن عادة هذا الشيخ أنه كان يقدم صلاة العشاء على الوقت المعتاد

الذى حدده أكابر الموقتين، واتفقوا عليه، وهو المعول عليه، ولا عبرة لمن جوز خلاف ذلك.

انظر فى هذا الموضوع تقويمنا المراكشى، والله الموفق.

ثم الطائفة البوعزاوية: وتنسب للشليخ أبى عبد الله محمد بن الطيب البوعزوى الشاوى المتوفى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف.

وهذه الطائفة تغالت فى محبته حتى ألحقوه بما لا يستحقه، وأعانهم على ذلك الهمجية الخارجة عن الدين التى تربوا عليها، ونشئوا فيها، ولقد رأينا من حماقتهم وما هم فيه من التغالى فى محبته ما لا يكاد يصدقه العقل لولا وجوده بينهم.

وبالجملة فأتباعه من الشاوية كادوا أن ينزلوه منزلة الرسول أو أعظم، والبلاء فى هؤلاء المتفقرة قديم.

وذكرنى هذا ما حكاه الإمام الشاطبى فى كتابه الاعتصام، ونصه: حدثنى بعض الشيوخ أهل العدالة والصدق فى القول أنه قال: أقمت زمانًا فى بعض قرى البادية، وفيها من هذه الطائفة المشار إليها كثيرة. قال: فخرجت يومًا من منزلى لبعض شأنى، فرأيت رجلين منهم قاعدين، فظننت أنهما يتحدثان فى بعض فروع طريقتهم، فقربت منهما على استخفاء لأسمع من كلامهم، ومن شأنهم الاستخفاء بأسرارهم، فتحدثا فى شيخهم وعظما منزلته، وأنه لا أحد فى الدنيا مثله، وطربا لهذه المقابلة طربًا عظيمًا. ثم قال أحدهما للآخر: أتحب الحق؟ هو النبى: قال نعم. هذا هو الحق قال المخبر، فقمت من ذلك المكان فارًا مخافة أن تصيبنى معهم قارعة ا هـ بلفظه.

وقال أيضًا رحمه الله ما نصه: ولقد حكى الفرغانى مذيل تاريخ الطبرى عن الحلاج: إن أصحابه بالغوا فى التبرك به حتى كانوا يتمسحون ببوله، ويتبخرون بعذرته حتى ادعوا فيه الإلهية، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا وابتكر لهم صلوات وأذكارًا ءاناء الليل وأطراف النهار. وأخرج لهم فى قضائها الكذب الحبريت الذى موضع إعجاب العلماء العاملين، وبغية الأغمار الجاهلين، وسبب هذا الجهل بحقائق الدين الإسلامى، وعدم المحافظة على آثار السلف الصالح. أما آن للحقائق أن تظهر صراحة، وأن تمحص ما دونته تلك الطوائف المحدثة، فجدير بالأنظار أن تتجه لهذا الحادث الذى عم ضرره، ولا سيما فى هذه الأزمنة الهائلة، وتحرض الناس على متابعة الكتاب والسنة، وتنبههم أن ينسلخوا من شبكات أصحاب هذه الحالات التعسة لكن بالنظر إلى المستقبل العاجل يستحسن الأمر، وقد أوضحته لنا التحارب الحالية، وخيل لنا أنه سيكون ما أشرنا له مستوفى.

ومن عادة هذه الطائفة العمارة المتقدم ذكرها ولا تسأل عما يحدث فيها من تحريف الأذكار زيادة على ما ذكرناه، والأمر لله الذى لا تخفى عليه خافية فى السر والجهار، ومن مثالب شيخهم المذكور حادثة الدار البيضاء، وذلك أنه أمر أتباعه بقتل بعض الخدمة من أسبانيا وفرنسا. ثم هجم هو وأصحابه على الثغر البيضاوى، فنهبوا وسفكوا وانتهكوا من الحرمات ما انتهكوا، وجرى على سبيلهم من تبعهم من قبيلهم، ووقع فساد كبير. يضيق عن تفصيله التعبير، فوجهت كل واحدة من الدولتين باخرة حربية حمية لحقها، وحماية للدور الأجنبية، فأنزلنا عددًا من العساكر وأطلقتا أفواه المدافع بسبب تلك المناكر وتوالت زمر الناهبين وترادفت طلقات الضاربين على

الجائلين والذاهبين. حتى امتلأت السكك أمواتًا، وأمته وأقواتًا، ولقد وقع الإحصاء فى عدد من قتل بها فكان ثلاثة وتسعين ألفًا، ولم تزل الدولة الفرنسية تواصل الإمداد، وبموت منها ومن تلك القبائل أعداد، حتى جاست العساكر خلال ديارهم، وتمكنت من سهولهم وأوغارهم، فملت البشاوية وانطفأ لهبها.

ولما مهدت الحكومة الأرض، وأرادت أن تنتصر منه تظاهر بحماية ألمانيا، فترك لأجلها إلى أن ما ت بمراكش، ووجد فى متروكه أربعون ألف ريال مضروبة فضلا عن ضياع كثيرة وعقار: فاتفق أنجاله على أن بينوا له بذلك القدر من المال قبة تضاهى قبة أبى العباس السبتى، فكان الأمر كذلك، والأمر لله.

إذا علمت هذا! فأين الفرق بين تمول هؤلاء المدعين للمشيخة بترهاتهم الباطلة، وحيلهم الشيطانية لاقتناص الدنيا، وبين ولاة الوقت الذين جمعوا الدنيا بجر ذيول الظلم على الرعية حتى أكلوا اللحم، وشربوا الدم، وامتشوا العظم، وامتصوا المخ، ولم يتركوا للناس دنيا ولا دينا.

أما الدنيا، فقد أخذوها، وأما الدين، فقد فتنوهم عنه بسبب أخذ ما بيدهم.

فأهل الدعوى خدعوا الناس بتلك البهرجة، وذلك التظاهر الذى أوهم عامة الناس أنهم أولياء الله، فتوصلوا بذلك لأموالهم التى هى غاية مقصودهم من اتخاذهم لتلك الحيل المتنوعة.

والمتمولون قهروا الناس بتلك السيطرة التى لا قوة لهم على دفعها، والكل منهما زائغ عن الصراط المستقيم. إلا أن أصحاب الدعوى أعظم ضرر

بالإسلام والمسلمين لكونهم طلبوا الطريق ليقبل الناس عليهم بتلك الدريهمات.

وبالجملة فالتصوف فى عصرنا اليوم وفيما قبله قد أصبح زيه حبالة للدنيا وشباكة يصاد بها قلوب من لا يعرفون من الدين إلا اسمه، وما هو إلا اغترارات بأباطيل يختلقها هؤلاء القوم، وتمسكات بخزعبلات يفتريها المدعون، وأمر الصدق قد قل حتى صار أندر من الكبريت الأحمر، والنصح فى الله لفساد الطوايا تعذر.

أما سمعوا قول الله تعالى - يا قوم لا أسألكم عليه أجرًا إن أجرى إلا على الذى فطرنى - وقوله تعالى - ويا قوم لا أسألكم عليه أجرًا إن أجرى إلا على الله - ومعلوم أن مرشد الخلق إلى الحق إذا كان غنيًا عما فى أيديهم كان إرشاده مظنة القبول والنفع، وإلا حامت حوله الظنون وأولت إرشاداته بتأويلات تحمر لها الوجوه، وبعد النفع فيه لحقارته فى النفوس.

ثم قال عبد الباسط: وتعدد هذه الطوائف أقبح شىء فى العصر، وكأن الدين ليس واحدًا، وكأن ربه لم يكن واحدًا، وكان مبلغه عن ربه لم يكن واحدًا.

وهذا التعدد يدعو إلى الشك، والشك يدعو إلى الإهمال، والإهمال يورث البغض، وعاقبه ذلك الهلاك فى دار التحصيل، وفى دار الجزاء.

ومن حق علماء الدين أن يدفعوا هذا الباطل بقدر طاقتهم وقوتهم، لأن الباطل يفسد الحياة، ولأن انتشاره يورث الهلكة.

فالتفت عبد الهادى إلى عبد الباسط وقال: قد أخبرنا الرسول ﷺ بهذا

أنه سيكون حيث قال: حسبما رواه ابن عباس "لتنقض عرى الإسلام عروة عروة، وليكونن أئمة مضلون، وليخرجن على أثر ذلك الدجالون. وعن حذيفة: لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذابًا، وعن ابن عمر "إن بين يدى الساعة كذابين فاحذروهم"، وعن العلاء بن زياد "لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا دجالا كلهم يكذب على الله ورسوله"، وعن أنس بن مالك "إن بين يدى الساعة الدجال، وبين يدى الدجال كذابون ثلاثون أو أكثر، قال ما آيتهم؟ قال أن يأتوكم بسنة لم تكونوا عليها يغيرون بها سنتكم ودينكم، فإذا رأيتموهم فاجتنبوهم وعادوهم"، وأخبر ﷺ "أن بنى إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين ملة، ولن تذهب الليالى ولا الأيام حتى تفترق أمتى على مثلها، وكل فرقة منها فى النار إلا واحدة، وهى الجماعة"، وروى الحاكم بلفظ "تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة، أعظمها فتنة على أمتى قوم يقيسون الأمور برأيهم: فيحلون الحرام ويحرمون الحلال".

وروى الترمذى وقال حديث حسن صحيح عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة"، وفى سنن أبى داود "وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون فى النار، وواحدة فى الجنة، وهى الجماعة"، وفى رواية عن الترمذى "إن بنى إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار: إلا فرقة واحدة. قالوا ومن هى يا رسول الله؟ قال ما أنا عليه وأصحابى".

فقال أبو زيد للشيخ عبد الهادى: فنحب منك أن تبين لنا الفرقة الناجية

من هذه الفرق. فقال الفرقة الناجية: هى السالكة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، رضوان الله عليهم، وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية، ولا يقمع الشهوات بالكلية: أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد المبلغ له إلى الآخرة حسب الوارد، وليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب. وأما الشهوات: فيقمع منا ما يخرج عن طاعة الشرع وانقياد العقل فلا يتبع كل شهوة، ولا يترك كل شهوة بل يتبع طريق العدل والاقتصاد ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا: بل يعلم مقصود كل ما خلق الله من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة، ومن المسكن ما لابد منه وهو ما يحفظ عن تطرق اللصوص، ويحميه من نكاية الحر والبرد، ومن الكسوة قدر ما يستر به عورته، ويكون به وقاية الحر والبرد حتى إذا فزع القلب من شغل البدن أقبل على الله بخالص الهمة واشتغل بالذكر والفكر والمراقبة طول العمر، وبقى ملازمًا لسياسة الشهوات ومراقبًا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى.

ثم قال الشيخ عبد الهادى بعد هذا: والغالب على عامة الناس اليوم ممن لا مخالطة لهم بالعلم ولا بالمتسكين بالشريعة والسنة المحمدية من أهل الفضل والدين، لما أعرضوا عن القيام بوظائف الشريعة، وأقبلوا على هواهم ودنياهم، توجه الشيطان إليهم على قدر إعراضهم عن الدين، وإقبالهم على غيره، فذهب بهم فى طريق الضلال والجهالة والخيال: كما قال تعالى: (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين).

فزين لبعضهم الانقياد لهؤلاء الذين طلبوا الطريق لاقتناص الدنيا والعكوف على أبوابهم، والخدمة لهم بكل وجه من الوجوه سواء كانت حلالا أو حرامًا، والذبائح لهم مما يكاد أن يكون شركًا بالله تعالى أو هو عينه.

وزين للآخرين خدمة أضرحة الصالحين بكثرة الهدايا والذبائح، وجمع طوائف الناس والفرجات والمنكرات وتعطيل المساجد عن إقامة الجماعة فى بعض الأوقات واختلاط الرجال بالنساء ونحو ذلك من الفواحش الواضحات، وتعطيل الناس عن معاشهم والتعرض لهم. والذهاب إليهم فى ديارهم لأخذ أموالهم غصبًا وكرهًا لإقامة تلك المنكرات، وهم يعتقدون فى عملهم ذلك أنهم يتقربون إلى ذلك الولى، ويقضى حوائجهم بذلك الفعل الذميم، وربما طلب منه ما هو من خصائص الربوبية، وربما سجد بعضهم بين يديه وقبل الأرض، وبما دخل وقت الصلاة وخرج والناس غرقى فى ذلك الشغل القبيح لا شعور لهم بالصلاة التى فرضها الله تعالى ولا تعريج لهم عليها (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهو يحسبون أنهم يحسنون صنعا) حاشا وكلا أن يرضى ذو علم بذلك أو يجب من فعل شيئًا من ذلك، وكيف يرضى ما لا يرضاه الله ورسوله أو يحبه وكيف يحب أن يخدم ويعظم بانتهاك حرمات الله ونبذ أوامره ونواهيه، ما تلك الأفعال على تلك الصفات إلا من خدمة إبليس وجنوده وكيف لأهل العلم والدين الذين أقدرهم الله تعالى السكوت على ذلك، وكيف ينكر على من نبه أو أشار إلى ذلك.

وقد قال المفسرون عند قوله تعالى (فنعم المولى ونعم النصير) وفى قوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) إشارة إلى ذم المتصوفة الذين إذا سمعوا الآيات الرادة عليهم ظهر عليهم التجهم والبسور وهم فى زماننا كثيرون، فإنا لله وإنا إليه راجعون وفى قوله (لن يخلقوا ذبابًا) إشارة إلى ذم المتغالين فى أولياء الله تبارك وتعالى حيث

يستغيثون بهم يف الشدة غافلين عن الله وينذرون لهم النذر، والعقلاء منهم يقولون أنهم وسائلنا إلى الله تعالى، وإنما نذر الله ونجعل ثوابه للولى، ولا يخفى أنهم فى دعواهم الأولى أشبه شيء بعبدة الأوثان القائلين (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ودعواهم الثانية لا بأس بها لو لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم وإتيان مسافرهم، والظاهر من حالهم الطلب بل هو الواقع بلا شك، ورأيت كثيرًا منهم يسجد على أعتاب حجر الأولياء، ومنهم من ينسب التصرف لهم جميعًا فى قبورهم لكنهم متفاوتون فيه حسب تفاوتهم فى المراتب، والعلماء منهم يحصرون التصرف فى خمسة وإذا طولبوا بالدليل قالوا ثبت ذلك بالكشف.

قال المفسرون قاتلهم الله ما أجهلهم وأكثر افتراءهم، ومنهم من يزعم أنهم يخرجون من القبور ويتشكلون بأشكال مختلفة وعلماؤهم يقولون إنما نظهر أرواحهم متشكلة وتطوف حيث شاءت، وربما تشكلت بصورة أسد أو غزال، وكل ذلك باطل لا أصل له فى الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة، وقد أفسد هؤلاء على الناس دينهم وصاروا ضحكة لأهل الأديان المنسوخة من اليهود والنصارى، وكذا لأهل النحل والدهرية.

وقد رأينا كثيرًا من الناس يستغيثون بالأموات ويطلبون منهم الأغراض ويطربون من سماع حكايات كاذبة عنهم توافق هواهم واعتقادهم فيهم ويعظمون من يحكى لهم ذلك، وينقبضون من ذكر الله تعالى وحده ونسبة الاستقلال بالتصرف إليه عز وجل وسرد ما يدل على مزيد عظمته وجلاله، وينفردون ممن يفعل ذلك كل النفرة وينسبونه إلى ما يكره.

وقد قلت فى شدة لرجل يومًا يستغيث ببعض الأموات وينادى يا فلان

أغشى: قل يا الله. فقد قال سبحانه (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) فغضب، وبلغنى أنه قال إن فلانًا منكر على الأولياء، وسمعت من بعضهم أنه قال: الولى أسرع إجابة من الله عز وجل، وهذا من الكفر بمكان. نسأل الله أن يعصمنا من الزيغ والطغيان.

قال صاحب المدخل: إن كل طريقة من طرق العلم يمكن اختبارها إلا طريقة التصوف فإنهم يبنوها على حسن الظن والمسألة، وإذا أراد عالم أن يعرضها على كتاب الله وسنة رسوله قالوا له أنت منكر ا هـ.

وفى هذا يقول حاكم زمانه:

وزاد الأمر حتى لست تلقى فتى يهوى كلاما للنبى
ولا ما قاله الرحمن طرا سوى نقل الولى عن الولى
كلاما ليس يعلمه جليل من الصحب الأكارم فى الندى
وإن قلت الدليل يجيب شخص لأنت بذاك منكر ذا الجلى
روى ذا الحكم شيخى فى منام فعجبًا للتنطع من ولى

وفى روح المعانى: عند قوله تعالى (وابتغوا إليه الوسيلة) أن التوسل بغير النبى ﷺ غير جائز، واستدلال بعض الناس بهذه الآية على مشروعية الاستغاثة بالصالحين وجعلهم وسيلة بين الله تعالى وبين العباد، والقسم على الله تعالى بهم بأن يقول: اللهم إنى أقسم عليك بفلان أن تعطينا كذا، ومنهم من يقول للغائب أو الميت من عباد الله تعالى الصالحين: يا فلان ادع الله تعالى ليرزقنى كذا، ويزعمون أن ذلك من ابتغاء الوسيلة فذاك بعيد عن الحق بمراحل.

وتحقيق الكلام فى هذا المقام أن الاستغاثة بمخلوق وجعله وسيلة بمعنى طلب الدعاء منه لا شك فى جوازه إن كان المطلوب منه حيًا، ولا يتوقف على أفضليته من الطالب بل يطلب الفاضل من المفضول، فقد صح أنه ﷺ. قال لعمر بن الخطاب لما استأذنه فى العمرة لا تنسنا من دعائك، ومره أيضًا أن يطلب من أويس القرنى رحمه الله أن يستغفر له، وأمر أمته ﷺ بطلب الوسيلة له، وأن يصلوا عليه، وأما إذا كان المطلوب منه ميتًا أو غائبًا فلا يستريب عالم فى أنه غير جائز، وأنه من البدع التى لم يفعلها أحد من السلف.

وقد صح أنه كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون الخ، ولم يرد عن أحد من الصحابة (رضى الله عنهم) وهم أحرص الخلق على كل خير أنه طلب من ميت شيئًا: بل قد صح عن ابن عمر (رضى الله عنهما) أنه كان يقول إذا دخل الحجرة النبوية زائرًا: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت. ثم ينصرف ولا يطلب من سيد العالمين عليه الصلاة والسلام ولا من ضجيعيه المكرمين (رضى الله عنهما) شيئًا، وهم أكرم من ضمته البسيطة، وأرفع قدرًا من سائر من أحاطت به الأفلاك المحيطة.

نعم الدعاء فى تلك الروضة المكرمة والحضرة المعظمة، أمر مشروع فقد كانت الصحابة تدعوا الله هناك مستقبلين القبلة، ويجعلون القبر المكرم عند اليمين أو اليسار، ولم يرد عنهم استقبال القبر الشريف عند الدعاء مع أنه أفضل من العرش، واختلفت الأمة فى استقباله عند السلام فعن أبى حنيفة

(رضى الله عنه) أنه لا يستقبل بل يستدبر وتستقبل القبلة، والصحيح أنه يستقبل وقت السلام عليه ﷺ، فإذا كان هذا المشروع فى زيارة سيد الخليقة وسبب الإيجاد على الحقيقة ﷺ فبماذا تباح زيارة غيره بالنسبة إلى زيارته عليه الصلاة والسلام ليزداد فيها ما يزاد، ويطلب من المزور بها ما ليس من وظيفة العباد، وقد نقل عن أبى يزيد البسطامى أنه قال: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون. وقال غيره: طلب المحتاج من المحتاج سفه فى رأيه، وضلة فى عقله. ومن دعاء موسى عليه السلام: وبك المستغاث. وقال ﷺ لابن عباس (رضى الله عنهما) "إذا استعنت فاستعن بالله". وقال تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين)، وقد أكثر الناس من دعاء غير الله تعالى من الأولياء الأحياء منهم الغائبين والأموات وغيرهم: مثل يا سيدى أغثنى، وليس ذلك من التوسل المباح فى شىء.

واللائق بالمؤمن عدم التفوه بذلك، وأن لا يحوم حول حماه، وقد عده أناس من العلماء شركًا، وألا يكنه فهو قريب أو بعيد منه، ولا أرى أحدًا ممن يقول ذلك إلا وهو يعتقد أن المدعو الحى الغائب أو الميت المغيب يعلم الغيب أو يسمع النداء، ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير، ودفع الأذى، وإلا لما دعاه ولا فتح فاه (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فالحزم التجنب عن ذلك وعدم الطلب إلا من الله تعالى الغنى القوى الفعال لما يريد، ومن وقف على سر ما رواه الطبرانى فى معجمه من أنه كان فى زمن النبى ﷺ منافق يؤذى المسلمين. فقال أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فجاءوا إليه. فقال إنه لا يستغاث بى إنما يستغاث بالله تعالى، لم يشك فى أن الاستغاثة بأصحاب القبور الذين هم

بين سعيد شغله نعيمه وتقلبه فى الجنان عن الالتفات إلى ما فى هذا العالم، وبين شقى ألهاه عذابه وحسبه فى النيران عن إجابة مناديه والإصاخة إلى أهل ناديه أمر يجب اجتنابه، ولا يليق بأرباب العقول ارتكابه، ولا يغرنك أن المستغيث بمخلوق قد تقضى حاجته وتنجح دعوته. فإن ذلك ابتلاء وفتنة منه عز وجل.

وقد يتمثل الشيطان للمستغيث فى صورة المستغاث: فيظن أن ذلك كرامة لمن استغاث به، هيهات هيهات إنما هو شيطان أضله وأغواه، وزين له هواه، وذلك كما يتكلم الشيطان فى الأصنام ليضل عبدتها الطغام. وبعض الجهلة يقول: إن ذلك من تطور روح المستغاث به أو من ظهور ملك بصورته كرامة. ولقد ساء ما يحكمون لأن التطور والظهور، وإن كانا ممكنين لا فى مثل هذه الصورة، وعند ارتكاب هذه الجزيرة.

وقد أجاب العلماء الأعيان عما فى صحيح البخارى عن أنس أن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) كان إذا قحطوا استسقى بالعباس (رضى الله تعالى عنه) فيقول اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك ﷺ فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون، بأن هذا التوسل من جنس الاستشفاع، وهو أن يطلب من الشخص الدعاء والشفاعة، ويطلب من الله تعالى أن يقبل دعاءه وشفاعته، ويؤيد ذلك أن العباس كان يدعو، وهم يؤمنون حتى سقوا. وأما النبى ﷺ فالتوسل به حيًا وميتًا مشروع، وإنما ترك عمر التوسل به مخافة أن لا يسقى الناس فيفتنوا، فهو من سد الذرائع.

فالتفت إليه أبو زيد: وقال يا شيخ ظهر لى من هذا الكلام أنك ممن ينكر كرامات الأولياء. فقال عبد الهادى أقول: إن قلت نعم، فقد قالها من

قبلى جمـاعة من أهل السنة، وإن قلت لا فقـد أثبتها كثـير، وأنا منهم. وإن سألت عن عين الولاية، فأقـول أما الولاية بالمعنى الوارد فى القرآن وهو (ألا إن أوليـاء الله لا خوف عليـهم ولا هم يحـزنون الذى آمنوا وكـانوا يتقـون) الآية. فلا ننكرها ولا يسعنى ولا غيرى جحدها: وأما الولاية بالمعنى المتعارف وهو أن الواحد منهم يحكم فى الكون ولا يأتى الفار لغاره إلا بإذنه ولا يقدر الله فعـلا فى عباده إلا برضاه فـاشهدوا أنى جاحـدها ومنكرها. وما ذاك إلا أنى لم أجد ما نسـتأنس به من الشرع فى ثبوت تلك الزعـمات عدا رؤيا من المدعى، أو من تلميـذ قصده جـمع بعض الدريهمات: كـما أنا لا نؤمن ولا نعتقد أنه يحضر عند خروج الروح، وعند الحلول فى القبر، وعند المرور على الصراط، إذا المصطفى ﷺ أشـفق الناس وأشدهم رحمـة بأمته، ولو كـان ما وهب الله لهم حقًا لكان للنبى، وقد قال الله تعالى فى حقه (بالمؤمنين رءوف رحيم) وفى الحديث "فأقول يارب أمتى"

فإذا كانت الأشـياخ بهذه المثابة مع المريدين، فـقل لى يرحمك الله أهم المعنيون بـقوله (وهو معكم أينمـا كنتم) أم الله، (تعالى اللـه عما يشـركون) ولئن أنكرت هذا فقد أنكره الشيخ زروق فى عدة المريد، وكـثيراً ما يصارمك الواحد منهـم بقول الله فى الحديث الـقدسى "من عادى لى وليًـا فقـد آذنته بالحرب".

ولا يعلمـون أن هناك فـرقًـا بين مـن عادى لـى وعلى، على أن الذى يعاديك لكلام السنة شيطان لأولى، فاعرف هذا، واعمل عليه.

أوصاف الولى

ثم إن الفقيه أبا عبد الله الذى نحن عنده، التفت إلى الشيخ عبد الهادى وقال: يا شيدى نريد منك أن تبين لنا أوصاف الولاية التى تقتضى أن يكون المتصف بها وليًا حتى لا نعاديه.

فقال الشيخ: أما التعريف بها على سبيل الإحاطة فغير ممكن، وأما على سبيل الإجمال فهو أن يكون مؤمنًا كامل الإيمان، فكل من كمل إيمانه، فهو الولى حقًا.

ولا يكمل إيمانه إلا إذا تطهر من هذه الأوصاف الشيطانية، وهى أن لا يكون لعانًا ولا نمامًا، ولا مغتابًا، ولا قتاتًا، ولا حسودًا، ولا حقودًا ولا بخيلا، ولا مختالا، يطلب من الخيرات أعلاها، ومن الأخلاق أسماها، إن سلك مع أهل الآخرة كان أورعهم، غضيض الطرف، سخى الكف لا يرد سائلا، ولا يبخل بنائل، متواصل الأحزان، مترادف الإحسان، يزن الحق أمله، متأسفًا على ما فاته من تضييع أوقاته: كأنه ناظر إلى ربه، مراقب لما خلق له، لا يرد الحق على عدوه، ولا يقبل الباطل من صديقه، كثير المعونة، قليل المؤنة، يعطف على أخيه عند عسرته، لما مضى من قدمى صحته.

فهذه صفة أولياء الله، فكل من رأيناه على هذه الأوصاف نحبه ونعظمه وننصره، لأنه من أولياء الله الذين قال الله فيهم "من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب".

وهذا ممن قال الله فيهم (الله ولى الذين آمنوا) ومن هنا سمى الولى وليًا: أى تولى الله تعالى شأنه، وهذه الآية تقول إن جميع المؤمنين أولياء الله، وهو كذلك إذا كانوا مؤمنين كاملين، وإلا فولايتهم ولاية عامة، ومثل

من اجتمعت فيه هذه الأوصاف هو الذى قال الله تعالى فيه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين).

ولا يخفى أن الصادق عند الإطلاق من صدق قلبًا ولسانًا وجارحة، فلا ينطوى قلبه على كذب، ولا ينطق لسانه بكذب، ولا تتحرك جارحة من جوارحه فى كذب، بل كل أفعاله ظاهرًا وباطنًا حق لله تعالى.

أمثال هذا أمرنا الله أن نكون معهم بعد أمره لنا بالتقوى ليونها علينا، فإن الوسائط أكبر مؤثر فى الأخلاق.

وما أمرنا أن نكون مع من يتلبس على الخلق بزى مخصوص، وتطويل اللحى، وإمساك السبحة فى يد، والأخرى فى العنق ليعتقد فيه وكل ذلك مناف لطريق الصادقين، متباين لأغراض المخلصين.

وفى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال "من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب الذل يوم القيامة". وكذلك بمن يلبس المرقعات تظاهرًا بحال السابقين.

وقد قال الخضر عليه السلام: لعمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) يا عمر إياك أن تكون عدوًا لله فى السر، ووليًا نه فى العلانية.

فانظر رحمك الله إلى هؤلاء المنفقين الذين جعلوا التصوف زهوًا، وافتخارًا بل رقصًا واختباطًا وغرورًا واغترارًا ويرحم الله القائل:

ليس التوصف لبس الصوف ترقعه ... ولا بكاؤك إن غنى المغنونا

ولا صياح ولا رقص ولا طرب ... ولا اختباط كأن قد صرت مجنونًا

بل التصوف أن تصفو بلا كدر ... وتتبع الحق والقرآن والدينا

وأن ترى خاشعًا لله مكتئبًا ... على ذنوبك طول الدهر محزونا

ثم إن الفقيه المذكور. قال للشيخ: لقد أصبح من الواجب علينا أن نثنى على همتك الثناء المستطاب فى ابتكارك لهذه المسامرة الشيقة التى ألقيتها بحضرتنا، ولعلها أصل نجاحنا الحالى، وفوزنا الحاضر.

فقال الشيخ عبد الهادى: نعم وجدير بأن تتجه الأنظار إليها، ولا سيما فى هذه الأزمنة الهائلة التى لا يمكن تلافى أخطارها العاجلة والآجلة، إلا بالتعاون التام على ما يرضى الملك السلام.

أغرب العادات القبيحة والبدع المتبعة بالحضرة المراكشية

ثم إن الشيخ عبد الهادى إلتفت إلى عبد الباسط المراكشى. وقال له: أحببت منك أن تذكر لى أغرب العادات القبيحة، والبدع الشنيعة المتبعة الآن عندكم بهذه الحضرة المراكشية، زيادة فى الامتناع، وتحلية للأسماع.

فقال عبد الباسط: أما ما سألت عنه فكثير، ولست فيه بصاحب الباع القصير، غير أنى لا يمكننى تتبع جميعها، لما فى ذلك من المساوئ التى لا توجد حتى فى الملل الأجنبية بأسرها.

وأى شيء أحكيه لك فى عادات مدينة، عمرت قهواتها، وفرغت مساجدها، وتفرنجت شبابها، وتبرجت نساؤها، وغاض ماؤها، وفاض شرها، وانعكس شعاعها، وتغير حالها، وطبع على جل قلوب أهلها.

ثم إن الشيخ عبد الباسط أن يشرع فيما وعد به من تلك الغرائب. وإظهاره لتلك العجائب. فقال له الشيخ: مهلا حتى نفرغ من صلاة العصر، وكان وقتها قد حضر والأفكار إذ ذاك مستغرقة فى كيفية تصوره لهذا الوطر.

يقول جامعه: محمد المُوقت كان الله له، وهذا آخر الجزء الأول من

أجزاء ثلاثة نسأل الله أن يكون سببًا لتبديل هذه الأحوال، التى ضاق بها النطاق فى الحال والمآل. وكان الفراغ من تخريجه صباح عاشر شهر ربيع الثانى عام إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية. على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية. سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين.

[تم الجزء الأول من الرحلة المراكشية، ويليه الجزء الثانى وأوله الكلام على عوائد أهل الحضرة المراكشية]

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس الجزء الأول من الرحلة المراكشية

الموضوع	الصفحة
خطبة الكتاب	٥
ظفر المؤلف برفيق	٦
ارتحالنا لمدينة أخرى والاجتماع على صديق آخر	٨
بيان ما عليه مدينة مراكش	٩
الحكمة فى أن مدينة مراكش أهلها فى سرور	١١
بيان ما عليه أهلها من الصفات المذمومة	١١
البانى لسورها	١٣
دهشتنا عند دخول مراكش	١٤
انتشار الرشوة	١٥
كلام الشيخ عبد الهادى	١٥
واجب الحكومة نحو الموظفين ليتم النظام	١٦
مقالة أخرى للشيخ عبد الهادى	١٧
الأمور المقلقة	١٩
إمساك الشيخ عن الكلام واشتغاله بالتسبيح	٣١
ملخص سيرة على بن يوسف، وعبد المؤمن، والمولى سليمان	٣٣
كلام الشيخ عبد الهادى على حديث: من سن فى الإسلام سنة حسنة الخ	٣٥
بيان أن الذكر ليس قاصراً على اللسان	٣٦
هل يكفى عن الزكاة القدر المأخوذ ظلمًا وحكم الفرار منها	٣٨

obeikandl.com

الموضوع	الصفحة
ما قاله ابن الجوزى فى تلبيس إبليس على أصحاب الأموال	٤٤
الكلام على حديث: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه	٤٦
الكلام على قولهم أن الأرض على قرن ثور	٤٨
رحلة الناس إلى بلاد الفرنج	٤٩
الكلام على الحديث الناهى عن الجلوس فى الطريق	٥٢
حكم التختم بالمذهب واستعمال أوانى الذهب والفضة ولباس الحرير	٥٣
حكم الإناء المحلى بالذهب أو الفضة	٥٤
حقوق الجار	٥٥
حكم قراءة الجرائد والمجلات	٥٧
حكم ذبيحة أهل الكتاب	٥٨
حكم أكل الطعام الذى صنعه الكتابى	٥٩
حكم الأخذ بعادات الكفار	٦١
حكم الإقامة بمحل كثر فيه المنكر مع عدم القدرة على تغييره	٦٤
حكم بيع الإماء مع عدم ثبوت رقها	٦٦
بم يتوصل الإنسان إلى الكسب الطيب؟	٦٨
حكم تعاطى العدالة	٦٩
تولية القضاء	٧٠
شروط الحسبة وفضلها	٧٥

obeikandl.com

الموضوع	الصفحة
حكم البسملة جهرًا فى الصلاة الفرضية	٧٦
حكم قبض اليدين فى الصلاة وإرسالهما	٧٨
الكلام على حديث: إذا لم تستح فاصنع ما شئت، ووضع اليدين إحداهما على الأخرى فى الصلاة وتعجيل الفطر وتأخير السحور	٨٥
الكلام على رفع اليدين فى الصلاة	٩٨
هل فى ترك غسل الجمعة رخصة.	١٠٢
حقيقة السعادة	١٠٤
ذم التقليد بالإفرنج	١٠٥
الخطبة التى ألقاها الشيخ عبد الهادى بالجامع اليوسفى	١١٧
العيوب التى يرتكبها الناس يوم الجمعة	١٢٠
بيان ما عليه المدعون للصلاح وانتسابهم لطريق الصوفية	١٢٤
حكم من يدعى أنه من أكبر علماء الإسلام والمرشدين وهو مرتكب لما يخالف الشرع	١٣٧
حكم الرقص فى حالة الذكر	١٤٠
حكم تحريف أسمائه تعالى عند الذكر بها	١٤١
مقدار المد الشرعى الجائز فى كلمة التوحيد	١٤٦
فضل لا إله إلا الله	١٤٧
السبيل لمن أراد سلوك طريق الصوفية	١٤٨
بيان الطوائف المتصوفة بالمغرب على الترتيب	١٥٠
مجالس الذكر عند السلف الصالح	١٧٢

obeikandl.com

الموضوع	الصفحة
ذكر ما كان عليه الصوفية فى القديم	١٧٤
نسخة من الأشهاد الواقع على المذكور	١٨٠
أوصاف الولى	٢٠٠
أغرب العادات القبيحة والبدع المتبعة بالحضرة المراكشية	٢٠٢

obeikandl.com